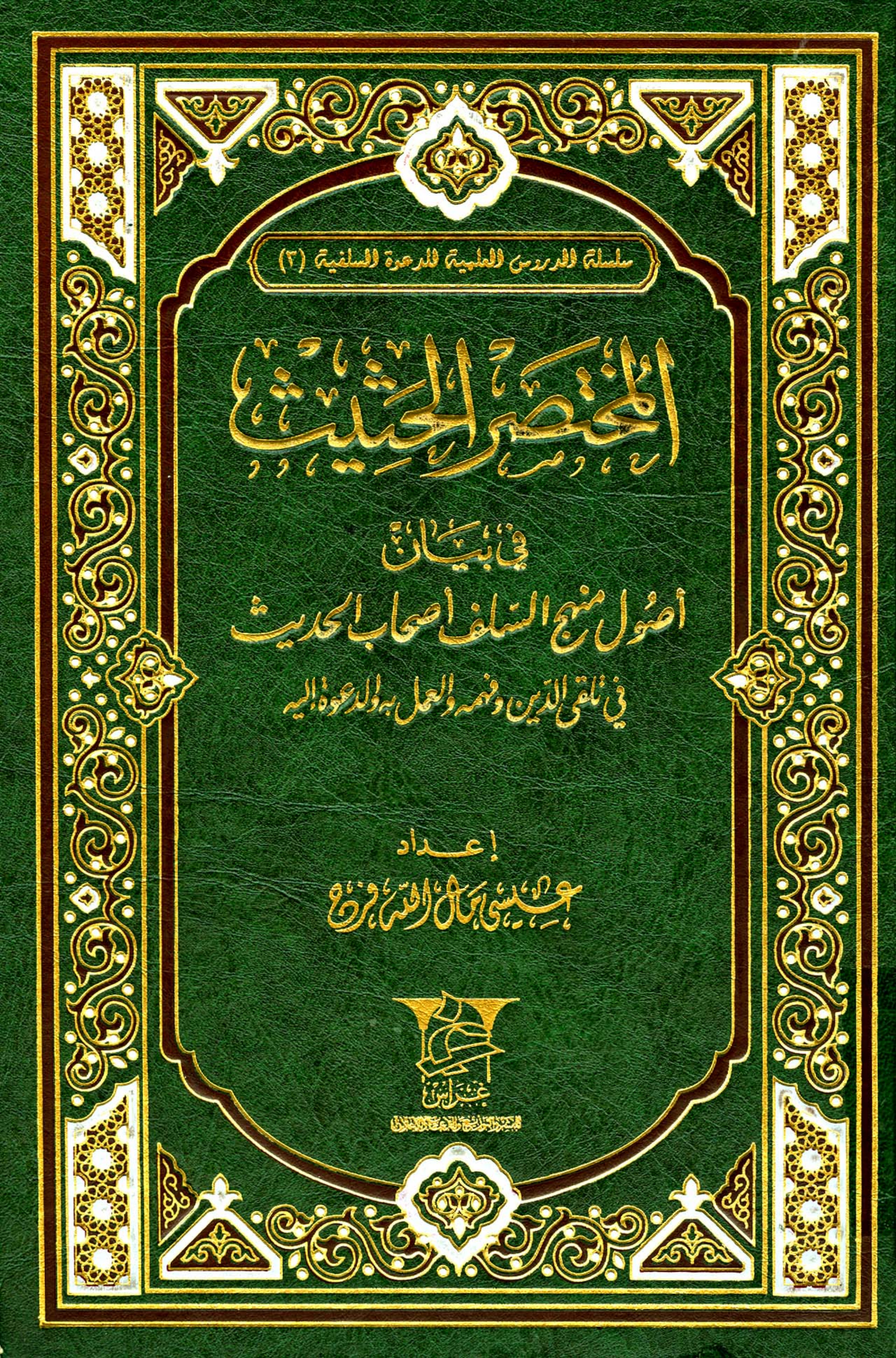
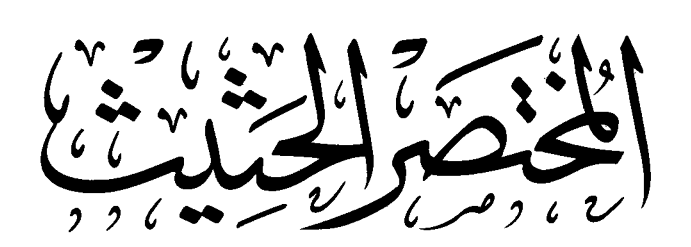

سلسلة الدروس العلمية للدعوة السلفية (٣)
المختصر الحثيث
في بيان
أصول منهج السلف أصحاب الحديث
في تلقي الدين وفهمه والعمل به والدعوة إليه
إعداد
عيسى مال الله فرج
غراس

سلسلة الدروس العلمية للدعوة السلفية (٣)



في بيان

أصول منهج السلف أصحاب الحديث

في تلقي الدين وفهمه والعمل به والدعوة إليه

إعداد

عيسى مال الله فرج



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[الأنعام: ١٥٣]

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



الكويت - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية

هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ فاكس ٤٨٣٨٤٩٥
الجهراء: ص. ب: ٢٨٨٨ - الرمز البريدي: ١٠٣٠
Website: www. gheras. com
E-Mail: info@ gheras.com

مقدمة

إن الحمد الله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب ٧٠- ٧١].

أما بعد:

فإن أحسن الكلام كلام الله سبحانه وتعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فبعد أن كثرت المناهج وتعدّدت، بل وتباينت وتشكّلت أحببتُ أن أضع بين يدي إخواني مختصراً[١] نافعاً بإذن الله تعالى يبيّن مجمل أصول منهج السلف الصالح - رضوان الله عليهم - في تلقي الدين وفهمه والعمل به والدعوة إليه.

---

(١) وهذا المختصر في الأصل مذكرة لا تتجاوز ١٣ صفحة خالية في معظمها من الأدلة التفصيلية؛ بعنوان دروس في المنهج السلفي أُلقيت على شكل دروس منهجية في صيف ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م، على شباب الجيل الإسلامي في منطقة القرين - حفظهم الله وبارك فيهم - ولهذا تجده موجز الألفاظ سهل العبارة، ثم رأيت بعد فترة أن يتم شرحها وقد يسّر الله الآن طبعها.
وكان ينبغي أن تكون أول إصدار لهذه السلسلة، إلا أن الظروف التي يمر بها الشباب والدعوة الإسلامية حتّمت أن يكون أول السلسلة هو كتاب البراءة والتحذير من خطر التكفير، ثم كتاب أطايب القول في حسن التعامل مع ولاة الأمر.

وقد اعتمدتُ منهج العرض بالأدلة مبتعداً فيه عن منهج عرض الشبهات والردّ عليها سائلًا الله تعالى الإعانة والتوفيق، وأن يكون ما كتبتُ حجة لي لا عليَّ؛ فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، (وأستغفر الله منه).

وأشكر - بعد شكر الله تعالى - كل من ساهم بنصح أو توجيه وأخصّ بالذِكر الشيوخ الفضلاء الذين راجعوا هذا البحث: وهم كلٌ من: الشيخ / عثمان محمد الخميس، والشيخ / د. وليد خالد الربيع، والشيخ / د. عبد الرحمن صالح الجيران حفظهم الله جميعاً.

وكتبه

عيسى مال الله فرج

الأربعاء ٦ شعبان ١٤٢٧ هـ

الموافق ٣٠ / ٨ / ٢٠٠٦ م

لماذا ... الدروس في المنهج السّلفي؟

تأتي هذه السلسلة من الدروس العلمية للدعوة السّلفية لتحقيق أهداف عدة منها:

١- **تعريف**: الناس عامة والشباب خاصة بمنهج السّلف الصالح.

٢- **تصحيح**: جملة المفاهيم الخاطئة حول مفهوم السّلف والسّلفية.

٣- **رصد**: محاولات إنكار أو تمييع مفهوم السّلفية أو إلباسها غير ثوبها.

٤- **الردّ على**: إنكار بعض المتأخرين أن يكون للسّلف منهج في الاعتقاد وفي الدعوة إلى الله تعالى.

٥- **إبطال**: الدعوى القائلة بأن منهج السّلف أسلم، ومنهج الخلف أعلم وأحكم، وأن إطلاق لفظ (السّلف) بدعة في هذا الدين وأنه مذهب خامس!

٦-**للاعتقاد**: أنه لا سعادة وفلاح واطمئنان، ولا عزّ لنا في الدنيا بالنصر والتمكين ولا نجاة لنا في الآخرة من النار ودخول جنة النعيم: إلا بالسّير على هذا المنهج القويم.

٧- **تعرية**: من يدّعي السّلفية وهو ليس كذلك؛ فالمنهج يكشف زيف هذا الادعاء؛ وأن الانتساب لمذهب السّلف مستلزم للعمل بموجبه، وأن التسمية وحدها غير كافيه في الانتساب إليهم رضوان الله عليهم.

خطة البحث

مقدمة:

الفصل الأول: بيان معنى منهج السَّلف.

وفيه مبحث واحد:

مبحث: التعريف بالمنهج وأهميته.

والتعريف بالسَّلف لغتاً واصطلاحاً.

الفصل الثاني: اتباع منهج السِّلف وبيان تميزه:

وفيه مبحث واحد:

مبحث: وجوب اتباع منهج السّلف.

الفصل الثالث: ألقاب السلف:

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: أهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني: أهل الحديث.

المبحث الثالث: السواد الأعظم.

المبحث الرابع: الفرقة الناجية.

المبحث الخامس: الطائفة المنصورة.

المبحث السادس: الغرباء.

الفصل الرابع: أهم أصول منهج السّلف في العقيدة:

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: حصرهم لمصدر التلقي في الاعتقاد على الكتاب والسنة وإجماع السَّلف.

المبحث الثاني: احتجاجهم بالسنة الصحيحة مطلقاً.

المبحث الثالث: فهم النصوص على ضوء أقوال السلف.

المبحث الرابع: التسليم بما جاء به الوحي.

المبحث الخامس: الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة.

المبحث السادس: الإيمان بالمتشابه والعمل بالمحكم.

المبحث السابع: عدم الخوض في عِلم الكلام.

الفصل الخامس: خصائص المنهج السَّلفي ومميزاته:

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: السهولة والوضوح.

المبحث الثاني: الاتفاق على المنهج.

المبحث الثالث: الاجتماع على الحق.

المبحث الرابع: العدل والإنصاف.

المبحث الخامس: الوسطية.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: أسماء الله تعالى وصفاته.

المطلب الثاني: أفعال الله تعالى (القضاء والقدر).

الفصل السابع: نتائج وثمرات الالتزام بمنهج السّلف.

وفيه ثمان مباحث:

المبحث الأول: تحقيق كمال الدين وإتمام النعمة وقيام الحجة.

المبحث الثاني: ثبوت العصمة للشارع.

المبحث الثالث: التصديق بجميع نصوص الكتاب والسنة.

المبحث الرابع: تعظيم نصوص الكتاب والسنة.

المبحث الخامس: ربط المسلم بسلفه الصالح وبالعلماء الربانيين.

المبحث السادس: السكوت عمّا سكت عنه السلف.

المبحث السابع: توحّد صفوف المسلمين وتجمع كلمتهم.

المبحث الثامن: الهداية والنصر والتمكين في الدنيا، والنجاة والفوز في الآخرة.



الفصل الأول:
بيان معنى منهج السَّلف

مبحث: التعريف بالمنهج وأهميته والتعريف بالسَّلف لغتاً واصطلاحاً

الفصل الأول
بيان معنى منهج السلف

مبحث: تعريف المنهج

المنهج في اللغة: الطريق البيِّن الواضح

قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

قال ابن عباس: «سبيلا وسنّة».

المنهج في الاصطلاح: القواعد والضوابط التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية[١] كقواعد اللغة العربية وأصول العقيدة والفقه والتفسير حيث تضبط هذه العلوم دراسة الإسلام وأصوله.

أهمية المنهج:

إن المنهج يحفظ للعلم نظامه واتساقه، كما إنه يضبط العقل البشري، والأعمال الذهنية، بقواعد ثابتة، بحيث تعينه على الوصول إلى الحقيقة فيما يبحثه من موضوعات.

أن شرط قيام العلم وتقدمه، أن تكون هناك طريقة صحيحة تحوي شتات الوقائع والمفردات المبعثرة هنا وهناك، وتربط العلاقة بينها، فتقدُّم العِلم وتأخره مرتهن بمسألة المنهج، يدور معها وجوداً وعدماً[٢].

تعريف السّلف:

(السَّلف) في اللغة: يُطلق السّلف ويراد به معانٍ[٣] كثيرة منها:

الأول: التسوية؛ ومنه المِسلفة - بكسر الميم، شيء تسوى به الأرض.

---

(١) وهو المعنى المراد بهذا البحث. منهج البحث العلمي عند العرب - جلاب موسى (٢٧١).
(٢) منهج الاستدلال ١ / ٢١ لعثمان بن علي حسن .
(٣) ومن معانيه: ١- القرض ٢- صفحة العنق ٣- ملساء

الثاني: بمعنى السَّلم: وهو نوع من أنواع البيع، يُعجّل فيه الثّمن وتضبط السِلعة بالوصف إلى أجل معلوم.

الثالث: بمعنى من مضى وتقدم، فسّلف الإنسان من تقدمه بالموت من أبائه وذوي قرابته، ولهذا سُميَّ الصدر الأول من التابعين بالسَّلف الصالح وهو الأغلب عند الاطلاق(١).

القرآن: قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقال عن فرعون وقومه: قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦].

السنة: قال رسول الله ﷺ «إن الله إذا أراد رحمة أمة قبض نبيها فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها»(٢).

وقوله لفاطمة رضي الله عنها: «ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وإنكِ أول أهلي لحوقاً بي، ونِعم السَّلف أنا لكِ»(٣).

السَّلف في الاصطلاح:

السَّلف يراد بهم الصحابة(٤) رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان وتابعوهم، وأئمة الإسلام العدول ممن اتفقت الأمة على إمامتهم وعِظم شأنهم في الدين وتلقّى المسلمون كلامهم خلفاً عن سلف بالقبول، دون من رُمي ببدعة أو لقب غير مرضيّ: كالخوارج، والرافضة، والقدرية، والمرجئة والأشعرية، والمعتزلة، والجهمية ونحوهم(٥).

---

(١) مختار الصحاح ٢٦٤، والنهاية في غريب الحديث ٢ / ٣٨٩ - ٣٩٠ لابن الأثير، والمفردات للراغب الأصفهاني.
(٢) رواه مسلم (٢٢٨٨).
(٣) رواه أحمد ٦/ ٢٨٢ ومسلم ٢٤٥٠.
(٤) وهو المعنى المقصود بهذا البحث.
(٥) لوامع الأنوار البهية ١/ ٢٠. وهؤلاء السّلف زماناً وتاريخاً وهو المدلول الخاص بلفظ السلف.

كما قال ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[١].

وقد يُطلق السَّلف[٢]: ويُقصد به كل من التزم طريق القرون الثلاثة وسار على منهجهم.

وقال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[٣].

ما هي السَّلفية ؟

السَّلفية: هي المنهج الذي اعتمده وسار عليه السَّلف الصالح في اعتقاداتهم، ومعاملاتهم، وأحكامهم وتربيتهم، ودعوتهم، وتزكية نفوسهم.

وهذا المنهج في تلقي الدين وفهمه والعمل به والدعوة إليه هو المقصود في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السَّلفية هي اتباع منهج النبي ﷺ وأصحابه، لأنه من سلفنا، الذين تقدموا علينا، فاتِّباعهم هو السلفية»[٤].

من هو السَّلفي؟

السَّلفي: «هو كل من كان على مذهب السَّلف»[٥]. عقيدةً وشريعة وخُلُقاً ودعوةً.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن السَّلف هم أهل القرون المفضلة، فمن اقتفى أثرهم وسار على منهجهم فهو السَّلفي، ومن خالفهم في ذلك فهو من الخلف[٦].

---

(١) رواه أحمد رقم: ٣٥٩٤ والبخاري رقم: ٦٠٦٥٠ ومسلم رقم: ٢٥٣٣ .
(٢) وهؤلاء هم السَّلف طريقة وحالًا واقتداء وهو المدلول العام بلفظ السّلف.
(٣) رواه أحمد ٢٠٣٧٧، ورواه البخاري رقم: ٣٤٤٢ ومسلم: ١٩٢٠ .
(٤) لقاء الباب المفتوح، السؤال رقم ١٣٢٢
(٥) قاله الحافظ الذهبي (كتاب سير أعلام النبلاء ٦/ ١٢).
(٦) انظر الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحقيق الدكتور أحمد بن عبد المحسن التويجري ص ١٨٧ .



الفصل الثاني
اتباع منهج السَّلف وبيان تميزه

مبحث
وجوب اتباع منهج السَّلف

مبحث
وجوب إتباع منهج السَّلف

يجب أن يُعلم بأن اتباع السَّلف الصالح رضوان الله عليهم ليس للعبد فيه اختيار بل هو واجب من الواجبات الشرعية وذلك للأدلة التالية:

الدليل من القرآن:

١) قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع وقد تكون لما أَجمعت عليه الأمة المحمدية، فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا، فإنه قد ضُمِنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، تشريفًا لهم وتعظيما لنبيهم[(١)].

ولا شك أن منهج السَّلف - وهم الصحابة والتابعون، ومن سار على هديهم - هو سبيل المؤمنين في العقيدة والعمل.

١) وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فهذا مدح من الله تعالى لسبيل الصحابة والتابعين لهم بإحسان في مسائل العقائد والأعمال، وبيان ما أعدّ لهم من النعيم، وهذا دليل رضاه عن ذلك المنهج ولزوم اتباعه.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير.

الدليل من السنة:

١) **قوله** ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[١].

٢) عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله ! كأنها موعظة مودع، فأوصنا قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسّمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[٢].

فهذان الحديثان يدلان على فضل الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأن سبيلهم هو سبيل النجاة من الفتن والاختلاف وهذا مما يدل على لزوم اتباعه والعمل به.

الدليل من أقوال السّلف:

- قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفِيتم، كل بدعة ضلالة»[٣].

- قال الأوزاعي رحمه الله: «اصبر على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا وكفّ عما كفّوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم»[٤].

وقال أيضاً: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول فإن الأمر ينجلي وأنت منه على صراط مستقيم»[٥].

---

(١) رواه أحمد رقم: ٣٥٩٤ والبخاري رقم: ٦٠٦٥٠ ومسلم رقم: ٢٥٣٣ .

(٢) رواه أحمد ٤/١٢٦ - ١٢٧، وأبو داود ٤٦٠٧ والترمذي ٢٦٧٦ والدارمي رقم ٩٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٥٤٦ .

(٣) كتاب الزهد لوكيع بن الجراح ٣١٥ وكتاب الزهد للإمام أحمد ٢/ ١١٠ وابن وضاح ص١٠ والدارمي في المقدمة باب كراهية الأخذ بالرأي ص: ٦٩ وصححه الشيخ مشهور بن حسن آل سليمان انظر الاعتصام للشاطبي ١ / ١٢٥ .

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (٥٨) والخطيب في شرف أصحاب الحديث (٧).

(٥) رواه البيهقي في المدخل (٢٣٣) والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث رقم ٦ والآجري في«الشريعة» ١/ ١٩٣ / ١٣٣ .

وعنه أيضاً أنه قال: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فاتبعه برسالته. ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه[(١)].

- وعن عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «ليكن الذي تعتمد عليه هو الأثر، وخذ من الرأي ما يُفسِّر لك الحديث»[(٢)].

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً»[(٣)].

- قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... فللناس في هذا مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضعاً لبسطها، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السَّلف الصالح كمالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق»[(٤)].

طريقة السلف: أسلم، وأعلم، وأحكم

إن الذين يقولون: طريقة السّلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، وهي التأويل الذي هو صرف النصوص إلى معنى قد تحتمله اللغة، لكن في غير هذا السياق المعين والتأويل عندهم مظنون بالاتفاق[(٥)]. فلا أحد منهم يقطع بالمعنى الذي صرفوا اللفظ إليه

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٧٩ برقم ٣٦٠٠ وصحح إسناده محققه أحمد شاكر والحاكم في المستدرك ٣/ ٧٨ والطبراني في المعجم الكبير (٩ / ٨٥٨٢) وحسنه السخاوي في المقاصد الحسنة وحسن إسناده الألباني الضعيفة ٢/ ١٧ أما المرفوع فقال الألباني لا أصل له.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ٢/ ٣٤٦ / ١٠٧٣ وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢/ ١٠٥٠/ ٢٠٢٣ . وصححها أبو عبد الله الداني بن منير آل الزهوي في سلسلة الآثار الصحيحة ١/ ٢٩٥ .

(٣) مجموع الفتاوى (٤ / ١٤٩)

(٤) الفوائد السنية (٢٧).

(٥) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١ / ١٠٤ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن هؤلاء المبتدعين الذين يُفضِّلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف: إنما

لم يحصِّلوا شيئاً، بل تركوا النصوص وفيها الحق واليقين، ولجؤوا إلى احتمالات وتجويزات مزقتهم كل ممزق، مع حيرة وضياع:

- قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فهم - أي أهل الكلام - متفقون فيما بينهم على أن طريق السَّلف أسلم، ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم، فكان غاية ما ظفروا به من هذه الأعلمية لطريق الخلف أن تمنى محققوهم وأذكياؤهم في آخر أمرهم دين العجائز، وقالوا: «هنيئا للعامة»، فتدبر هذه الأعلمية التي حاصلها أن يهنئ من ظفر بها للجاهل الجهل البسيط، ويتمنى أنه في عدادهم، وممن يدين بدينهم، ويمشي على طريقهم، فإن هذا ينادي بأعلى صوت، ويدل بأوضح دلالة على أن هذه الأعلمية التي طلبوها: الجهل خير منها بكثير، فما ظنك بعلم يقر صاحبه على نفسه أن الجهل خير منه، وينتهي عند البلوغ إلى غايته والوصول إلى نهايته أن يكون جاهلًا به عاطلًا عنه، ففي هذا عبرة للمعتبرين وآية بينة للناظرين...».

- وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد حفظه الله: «كن على جادة السَّلف الصالح كُن سلفياً على الجادّة، طريق السَّلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم، ممن قفا

أتوا من حيث ظنوا: إن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث، من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال اللّه فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات.

فهذا الظن الفاسد أوجب «تلك المقالة» التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.
وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة، التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر، وكان مع ذلك لابد للنصوص من معنى، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى - وهي التي يسمونها طريقة السلف - وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلّف - وهي التي يسمونها طريقة الخلف - فصار هذا الباطل مركّباً من فساد العقل والكفر بالسمع» (مجموع الفتاوى ٥/ ٨، ٩).

(١) التحف في مذاهب السلف ص: ٣، ٤ .

أثرهم في جميع أبواب الدين: «من التوحيد، والعبادات ونحوها» متميزاً بالتزام آثار رسول الله ﷺ وتوظيف السنن على نفسك، وترك الجدال والمراء والخوض في عِلم الكلام وما يجب من الآثام[١].

عصمة علوم أهل السنة:

والخلاصة: أن مما يوجب اتباع منهج السَّلف هو أن أهل السنة معصومون فيما يأخذونه من إجماع الصحابة والتابعين، لأن إجماعهم حجة.

* * *

(١) حلية طالب العلم (٣٤).

الفصل الثالث:

أسماء السَّلف وألقابهم

المبحث الأول: أهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني: أهل الحديث.

المبحث الثالث: السواد الأعظم.

المبحث الرابع: الفرقة الناجية.

المبحث الخامس: الطائفة المنصورة.

المبحث السادس: الغرباء.

الفصل الثالث:
اسماء السَّلف والقابهم

وللسَّلف عدة ألقاب، لوحظ في كل لقب صفة يتصفون بها ومن ذلك ما يأتي:

المبحث الأول:
أهل السنة والجماعة

السنة في اللغةً: الطريقة والسيرة: حسنة كانت أم سيئة[١].

قال خالد بن عتبة الهُذلي:

فلا تجزعن من سيرةٍ أنت سرتها فـأولُ راض سـنـةً مـن يـسـيُرهـا

وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سُنّةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أُجورهم شيءُ، ومن سنَّ في الإسلام سُنةً سيئة فعليه وزرها، ووزِرُ من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[٢].

السنة في الشرع:

والسنة إذا أُطلقت في الشَّرع: فإنما يُراد بها ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه ونَدَب إليه قولًا وفعلًا، مما لم ينطق به الكتاب العزيز.

ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسنة، أي القرآن والحديث[٣].

السنة في الاصطلاح:

أما السنة في الاصطلاح فهي تختلف بحسب اختلاف أهل كل فن:

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٢ / ٤٠٩ ابن الأثير، والمصباح المنير ٢٩٢ .
(٢) رواه أحمد رقم (١٩١٧٩) ومسلم ٢ / ٧٠٥ و ٤ / ٢٠٥٩ وغيرهما
(٣) النهاية ٢ / ٤٠٩ ابن الأثير.

أ- **فعلماء الحديث**: بحثوا عن رسول الله ﷺ الإمام الهادي القدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخُلق، وشمائل وأخبار، وأقوال، وأفعال، سواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا[١].

فقالوا: «السنة: هو كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صِفة خَلقية أو خُلقية سواء قبل البعثة أو بعدها». فعندهم أن السنة مرادفه للحديث.

ب- **وعلماء الأصول**: بحثوا عن رسول الله ﷺ المشِّرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويبين للناس دستور الحياة ولذلك عنوا بأقواله، وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها[٢].

فقالوا: «السنة: هي ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن»[٣].

فيشمل قوله ﷺ وفعله، وتقريره، وكتابته، وإشارته، وهمَّه، وتركه[٤].

ج - **أما علماء الفقه**:

فبحثوا عن رسول الله ﷺ الذي تدلُ أفعاله على حكم شرعي وهم يبحثون عن حكم الشرع في أفعال العباد وجوباً، أو حُرمة، أو إباحة أو غير ذلك[٥].

فقالوا: «السنة: كل ما ثبت عن النبي ﷺ ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض ولا وجوب»[٦].

فهي عندهم ترادف: المندوب أو المستحب.

---

(١) السنة قبل التدوين ١٥ د. محمد عجاج الخطيب.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الفقيه والمتفقه ١ / ٨٦ للخطيب البغدادي وشرح الكوكب المنير ٢ / ١٦٠ لابن النجار الفتوحي.
(٤) جامع العلوم والحكم ٢ / ١٢١ وانظر مجموع الفتاوى ١ / ٢٨٢ .
(٥) السنة قبل التدوين ١٦ .
(٦) المصدر السابق ١٨ .

وقد تُطلق السنة عند الفقهاء في مقابل البدعة(١).

ومـن ذلك قـولهـم: «فلان على السنة» إذا عمل على وفق عمل النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

وقد تُطلق السنة ويقصد بها:

الأول: الإسلام العام: المتضمن لما جاء به الرسول ﷺ: من عِلم نافع وعمل صالح.

كما قال البربهاري: «اعلم أن الإسلام هو السنة، وأن السنة هي الإسلام...»(٢).

الثاني: ما كان علية الرسول ﷺ: وأصحابه من العقيدة الصحيحة.

إطلاقات مصطلح أهل السنة

ولمصطلح أهل السنة إطلاقان: إطلاق عام، و إطلاق خاص.

فالإطلاق العام: والمراد به ما يكون في مقابل الرافضة؛ فيدخل في مفهوم أهل السنة جميع الفِرق المنتسبة إلى الإسلام - عدا الرافضة -؛ وعليه يصح تقسيم المسلمين إلى سنة ورافضة.

والإطلاق الخاص: والمراد به ما يكون في مقابل أهل البدع، والفِرق والمقالات المحدثة كالخوارج والرافضة والجهمية، والمعتزلة، والمرجئة، والأشاعرة، والصوفية... وغيرهم من أهل البدع؛ فهؤلاء لا يدخلون في مفهوم أهل السنة بالإطلاق الخاص(٣).

معنى الجماعة:

الجماعة في اللغة: من جَمَعَ، يقال جَمَعَ المتفرِق، والجماعة ضد الفُرقة(٤)، وقد

---

(١) إرشاد الفحول ٣١ للشوكاني رحمه الله.
(٢) شرح السنة للبربهاري ٢١ .
(٣) منهج الاستدلال ١/ ٢٨ - ٨٤ د. عثمان بن علي حسن .
(٤) لسان العرب ٨ / ٥٣ .

تُطلق الجماعة ويُراد بها الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان، ومن نهج نهجهم إلى يوم الدين وقد لحظ فيه اجتماعهم على الحق المدلول عليه بالكتاب والسنة، كما لوحظ فيه اجتماعهم حول أئمة العدل من المسلمين، مع قيامهم بحق النصيحة لهم والجهاد معهم والانضواء تحت لوائهم وإن جاروا وظلموا، كما قال ﷺ: «عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة»[١]. وعندما سُئل عن الفرقة الناجية ؟

قال ﷺ: «هي الجماعة». وقد اختلف أهل العلم بالمراد بالجماعة في هذا الحديث ونحوه على أقوال، أهمها خمسة وهي[٢]:

الأول: أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام، ويدخل فيهم أهل العلم والاجتهاد، دخولا أوّلياً.

الثاني: أنها جماعة المجتهدين دون غيرهم من الناس، وهو اختيار البخاري[٣] والترمذي[٤].

الثالث: أنها جماعة الصحابة على وجه الخصوص.

الرابع: أنها جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمر ما، وهو الإجماع.

الخامس: أنها جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، فلا يجوز الخروج عليهم فيه؛ وهو اختيار أبي جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥].

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٦٢١ .

(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي ٢ / ٢٦٠ - ٢٦٥ وفتح الباري ١٣ / ٣٧ .

(٣) انظر صحيح البخاري ١٣ / ٣١٦ «فتح الباري » باب و«كذلك جعلناكم أمة وسطا» وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة وهم أهل العلم (كتاب الاعتصام بالسنة) .

(٤) انظر سنن الترمذي ٦ / ٣٣٥ كتاب الفتن - باب ما جاء في لزوم الجماعة .
تابع حديث رقم ٢١٦٨ .

(٥) انظر فتح الباري ١٣ / ٣٧ .

وبهذا يظهر معنى السنة والجماعة والذي لا بد فيه من أربعة أمور هي:

أ - الاقتداء بالرسول ﷺ وصحابته الكرام.

ب- الاجتماع على الحق الذي دلّ عليه الكتاب والسنة.

ج- الالتفاف حول أولياء الأمور من المسلمين.

د- السّير على المنهج المتبع ي العلم وهو دين الله الذي جاء به الرسول ﷺ وثبت عليه أصحابهُ ﷺ والأئمةُ والتابعون وتابعوهم.

***

المبحث الثاني:

أهل الحديث

وهم كل من اتخذ السنة النبوية مصدراً للتلقي في باب العلم والعمل. (إسنادا ومتناً وفقهاً وعملًا).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن الطائفة المنصورة: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم»[(١)].

وقال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ في الطائفة المنصورة: «هم عندي أصحاب الحديث»[(٢)].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونحن لا نعني بأهل الحديث: المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه، ومعرفته، وفهمه: ظاهراً وباطناً واتباعه باطناً وظاهراً وكذلك أهل القرآن، وأدنى خصلة في هؤلاء: محبة القرآن والحديث؛ والبحث عنهما وعن معانيهما، والعمل بما عملوه من موجبهما...)[(٣)] فهم أعلم الناس بأقواله ﷺ وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها، واتباع لها: تصديقاً، وعملًا، وحباً وموالاة لمن والاها وبغضاً ومعاداة لمن عاداها»[(٤)].

---

(١) شرف أصحاب الحديث للبغدادي ص ٢٥ رقم ٢٤ .

(٢) شرف أصحاب الحديث ص ٢٦ رقم ٤٧ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/ ٩٥ .

(٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ٣٤٧ .

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ:

دين النبي محمد أخبار ... نعم المطية للفتى آثارُ
لا ترغبن عن الحديث وآله ... فالرأي ليل والحديث نهارُ(١)

وقال السّفَاريني رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعلم هُديت، أنه جاء الخبر ... عن النبي المقتفى خير البشر
بأن ذي الأمة سوف تفترق ... بضعاً وسبعين اعتقاداً والمحق
ما كان في نهج النبي المصطفى ... وصحبه من غير زيغ وجفا
وليس هذا النّص جزما يعتبر ... في فرقة إلا على أهل الأثر(٢)

* * *

(١) ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٤٣) .
(٢) لوامع الأنوار البهية ١/ ٧٤، ٧٦ .

المبحث الثالث:
السواد الأعظم

والمراد بهذا الإطلاق: أن رسول الله ﷺ وصحابته هم الأكثرون الذين تمسكوا بالحق المنزَّل من عند الله، الذين يجب اتخاذهم قدوةً في الحق فيُتمسك بما تمسكوا به.

قال الرسول ﷺ: «إنَّ الله تعالى لا يجمَعُ أمتي على ضلالةٍ، ويدُ اللهِ مع الجماعة...»[١].

المبحث الرابع:
الفرقة الناجية

وإنما وُصِفت بالنجاة: لأنها خرجت عن مفهوم الوعيد في قوله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة... والذي نفس محمد بيده، لتفترقنَّ أُمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة؛ فواحدة في الجنةِ، واثنتان وسبعون في النار»[٢].

إذ سِواها مستحق للوعيد وأما هي فالوعيد منفي عنها من حيث الجُملة وإن كان بعضها قد يستحق وعيداً آخر غير الوعيد المترتب على الفُرقة.

---

(١) رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني في الجامع رقم ١٨٤٤ .
(٢) رواه ابن ماجة رقم ٣٩٩٢ وصححه الألباني صحيح الجامع ١٠٨٢ .

المبحث الخامس:
الطائفة المنصورة

ووُصِفت بالمنصورة:

أ- إما لأن الله ينصرها ويؤيدها وينصرها على من سواها ممن تزعّم البدع والباطل والكفر.

ب- أو لأنها ناصرة للحق مدافعة عنه ومحافظة له.

وكِلا المعنيين صحيح ولا تنافي بينهما ولا تضاد، من هذا الوصف قوله ﷺ: «إذا فسد أهل الشام؛ فلا خير فيكم لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»[(١)].

المبحث السادس:
الغُرباء

ويُقصد به بيان أنهم في الأزمان المتأخرة يكونون قِلة بين الأُمة المحمدية مع قوتهم وعزتهم، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ في أول الإسلام في قِلتهم مع قوتهم في الحق وكمال تمسكهم به ويدل على اتصافهم بهذا النوع من الغربة قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء[(٢)] وفي رواية: «قلنا: من هم يا رسول الله ؟» قال: «الذين يَصلحون حين يفسد الناس». وفي رواية: «الذين يُصلِحون ما أفسد الناس» وفي رواية: «الذين يُحيون سنتي من بعدي ويعلمونها للناس».

* * *

---

(١) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٤٠٣ .

(٢) رواه مسلم رقم الحديث ١٤٥ وابن ماجة رقم الحديث ٣٢٢١.

الفصل الرابع:
أهم أصول منهج السَّلف في العقيدة

المبحث الأول: حصرهم لمصدر التلقي في الاعتقاد على الكتاب والسنة وإجماع السلف

المبحث الثاني: احتجاجهم بالسنة الصحيحة مطلقاً.

المبحث الثالث: فهم النصوص على ضوء أقوال السَّلف.

المبحث الرابع: التسليم بما جاء به الوحي.

المبحث الخامس: الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة.

المبحث السادس: الإيمان بالمتشابه والعمل بالمحُكم.

المبحث السابع: عدم الخوض في علم الكلام.



المبحث الأول: حصرهم لمصدر التلقي
في باب الاعتقاد على الكتاب والسنة وإجماع السَّلف

ونقصد بمصدر التلقي: المنبع الذي يُستمد منه الدِّين بشكل عام، والعقيدة بشكل خاص ذلك لأن العقيدة غيبٌ والغيب هو ما غاب عن الحواس فهي توقيفية، فلا يثبت منها شيء بغير الوحيين (الكتاب والسنة) وإجماع السلف لأن إجماعهم معصوم.

لهذا حصر السَّلف مصدرهم في تلقي أمور الاعتقاد على الكتاب والسنة وإجماع السَّلف؛ فالإيمان بالغيب (الأمور العقدية) هي أول صفة من صفات المتقين، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ١-٣].

فحقيقة الإيمان: التصديق التام بما أخبرت به الرسل المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر، إنما الشأن

في الإيمان بالغيب الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به لخبر الله وخبر رسوله ﷺ.

فهذا الإيمان الذي يُميَّز به المسلم من الكافر، لأنه تصديق مجرد لله ورسوله ﷺ فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله ﷺ سواء شاهده أو لم يشاهده، وسواء عقله وفهمه أو لم يهتد إليه عقله وفهمه، بخلاف الزنادقة والمكذبين بالأمور الغيبية، لأن عقولهم القاصرة المقصِرة لم تهتد إليها، فكذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ففسدت عقولهم ومرِجت أحلامهم، وزكت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدى الله.

ويدخل في الإيمان بالغيب: الإيمان بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلية وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله وكيفيتها، وما أخبرت به الرسل

من ذلك فيؤمنون بصفات الله ووجودها ويتيقنونها وإن لم يفهموا كيفيتها(١).

فالمصدر الأول القرآن:

تعريفه: «هو كلام الله حقيقة، المنزَّل على رسوله ﷺ وحيا، المُتعبد بتلاوته المنقول إلينا بالتواتر، والمحفوظ من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان».

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

المصدر الثاني السنة:

تعريفها: هي «ما ثبت عن النبي ﷺ من قول أو فعلٍ أو تقرير».

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣].

وقال ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»(٢).

المصدر الثالث: الإجماع

الإجماع عند الأصوليين (الاصطلاح): «هو اتفاق مجتهدي لعصر من العصور من أمة محمد صلى ﷺ على حكم شرعي بعد وفاته»(٣).

الأدلة على لزوم الاقتصار في مسائل الاعتقاد على الكتاب والسنة والإجماع:

أولًا: القرآن

١- قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

٢-وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٢٩-٣٠ لابن سعدي رحمه الله.

(٢) رواه أحمد رقم: ١٧٢١٣ وأبو داود رقم: ٤٦٠٤ وصححه الألباني صحيح الجامع رقم: ٤٤٠٨.

(٣) الشوكاني (إرشاد الفحول ٧٣، الآمدي ٤/ ١١٥)، ومعالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة) للجيزاني.

٣- وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢-٣].

٤- وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

٥- وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر: ٧].

٦- وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] قال ابن القيم رحمه الله، قال غير واحد من السلف: «هم أصحاب محمد ﷺ» ولا ريب أنهم أئمة الصادقين، وكل صادق بعدهم فبهم يأتم في صدقه بل حقيقة صدقه اتباعه لهم وكونه معهم، ومعلوم أن من خالفهم في شيء- وأن وافقهم في غيره- لم يكن معهم فيما خالفهم فيه، وحينئذ فيصدق عليه أنه ليس معهم[1].

٧- وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، ووجه الدلالة بهذه الآية: أن اللَّه توعّد من اتبع غير سبيل المؤمنين فدلّ أنه حرام، فيكون اتباع سبيل المؤمنين واجباً، إذ ليس هناك قسم ثالث.

ثانياً: السنة:

١- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبي ﷺ، فغضب، فقال: «أمتهوّكون[2] فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى

(١) المصدر السابق ١٣٢ وقد ذكر ابن القيم اثنتي عشر دليلًا من القرآن وانظر إعلام الموقعين ١٢٤- ١٢٥ .

(٢) رواه الترمذي الحاكم وصححه الألباني الجامع ٣٢٩٤ .

ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»(١).

٢- وعن عبيد الله بن رافع عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «لا أُلفينَّ أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمرُ من أمري مما أمرتُ به، أو نهيتُ عنه، فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»(٢).

٣- ما ثبت عن النبي ﷺ قوله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمَّنون، ويحبون السِّمن، يُعطُون الشهادة قبل أن يُسألوها»(٣)، وذلك يقتضي تقديمهم من كل باب من أبواب الخير، وإلا لو كانوا خيراً من بعض الوجوه، فلا يكونون خير القرون مطلقاً، فلو جاز أن يخطيء الرجل منهم في حكم، وسائرهم لم يُفتوا بالصواب، وإنما ظفر بالصواب من بعدهم وأخطؤوا هم لزم أن يكون ذلك القرن خيرا منهم في ذلك(٤).

ثالثاً: الإجماع:

١- قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحداً أَخْبر عن رسول الله ﷺ، إلا قُبِل خبره، وانتُهِيَ إليه، وأُثبِتَ ذلك سنةً(٥).... فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارقاً سبيل أصحاب رسول الله ﷺ وأهل العلم من بعدهم إلى اليوم وكان من أهل ربما الجهالة»(٦).

---

(١) أمتهوّكون: التَّهُوُّك كالتَّهُوُّر وهو الوُقُوع في الأمْرِ بِغَيْرِ رَوِيَّة. والمُتَهَوِّك: الذي يقَعَ في كُلِّ أمْرِ. وقيل: هُوَ التَّحَيُّر. (النهاية في غريب الأثر).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٧) وأخرجه الدارمي (١/ ١١٥) وابن أبي عاصم في السنة (٥/ ٢) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٢٤) انظر إرواء الغليل ١ / ٣٤ . - وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: حديث حسن.

(٣) رواه أحمد ٣/ ٣٦٧، ٤ / ١٣١، ١٣٢ / ٦/ ٨ والترمذي رقم: ٢٦٦٣ وأبو داود رقم: ٤٦٠٥ وابن ماجه رقم: ١٣ وصححه الألباني صحيح الجامع (٧١٧٢) .

(٤) إعلام الموقعين ١٣٦ .

(٥) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة لجلال الدين السيوطي رقم: ١٤٣ ص ٥٩ تحقيق الشيخ بدر البدر دار الهدي النبوي مكتبة ابن تيمية الكويت .

(٦) المصدر السابق رقم ١٣٥ ص ٦٠ .

٢- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين والإجماع الذين ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح.

إذا بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة»[١].

رابعاً: من أقوال السَّلف:

١- قال أيوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا حُدِّث الرجل بالسنة. فقال: «دعنا من هذا وحدثنا من القرآن! فاعلم أنه ضال مُضل».

٢- وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وذلك أن السنة جاءت قاضية على الكتاب ولم يجئ الكتاب قاضياً على السنة»[٢].

٣- عن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «بينما عمران بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحدِّث عن سنة نبينا ﷺ إذ قال له رجل: «يا أبا نجيد! حدثنا بالقرآن»! فقال له عمران: «أنت وأصحابك تقرؤون القرآن، أكنتَ محدثي عن الصلاة وما فيها، وحدودها؟ أكنت مُحدثي عن الزكاة في الذهب والإبل والبقر وأصناف المال؟ لكن شهدتُ وغبتَ أنت»، ثم قال: «فرض علينا رسول الله ﷺ في الزكاة كذا وكذا» فقال الرجل: «أحييتني أحياك الله»، قال الحسن: «فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين»[٣].

٤- وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «من كان متأسياً فليتأسَّ بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا وأحسنها حالًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوا آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[٤].

---

(١) العقيدة الواسطية ١/ ٣٠ .

(٢) أخرجه الحاكم في المعرفة ص ٦٥ والهروي ٣٠/ ١ وصحح إسناده **الشيخ بدر البدر** انظر مفتاح الجنة في الاجتماع بالسنة للسيوطي ص ٦١ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر .

(٤) رواه أحمد وغيره.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن المحال أن يحرم الله أبرَّ هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا، الصواب في أحكامه، ويوفق له من بعدهم»(١).

٥- قال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا أجمعت الصحابة على شيء سَلّمنا».

٦- داود الظاهري، وابن حبان، والإمام أحمد بن حنبل: «الإجماع أن يتبع ما جاء من النبي ﷺ وعن أصحابه وهو في التابعين مخيرّ (وهذا محمول على آحاد التابعين لا على جماعتهم)».

٧- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر مني بل يؤخذ عن الله ورسوله وما أجمع عليه سلف الأمة فما كان في القرآن وجب اعتقاده وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم وأما الكتب فما كتبت إلى أحد كتابا ابتداء أدعوه به إلى شيء من ذلك ولكني كتبت أجوبة أجبت بها من يسألني من أهل الديار المصرية وغيرهم وكان قد بلغني أنه زور على كتاب إلى الأمير ركن الدين الجاشنكير أستاذ دار السلطان يتضمن ذكر عقيدة محرفة ولم أعلم بحقيقته لكن علمت أنه مكذوب وكان يرد على من مصر وغيرها من يسألني عن مسائل في الاعتقاد وغيره فأجيبه بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة(٢).

فالخلاصة:

أن العقيدة مبناها على التسليم والاتباع، فالتسليم لله والاتباع للرسول ﷺ ثم أجماع السلف رضوان اللّه عليهم قال الزهري: «مِن الله عزّ وجلّ الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغ وعلينا التسليم»(٣).

---

(١) إعلام الموقعين ٤/ ١٣٩، وذكر ابن القيم أوجهاً كثيرة وأدلة.
(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ١٥٦/ ١٦١ وانظر إعلام الموقعين ٤/ ١٢٣- ١٣٥ لابن القيم.
(٣) رواه البخاري رقم: (٦ / ٢٧٣٧).

المبحث الثاني
احتجاج السّلف بالسنة الصحيحة مطلقاً

وذلك في باب العقيدة فهم لا يُفرِّقون بين المتواتر والآحاد. وما ورد في كتبهم من الأحاديث التي فيها مقال فلا يوردونها للتأصيل وإنما للاستئناس ويوردونها بأسانيدها.

السنة في اللغة: هي الطريقة، والسيرة: حسنة كانت أم سيئة[١].

قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

قال الزّجّاج: «والمعنى: أهل سنن، فحذف المضاف»[٢].

قال رسول الله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[٣].

السنة في الاصطلاح: «ما نُقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير»[٤].

والسنة من الوحي الذي تكفَّل الله بحفظه من حيث الجُملة، وهي تُنسب إلى الرسول ﷺ من جهة المُنشئ لألفاظها، أما معانيها فهي من الله تعالى، إما أن ينزل بها جبريل عليه السلام، أو يلهمه إيّاها مناماً،[٥] أو أن يجتهد بقول أو فعل، وهذا الاجتهاد إما أن يقره الله عليه فيرجع إلى حقيقة الوحي،أو لا يُقر فينبه إلى الصواب[٦]

---

(١) لسان العرب ١٣/٢٢٥، ٢٢٦ . انظر ص ٢١ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/٢١٦ .
(٣) رواه مسلم ٢/٧٠٥ برقم ١٠١٧ .
(٤) انظر الإحكام في أصول الأحكام ١/١٢٧ للآمدي وإرشاد الفحول ٣٣ للشوكاني .
(٥) الحديث والمحدثون ١٢ لمحمد أبو زهرة.
(٦) المصدر السابق والموافقات للشاطبي ٤/٧٢٦

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

وقال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه...»[1].

وقال ابن حزم رحمه الله: «... فصحّ أن كلام رسول الله ﷺ كله في الدين وحي من عند الله عز وجل لا شك في ذلك ولا خلاف بين أحد في ذلك من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله تعالى فهو ذِكر منزل»[2].

والمقصود بالسنة الصحيحة: الأحاديث المقبولة دون المردودة.

حجية السنة:

ومعنى أن السنة حجة: أي أنها مصدر للتشريع وتلقي الدين يلزم اتباعها ويكفر جاحدها وتقوم بها الحجة وينقطع بها العذر.

الأدلة من الكتاب:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «فأمر تعالى بطاعته، وطاعة رسوله ﷺ، وأعاد الفعل إعلاماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أُوتي الكتاب ومثله معه»[3].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وحذّر تعالى من مخالفة أمر نبيه ﷺ حيث قال عزّ وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [النور: ٥٤].

---

(١) رواه أحمد ٤/ ١٣٠، ١٣١ وأبو داود ٥/ ١٠-١٢ وصححه الألباني.
(٢) الإحكام لابن حزم ١/ ١٣٥.
(٣) إعلام الموقعين ١/ ٤٨.

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحشر: ٧].

الأدلة من السنة:

قال رسول الله ﷺ: «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: «لا أدري»، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[١].

الأدلة من آثار السلف:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال[٢]: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، والمغيرات خلق الله»، قال: بلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: «أم يعقوب»،وكانت تقرأ القرآن، فأتته، فقالت: «ما حديث بلغني عنك ! أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله»، فقال عبد الله: «ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله ؟» فقالت المرأة: «لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته، فقال: لئن كنتِ قرأتيه فقد وجدتيه»، قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

حجية حديث الآحاد في العقائد والأحكام:

أي: أن حديث الآحاد مصدر صحيح لتلقي العقائد والأحكام:

قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ فإن (ما) من ألفاظ العموم والشّمول. وهي تشمل: العقائد والأحكام.

فمن أين للذين فرّقوا بين المتواتر والآحاد هذا التفريق ؟ وما الدليل على أنه لا يجوز الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة ؟ ولهذا يحسن بنا أولًا أن نعرف ما هو الحديث المتواتر وما هو حديث الآحاد ؟

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٣٦٧، ٤/ ١٣١، ٦/ ٨ ، رواه أبو داود رقم: ٤٦٠٥ والترمذي رقم: ٢٦٦٣ وابن ماجة رقم ١٣ وصححه الألباني الجامع الصغير ١٣١٢٨ .

(٢) رواه البخاري رقم: ٤٦٠٤ ومسلم رقم: ٢١٢٥ .

إن الحديث المتواتر: «هو ما رواه جمع عن جمع[١] تُحيل[٢] العادة تواطؤهم[٣] على الكذب» كحديث: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ»[٤] فقد رواه أكثر من سبعين صحابياً.

أما حديث الآحاد[٥]: «فهو الحديث الذي لم يجمع شروط المتواتر».

الأدلة على وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة:

١- الدليل، عدم الدليل على التفريق بين العقيدة والأحكام بإثباتها بخبر الآحاد؛ فلم يرد دليل معتبر في التفريق بين العقيدة والأحكام، من حيث قبول خبر الآحاد في الأحكام دون العقيدة فهذا أمر حادث فهو بدعة في دين اللَّه، لأن هذا التفريق لا يُعرف عن أحد من الصحابة رضي اللَّه عنهم أجمعين..

٢- قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

و(الطائفة) في لغة العرب تُطلق على الواحد فما فوق.

و(الدِّين) يشمل الأحكام والعقيدة وهي الأهم؛ فلولا أن الحجة تقوم بحديث الآحاد عقيدة وحكما لما حض الله تعالى الطائفة على التبليغ حضاً عاماً.

٣- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

---

(١) عدد كبير.
(٢) تمنع.
(٣) اتفاقهم، كأن يكونوا من أقطار وأجناس ومذاهب مختلفة ويكون مستندهم الحِس.
(٤) متفق عليه.
(٥) والآحاد ثلاثة أنواع **أولها**: **مشهور**: هو ما رواه ثلاثة فأكثر في كل طبقة ما لم يبلغ حد التواتر (شرح النخبة ١١/ ١٤) **ثانيها العزيز**: وهو الحديث الذي لم يقل رواته عن اثنين في جميع طبقات السند (شرح النخبة ١٥)، **وثالثها الغريب**: هو ما رواه راو منفرد بروايته، فلم يروه غيره أو انفرد بزيادة في متنه أو إسناده (علوم الحديث لابن الصلاح ٢٤٤).

فإنها تدل على أن العدل إذا جاء بخبر فالحجة قائمة به.

٤- أن الله أرسل الرسل إلى أقوامهم آحاداً فيقيمون الحجة لله على أعدائه.

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: ٥٠]. و﴿إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [النمل: ٤٥] و﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥]

٥- سنة النبي ﷺ وأصحابه تدل على الأخذ بخبر الآحاد، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أهل اليمن قدموا على الرسول ﷺ فقالوا: «ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والإسلام». قال: فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: «هذا أمين هذه الأمة»[١].

وبعث الرسول ﷺ كثيراً من نوابه آحاداً إلى بلاد متفرقة: مثل علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، ومصعب بن عمير، وأبي موسى الأشعري وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين فتقوم بهم الحجة ويثبت العلم في العقيدة والأحكام.

وقال الشافعي رحمه الله: «وفي تثبيت خبر الواحد أحاديث يكفي بعض هذا منها ولم يزل سبيل سلفنا الصالح والقرون من بعدهم إلى من شاهدناه هذه السبيل»[٢].

وقال أيضاً: «لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد، بما وصفتُ في أن ذلك موجود على كلهم[٣].

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع، وأما الخلف فهذا- أي عدم التفريق بين المتواتر والآحاد في العقيدة- من مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعة، والمسألة منقولة في كتب الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة مثل السرخسي وأبي بكر الرازي من الحنفية، والشيخ أبي حامد وأبي الطيب من الشافعية وابن خويز منداد وغيره من المالكية، ومثل القاضي أبي يعلى وابن أبي موسى من الحنابلة».

---

(١) رواه مسلم رقم: ٢٤١٩ .
(٢) الرسالة للإمام الشافعي ٤٠١- ٤٥٣ .
(٣) «الرسالة» (٤١٠ - ٤١٩) و«روضة الناظر» (١/ ٢٧٧، ٢٧٨).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : «وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة، فإنها لم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات (العقيدة) كما تحتج بها في الطلبيات العمليات. . . ولم تزل الصحابة والتابعون وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام»[١].

وقال أيضاً: «وأما المقام الثامن وهو انعقاد الإجماع المعلوم المتيقن على قبول هذه الأحاديث وإثبات صفات الرب تعالى بها، فهذا لا يشك فيه من له أقل خبرة بالمنقول[٢].

واعلم أن جمهور أحاديث البخاري ومسلم من هذا الباب، فهذه الأحاديث تلقتها الأمة بالقبول واليقين.

ماذا ينبني على ردّ حديث الآحاد ؟

أولًا: إذا عرفنا أن الأحاديث المتواترة قليلة جدا وأن أغلبية الأحاديث آحاد فيلزمنا عدم قبول حديث الآحاد ردّ مئات بل آلاف الأحاديث الصحيحة. لا سيما في مسائل العقيدة.

ثانياً: إن هذه العقيدة مخالفة للكتاب والسنة وأقوال السّلف.

ثالثاً: يستلزم من هذه العقيدة تفاوت المسلمين فيما يجب عليهم اعتقاده.

رابعاً: نقول بأن نفس القول بعدم الأخذ بأحاديث الآحاد؛ هذا القول نفسه نقل عن آحاد، فحتى نثبته يلزمهم أن يأتوا بالتواتر وأنّى لهم ذلك، فتأمل !.

بعض مسائل الاعتقاد التي ثبتت بأحاديث الآحاد ويلزم ردّها بناء على مذهبهم الفاسد

١- **الإيمان بسؤال منكر ونكير في القبر**: قال رسول الله ﷺ: «إذا قُبر الميت أو قال: (أحدكم) أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: (المنكر) والآخر (النكير)

---

(١) مختصر الصواعق ٢/ ٣٨٣ .
(٢) «مختصر الصواعق» (٥٠٢).

فيقولان: «ما كنت تقول في هذا الرجل ؟»فيقول: «ما كان يقول» هو: «عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله». فيقولان: «قد كنا نعلم أنك تقول هذا»، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم يُنوَّر له فيه»، ثم يقال له: نم فيقول: «أرجع إلى أهلي فأخبرهم ؟» فيقولان: «نم، كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه». حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقا قال: «سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري» فيقولان: «قد كنا نعلم أنك تقول ذلك» فيقال للأرض: «التئمي عليه»، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه»[1].

٢- شفاعة النبي ﷺ العظمى في المحشر: قال ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممَّ ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يُسمعهم الداعي ويُلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحدٍ قبلي، ثم يقال: «يا محمد ! ارفع رأسك، سلْ تعطَ، واشفع تُشفَّع»، فأرفع رأسي، فأقول: «يا رب! أمتي أمتي»، فيقالُ: «يا محمَّد ! أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب»، والذي نفسي بيده، إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهَجَر[2]، أو كما بين مكة وبُصرى[3]»[4].

٣- الإيمان بأن أهل الكبائر لا يُخلَّدون في النار: قال رسول الله ﷺ: «أتاني آتٍ من عند ربي، فخيرني بين أن يُدخل نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة

---

(١) رواه الترمذي الرقم: ١٠٧١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وحسنه الألباني صحيح الجامع رقم ٧٢٦ .

(٢) هَجَرَ: قال ابن الحائك: الهجر بلغة حِميّر والعرب العاربة القرية، فمنها: هجر البحرين. [معجم البلدان للكلاباذي ٥/ ٣٩٣]. وهجرُ: بالألف واللام، وقيل: ناحية البحرين كلها هجرُ، وهو الصواب.

(٣) بُصْرَى: في موضعين، بالضم، والقصر: إحداهما بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حَوران، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً. وبُصْرَى أيضاً: من قرى بغداد قرب عُكْبَرَ، والمقصود الأول (بُصْرَى الشام) والله أعلم.

(٤) رواه أحمد رقم: ٩٦٢١ والبخاري رقم: ٧٠٧٢ ومسلم رقم: ١٩٣ .

وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً[١].

وقال ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[٢].

٤- الإيمان بالصراط: قال ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ أَلَا يَتْبَعُ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ ؟. . . . وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ فَيَمُرُّونَ عَلَيْهِ مِثْلَ جِيَادِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ وَقَوْلُهُمْ عَلَيْهِ سَلِّمْ سَلِّمْ»[٣].

٥- الإيمان بعذاب القبر وضمته، قال ﷺ: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا نَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»[٤].

وقال ﷺ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ الْبَوْلِ وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»[٥].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الميمية:

وبالسنة الغراء كن متمسكاً ... هي العروة الوثقى التي ليس تُقصمُ

تمسك بها مَسْك البخيل بماله ... وعض عليها بالنواجذ تُسلمُ

مسألة: هل يفيد خبر الواحد العلم أو الظن؟

والمراد بهذا السؤال معرفة مدى مطابقة خبر الواحد للواقع، فهل يُقطع ويُجزم بصدقه أو أن صدق خبر الواحد أمر ظنّي فيحتمل الخطأ أو الكذب، ولو بنسبة قليلة؟

مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة يمكن بيانه في أربع قواعد:

القواعد الأولى: أن خبر الواحد إذا احتفّت به القرائن أفاد العلم القاطع.

---

(١) رواه أحمد رقم: ١٨٧٩٢ والترمذي رقم: ٢٤٤١ وصححه الألباني صحيح الجامع ٥٦ .
(٢) رواه أحمد ١٣٢٤٥ وأبو داود ٤٧٣٩ والترمذي رقم: ٢٤٣٥ وصححه الألباني برقم ٣٧١٤ .
(٣) رواه الترمذي رقم: ٢٥٥٧ وأحمد رقم: ٨٨٠٣ وصححه الألباني صحيح الجامع ٨٠٢٥ .
(٤) رواه أحمد ٢٤٧٠٧ وصححه الألباني في الجامع ٢١٨٠ والصحيحة ١٦٩٥ .
(٥) ومن أمثلة ذلك الإيمان بحوض النبي ﷺ ونبوة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والعشرة المبشرين بالجنة .

وهذا ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وجمهور الأمة[١].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له أو عملًا به أنه يوجب العلم.

وهذا هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام وأنكروا ذلك، ولكن كثيراً من أهل الكلام أو أكثرهم يوافقون الفقهاء وأهل الحديث والسلف على ذلك»[٢].

القاعدة الثانية: أن خبر الواحد إذا تجرّد عن القرائن[٣] ولم يتصل به ما يدل على إفادته العلم لا يحصل به اليقين ولا يفيد العلم باتفاق، وهذا أمر لا نزاع فيه[٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «خبر الواحد بحسب الدليل الدال عليه، فتارة يُجزم بكذبه لقيام دليل كذبه، وتارة يُظن كذبه إذا لم يقم دليل أحدهما، وتارة يترجح صدقه ولا يجزم به، وتارة بصدقه جزماً لا يبقى معه شك، فليس خبر كل واحد يفيد العلم ولا الظن»[٥].

القاعدة الثالثة: القرائن نسبية، فما هو قرينة عند شخص قد لا يكون قرينة عند غيره، وربّ قرينة أفادت القطع واليقين عند شخص ولم تُفد سوى الظن عند غيره، وهكذا.

فالقرائن تختلف بحسب حال المُخْبِر عنه، وحال الخبر، وحال السامع الذي هو

---

(١) انظر: «الرسالة» (٤٦١، ٥٩٩)، و«الفقيه والمتفقه» (١/ ٩٦) و«مجموع الفتاوى» (١٨/ ٤١) و«مختصر الصواعق» (٤٦٦)، «وشرح الكوكب المنير» (٢/ ٣٤٨ - ٣٥٢) و«مذكرة الشنقيطي» (١٠٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٥١)، وانظر: (١٨/ ٤١) من المصدر نفسه.

(٣) المراد بتجرد عن القرائن في هذا المقام: تجرده عن القرائن المفيدة للعلم لا عن مطلق القرائن.

(٤) انظر: «المسودة» (٢٤٤) و«الجواب الصحيح» (٤/ ٢٩٣).

(٥) مختصر الصواعق (٤٥٥، ٤٥٦).

المُخْبَر(١).

القاعدة الرابعة: لا شك أن المعتبر في هذه القرائن المختصة بأحاديث النبي ﷺ هو ما يذكره أهل الحديث فهم أهل الاختصاص والشأن، أما أهل الكلام وأتباعهم فإنهم غاية في قلة المعرفة بالحديث، فلا يحصل لهم - بسبب ذلك - العلم بأحاديث النبي ﷺ فإنكار أهل الكلام لما عَلِمَه وَقَطَعَ به أهلُ الحديث(٢)، أقبح من إنكار ما هو مشهور من مذهب الأئمة الأربعة عند أتباعهم(٣).

* * *

(١) انظر «مختصر الصواعق» (٤٦٦ - ٤٦٨).

(٢) ذهب بعض أهل العلم إلى أن خبر والواحد الصحيح لا يكون إلا مفيداً للعلم؛ إذا الحديث الصحيح - في نظر هؤلاء - لا يتصور تجرده عن القران؛ فإذا وجدت الصحة في الخبر وحد معها أمران متلازمان: القرائن والعلم. بناء على ذلك فخبر الواحد إنما يفيد العلم لأجل القرئن لا مطلقاً. ويتضح ذلك إذا عرفنا أن هذه القرائن التي ذكرها هؤلاء ملازمة لكل حديث صحيح لا تنفك عنه، مثل: أن رواة الحديث هم الصحابة الذين عرفوا بالصدق والأمانة، وأن المروي هو قول الرسول ﷺ، وفيه من النور والجلالة والبرهان ما يشهد بصدقه، انظر «مختصر الصواعق» (٤٦٦ - ٤٨٦).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٦٩، ٧٠)، و«مختصر الصواعق» (٤٥٣ - ٤٥٥).

المبحث الثالث:

فهم النصوص على ضوء أقوال السَّلف وتفاسيرهم وما نقُل عنهم

الصحابة هم حواريو الرسول ﷺ ولذلك فهم أكثر فهماً لرسالتهم من غيرهم قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[(١)].

ثم إن الصحابة كانوا يسألون عمَّا يُشكل عليهم، فقد روى البخاري عن ابن أبي مُليكة في كتاب العلم عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه، إلا راجعت فيه حتى تعرفه[(٢)].

وبهذا يُعرف أن ما ينقدح في ذهن الإنسان من مسائل لم يسأل عنها الصحابة رضي الله عنهم مع حاجتهم إليها ووقوع دواعيها عندهم، فليعلم أن هذا من تلبيس الشيطان فالأمر الواجب هو أن يقف الداعي حيث وقف الصحابة رضي الله عنهم وليعلم أن الله تعالى ما ترك شيئاً مما نحتاج إليه نسياً منسياً.

فضيلة الصحبة[(٣)]:

١- قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه . . .»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم رقم الحديث ٥٠ .

(٢) رواه البخاري رقم الحديث ١٠٣ .

(٣) والصحابي: « هو كل من التقى بالنبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام ». انظر إعلام الموقعين ١/ ٧٩، ٨٠، ٤/ ١٤٧ - ١٥٠، ومختصر الصواعق ٢/ ٣٤٥، ٣٤٦ .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٢١١ حديث رقم ٣٦٠٠ قال محققه (شاكر): إسناده صحيح . وقال الألباني: وإسناده حسن موقوفاً «السلسلة الصحيحة» (٢/ ١٧).

٢- وقال قتادة رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦]، قال: «أصحاب محمد ﷺ»[١].

فهم النصوص على فهم الصحابة رضي الله عنهم:

أولًا: دلالة القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

والوسط: الخيار العدل، فالصحابة خير الأمة، وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإراداتهم ونياتهم وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل على أممهم يوم القيامة[٢].

ثانياً: دلالة السنة النبوية:

قوله ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.....»[٣].

والعموم في الحديث يقتضي عموم الخيرية في الاعتقاد والفهم والعمل.

ثالثاً: دلالة الإجماع وأقوال العلماء:

أ- **الإجماع**: حكى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ اتفاق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على: «أن خير قرون هذه الأمة - في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة: القرن الأول، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم... وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة من عِلم وإيمان، وعقل ودين وبيان، وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل فهذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام، وأضله الله على علم...»[٤]

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٤٤ وانظر: إعلام الموقعين ١/ ١٤ .
(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٢٧٦ .
(٣) رواه أحمد رقم: ٣٤١٣ ، ورواه البخاري رقم: ٣٣٧٨ ومسلم رقم: ٤٦٠١.
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/ ١٥٧، ١٥٨ .

ب- أقوال علماء الأمة وأئمتها:

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : «اتقوا الله يا معشر القراء! خذوا طريق من كان قبلكم والله لئن استقمتم فقد سُبقتم سبقا بعيداً ، ولئن تركتموه يميناً وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيداً»[١] .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : «أصول أهل السنة عندنا: التمسّك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع. . . .»[٢] .

رابعاً: دلالة العقل:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «من المُحال أن تكون القرون الفاضلة - القرن الذي بُعث فيه رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم - كانوا غير عالِمين وغير قائِلين في هذا الباب بالحق المبين، لأن ضدّ ذلك: إما عدم العِلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق، وقول خلاف الصدق، وكلاهما ممتنع:

أما القول الأول (غير عالمين): فلأن من في قلبه حياةٌ، وطلبٌ للعلم، أو نهمةٌ في العبادة يكون البحث عن هذا الباب - والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه - أكبرَ مقاصده وأعظمَ مطالبة. . . وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية، فكيف يُتصور مع قيام هذا المقتضى- الذي هو من أقوى المقتضيات - أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم ؟! هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق، وأشدهم إعراضاً عن الله وأعظمهم إكبابا على طلب الدنيا، والغفلة عن ذكر الله تعالى، فكيف يقع في أولئك؟

القول الثاني: «أنهم معتقدون فيه غير الحق، أو قائلوه: فهذا لا يعتقده مسلم، ولا عاقل عرف حال القوم»[٣] .

---

(١) البدع والنهي عنها ص: ١٠ لابن الوضاح الأندلسي، وابن عبد البر في جامع العلم ٢/ ١١٩، وأصله في البخاري ١٣/ ٢٥٠ .

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٢٤١، وشرح السنة - اللالكائي ١/ ١٥٦ برقم : ٣١٧ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٧، ٨ .

فالصحابة أفقه الأمة، فهم أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأصحها قصداً، وأكملها فطرة وأتمها إدراكاً، وأصفاها أذهاناً: شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل، وفهموا مقاصد الرسول ﷺ وليس مَن سمع وعلم، ورأى حال المتكلم كمن كان غائباً لم ير ولم يسمع، أو سمع وعلم بواسطة، أو وسائط كثيرة؛ وعليه فالرجوع إلى ما كان عليه الصحابة من الدين والعلم مُتعيِّنُ - قطعا - على من جاء بعدهم ممن لم يشركهم في تلك الفضيلة.

السَّلف أعلم بلغة القرآن الكريم:

نزل القرآن الكريم بلسان العرب، جاريا على معهودهم في الكلام، وعادتهم في الخطاب فكل من كان من لسان العرب متمكناً ،كان للقرآن أشد فهماً وأحسن إدراكاً، ولا يُعلم أحد أفصح لساناً وأسدّ بياناً وأقوم خطاباً من أهل القرون الأولى المفضلة، وأولاهم في هذا الفضل والسبق: أصحاب رسول الله ﷺ.

من أسباب الانحراف في التفسير: الجهل بِلُغة العرب وانتشار العُجمة

وقد كانت أول بدعة ظهرت في المسلمين من قِبل العُجمة، قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أول من نطق في القَدَر: رجل من أهل العراق يقال له: (سوسن)، كان نصرانياً فأسلم ثم تنصَّر فأخذ عنه معبد الجهني[١] وأخذ غيلان عن معبد[٢]»[٣].

---

(١) معبد الجهني: يقال ابن عبد الله بن عكيم ويقال عويم البصري: ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من تابعي أهل البصرة وكان أول من تكلَّم في القدر، بالبصرة وكان رأسا في القدر، قدم المدينة فأفسد بها ناساً. وكان الحسن يقول: «إياكم ومعبدا! فإنه ضال مضل». قتله عبد الملك وصلبه بدمشق سنة ثمانين هجرية (تهذيب التهذيب ٢/ ٢٢٥ لابن حجر العسقلاني).

(٢) غيلان الدمشقي: كان من بُلغاء الكتاب، وكان من أصحاب الحارث الكذاب وممن آمن بنبوته. قال له مكحول: «لا تجالسني» ! وقال السّاجي: كان قدريا داعية، دعا عليه عمر بن عبد العزيز، وكان مالك ينهي عن مجالسته. وناظره الإمام الأوزاعي وأفتى بقتله. قتله هشام بن عبد الملك (لسان الميزان) (٤/ ٤٢٤ للإمام ابن حجر العسقلاني) وانظر كتاب ميزان الاعتدال ٣/ ٣٣٨ وكتاب المجروحين لابن حبان ٢/ ٢٠٠

(٣) شرح أصول السنة - اللالكائي ٤/ ٧٥٠ رقم: ١٣٩٨، وانظر: الشريعة ص ٢٤٢ .

ولهذا قيل: أهلكتهم العُجمة[١]. وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس»[٢]. وأخرج البيهقي عن الأصمعي أنه قال: «جاء عمرو بن عبيد على أبي عمرو بن العلاء - يناظره في وجوب عذاب الفاسق - فقال له: «يا أبا عمرو: آلله يخلف وعده» ؟ قال: «لن يخلف الله وعده». قال عمرو: «فقد قال !» قال: أين ؟ فذكر آية وعيد....، فقال أبو عمرو: «من العُجمة أُتيتَ؛ الوعد غير الإيعاد

ثم أنشد:

وإنـي وإن أوعـدتـه أو وعـدتـه   سأخلف إيعادي وأنجز موعدي[٣]

فالوعد: يكون بالخير كالجنة وهذا لا يُخلفه الله، وأما الوعيد: فيكون بالشّر كالعذاب في النار، وهذا تحت المشيئة إن شاء أنفذه وإن شاء عفا عنه.

السّلف أعلم بتفسير القرآن:

نظراً لتمكن الصحابة والتابعين من اللغة العربية؛ وهي لغة القرآن، كان فهمهم له أرسخ، وإدراكهم لمعانية أعمق من غيرهم، ممن جاء بعدهم.

فما فهمه الصحابة والسّلف من القرآن أولى أن يصار إليه مما فهمه من بعدهم، إذ اتفقت كلمتهم في باب معرفة الله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله واليوم الآخر وغير ذلك من مسائل الاعتقاد والأصول، ولا يُحفظ عنهم في ذلك خلاف مشهور ولا شاذ[٤]...

ولهذا كان من أحسن طرق تفسير القرآن الكريم: تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة ثم

---

(١) قاله الحسن البصري. انظر: التاريخ الكبير للبخاري ٥/ ٩٣ برقم ٢٥٩. والعُجمة: هي اللغة غير العربية.

(٢) نقض المنطق ص: ١٥ .

(٣) الجامع لشعب الإيمان ٢/ ١٠٣ - ١٠٥ .

(٤) انظر الصواعق المرسلة ٢/ ٥٠٩، ٥١٠ .

بأقوال الصحابة والتابعين(١).

بل إن طائفة من أهل الحديث جعلت تفسير الصحابي في حكم المرفوع(٢) قال أبو عبد الله الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مستدركه: «يعلم طالب هذا العلم، أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل، عند الشيخين (البخاري ومسلم) حديث مسند»(٣). وذلك لما عُرِف عنهم من توقي القول في القرآن بغير علم.

ونصّ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أنه يرجع إلى الواحد من الصحابة في تفسير القرآن إذا لم يخالفه غيره منهم(٤).

ولا تجد كتاباً من كتب السّلف ومن هم على طريقتهم من أهل السنة إلا ويذكرون فيه أقوال الصحابة والتابعين وأئمة الهدى ويفسرون بها القرآن والحديث، ويستدلون بها على من خالفهم، ويعتصمون بها في معرفة الحق والصواب وما يوجد من اختلاف بين الصحابة والتابعين في تفسير بعض الحروف فأكثره اختلاف تنوع لا تضاد: فتارة يصفون الشيء الواحد بصفات متنوعة، وتارة يذكر كل منهم من الحرف المفسّر نوعا أو شخصا على سبيل المثال لا الحصر، ومنهم من يُعبِّر عن الشيء بِلازِمه، أو بنظيره، ومنهم من ينصّ عليه بعينه يحسبها من لا عِلم عنده اختلافا، فيحكيها أقوالا وهي بمعنى واحد(٥).

أما اختلاف التضاد فقليل، وسببه: خفاء بعض العلم على بعضهم؛ فإن الصحابة ليس كل فرد منهم تلقى من نفس الرسول ﷺ بلا واسطة جميع القرآن والسنة، بل

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٣٦٣ - ٣٧٠، وتفسير ابن كثير ١/ ١٢ - ١٥، ومختصر الصواعق ٢/ ٣٣٦ .

(٢) انظر: معرفة علوم الحديث للحاكم ص: ١٩ - ٢١، والمستدرك ١/ ٥٤٢ كتاب الدعاء ٢/ ٣٤٥ كتاب التفسير ٤/ ٥٧٥ كتاب الأهوال. وانظر: مختصر الصواعق ٢/ ٣٤٦، وإعلام الموقعين ٤/ ١٥٣، وقواعد في علوم الحديث للتهانوي ص: ١٢٧، ١٢٨ .

(٣) المستدرك ٢/ ٢٥٨ كتاب التفسير .

(٤) انظر: مختصر الصواعق ٢/ ٣٤٦، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص: ٤٢ .

(٥) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٣٣٣ وما بعدها ، وتفسير ابن كثير ١/ ١٥ .

كان بعضهم يأخذ عن بعض، ويشهد بعضهم في غيبة بعض، وينسى هذا بعض ما حفظه صاحبه(١).

أمثلة من تفسير الصحابة:

١- عن أسلم بن يزيد أبي عمران قال: «حمل رجل» من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه، ومعنا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، فقال ناس: «ألقى بيده إلى التهلكة»، فقال أبو أيوب: «نحن أعلم بهذه الآية، إنما أُنزلت فينا، صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه». فلما فشا الإسلام وظهر، اجتمعنا معشر الأنصار نجيّا، فقلنا: «قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ ونصره، حتى فشا الإسلام وكثر أهله وكنّا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلينا وأولادنا»، فنزل فينا: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد(٢).

٢- قَامَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥] وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ وَلَا يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ اللَّهُ أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابِهِ»(٣).

---

(١) وانظر في هذا رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام، ومقدمة في أصول التفسير.

(٢) أبو داود رقم: ٢٥١٢ والترمذي ٢٩٧٢ والنسائي في «الكبرى» ٦/٢٩٨- ١١٠٢٨/٢٩٩، ١١٠٢٩، وصححه الألباني في الصحيحة ١٣.

(٣) رواه ابن ماجه رقم: ٤٠٠٥ ورواه الإمام أحمد رقم: ٣٥ ورواه ابن حبان رقم: ٣٠٥ واللفظ للإمام احمد وصححه الألباني صحيح الجامع ٣٧٣٧.

فوائد الالتزام بفهم السَّلف:

الفائدة الأولى: أن فهم السَّلف عاصم من التَّفرق والاختلاف؛ قال عمر بن الخطاب لابن عباس ﷺ: «كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد، وقبلتها واحدة» ؟! فقال ابن عباس ﷺ: «يا أمير المؤمنين ! إنما أُنزل علينا القرآن فقرأناه وعلِمنا فيمن نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيمن نزل فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا. . .»(١).

الفائدة الثانية(٢): النظر في عمل السّلف وفهمهم للدليل شاهد على صحة الاستدلال به ومصدِّق له، فعمل السَّلف بالدليل مُخلِّص له من شوائب الاحتمالات المقدرة، قاطع بوجه معين ومبين للمُجمل، ورافع للإشكال، ودافع للإيهام.

الفائدة الثالثة: السكوت عمّا سكت عنه السّلف: فكل ما سكت عنه الصحابة والسّلف وتكلم فيه الخلف - وذلك فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد والإيمان - كان السكوت فيه أولى وأليق، ولم يأت فيه الخلف إلا بباطل من القول وزورٍ(٣).

الفائدة الرابعة حسم مادة الابتداع والضلال، لأن كثيراً من فرق الضلال، يتعلق ببعض ظواهر النصوص فيوجهها - ليّا وتحريفاً - لنصرة مذهبه، ولتأييد بدعته. وفهم السَّلف لهذه النصوص هو الفيصل وهو الحق، وليس دونه إلا الضلال والشقاق قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

الفائدة الخامسة استعمال السلف وأهل السنة هذه القاعدة في الرّد على الخصوم ونذكر لذلك نموذجاً:

قول ابن عباس ﷺ للخوارج يوم أن ناظرهم: »جئتكم من عند أصحاب رسول الله

---

(١) رواه أبو عبيد القاسم بن سلّام الهروي «كتاب فضائل القرآن ومعلمه وأدبه» ص: ٤٢ برقم ٩٥ .
(٢) انظر الموافقات ٣/ ٧٦ .
(٣) انظر: اعتقاد أهل السنة والجماعة لمحمد رشاد خليل ص: ٢٣٨، ٢٣٩ .

ﷺ وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عمّ رسول الله ﷺ، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله»[١].

وفي هذا الكلام العظيم فوائد عِدَّة منها:

١- بيان أن أهل البدع ليس فيهم أحد من أصحاب رسول الله ﷺ.

٢- أن كل فرقة، أو طائفة، أو مذهب ليس فيهم أحد من الصحابة - أو مذهب الصحابة وطريقتهم في الديانة - فهم على ضلالة اجتمعوا، ولبدعة أسَّسوا.

٣- أن الانحياز إلى جانب الصحابة - أي: مذهبهم - والتّمسك بطريقتهم هو عين الفلاح، وأساس النجاة.

٤- أن يحتج على كل أحد بما كان عليه الصحابة، وليس العكس.

٥- أن الصحابة أعلم بتأويل القرآن، وذلك لمشاهدتهم نزوله، ومعاينتهم وقائعه؛ ففهمهم له وفقههم فيه مقدَّم على كل أحد - ممن هو دونهم -[٢].

٦- أن أصحاب البدع هم الذين انشقّوا عن الجماعة الحق وهم الذين اعتزلوا الناس.

* * *

(١) رواه أحمد في المسند ١/ ٣٤٢ وصححه أحمد شاكر٥/ ٦٧ رقم ٣١٨٧ وأبو داود ٤٠٣٧ والنسائي ٥/ ١٦٥ وحسن إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم ٣٤٠٦ .

(٢) انظر منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ٢/ ٥٢٥ . لعثمان بن علي حسن.

المبحث الرابع:

التَّسليم بما جاء به الوحي، مع إعطاء العقل دوره الحقيقي وعدم الخوض في الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل فيها

والتَّسليم: هو الاستسلام والإذعان والانقياد لما جاء من الوحيين(الكتاب والسنة) في أمور الاعتقاد والأحكام.

قال تعالى مُقسِماً بنفسه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤] وقال تعالى عن استسلام إبراهيم وابنه عليهما السلام: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]، فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن نعارضه بخيال باطل نُسمّيه معقولا، أو نحمله شبهة أو شكًّا، أو نُقدّم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم.

فنوحِّده بالتّحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما نوحِّد المرسِل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكلّ.

فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: «توحيد المرسِل، وتوحيد متابعة الرسول ﷺ».

فمبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع. ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة نبيّ صدّقت بنبيها وآمنت بما جاء به: أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به ونهاها عنه وبلَّغها عن ربها، ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها، بل انقادت وسلَّمت وأذعنت، وما عرفتْ من الحكمة عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وتسليمها على معرفته، ولا جعلت ذلك من شأنها، وكان رسولها أعظم عندها من أن تسأله عن ذلك، كما في

الإنجيل: يا بني إسرائيل ! لا تقولوا: «لِم أمر ربنا ؟» ولكن قولوا: «بِم أمر ربنا».

ولهذا كان سلف هذه الأمة - التي هي أكمل الأمم عقولا ومعارفَ وعلوماً - لا تسأل نبيها: «لِمَ أمر الله بكذا؟ ولِمَ نهى عن كذا؟ ولِمَ قدّر كذا؟ ولِمَ فَعل كذا؟ لعلمهم أن ذلك مضادّ للإيمان والاستسلام، وأن قَدَمَ الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم. فأول مراتب تعظيم الأمر: «التصديقُ به، ثم العزم الجازم على امتثاله ثم المسارعة إليه والمبادرة به والحذرُ عن القواطع والموانع».

ومع هذا فالسّلف يعطون للعقل مكانه الصحيح فيقولون: «إن صحيح المنقول لا يُعارض صريح المعقول». مع أن العقل لا يستقل بنفسه بالإرشاد، بل هو تابع للشّرع، ولو كان يستقل بنفسه لما أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وبهذا أمر السّلف، فإذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع، لأن العقل مصِّدق للشرع في كل ما أخبر به، والشرع لم يُصِدِّق العقل في كل ما أخبر به، وبهذا يُعلم أنه لا يمكن أن يكون تصديق الرسول ﷺ: فيما أخبر به متعلِّقاً بشرط، ولا موقوفاً على انتفاء مانع، كمثل الذي يقول: (لا أصدق ما أُخبَرُ به حتى أعلمه بعقلي) فهذا كفره ظاهر وهو ممن قال الله فيه: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

ثم إذا جعلنا العقل هو الأصل وهو المتبوع، فعقل مَن نجعله قيِّماً وحكماً أو نموذجاً؟

وأهل الحق لا يطعنون في جنس الأدلة العقلية، ولا فيما علِم العقل صحته، وإنما يطعنون فيما يدّعي المعارض أنه مخالف للكتاب والسنة.

ومن هذه المخالفات خوض العقل في الأمور الغيبية: من صفات الله تعالى وأفعاله (كالاستواء والنزول) التي جعل الله أول صفة من صفات المتقين: الإيمان بالغيب قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ

وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ١- ٣].

وكذلك عذاب القبر ونعيمه، والجنة والنار[١].

قال ابن تيمية: رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومتى تعارض في ظن الظان الكتاب والميزان - أي العقل -، فأحد الأمرين لازم، إما فساد دلالة ما احتج به من النّص: بأن لا يكون ثابتاً عن المعصوم، أو لا يكون دالًا على ما ظنه، أو فساد دلالة ما احتج به من الميزان (القياس) بفساد بعض مقدماته أو كلها، لما يقع في الأقيسة من الألفاظ المجملة المشتبهة»[٢].

وإليك تفصيل هذا الكلام المُجمل بالأمثلة:

المثال الأول:

نقل صحيح صريح يُعارض بعقل غير صحيح:

فمن احتج بالعقل - مثلًا في إنكار الصفات (السمع، البصر، الكلام)، مدّعياً أن في إثباتها قول بتعدد القدماء (الآلهة) فقد احتج بعقل غير صحيح، بل لا يجوز تسمية ذلك عقلًا أصلًا؛ إذ لا يجوز في العقل وجود موجود مجرّد عن الصفات، هذا لا يتصور بحال، بل هو من أعظم الممتنعات العقلية؛ لأنه يستلزم رفع النقيضين حيث يقال: «هو موجود ولا موجود»، إذ الوجود من أعظم ما تتصف به الموجودات من الصفات، ولذا كان لازم مذهب من أنكر بعض الصفات، أن ينكرها جميعاً حتى صفة الوجود، فليس عنده في الحقيقة رب موجود قائم بنفسه ! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

---

(١) وكحديث الذبابة الذي في البخاري وغيره.

(٢) انظر: درء تعارض العقل مع النقل ١/ ١٤٨، وشرح الطحاوية ص: ٢٦١، وإعلام الموقعين ٢/ ٤٧ .

المثال الثاني:

أن يكون العقل صحيحاً صريحاً، يُعارض بنقلٍ غير صحيح

كأن يكون مكذوباً موضوعاً: والعقل الصحيح الصريح هو أن الله تعالى موجود وأنه خالق كل شيء، وأنه كان ولا شيء قبله، وجميع الآيات الكونية والشرعية والأدلة العقلية والفطرة لا تدل على سوى ذلك بتقصير النظر في دلالة السمع بعد تيقنه من دلالة العقل، فيظن في السمع الصحة والأمر ليس كذلك[١].

فيظهر عنده التعارض، وهو تعارض بين دليل صحيح ودليل فاسد، والدليل الفاسد لا يصلح أن يكون دليلًا فضلًا عن أن يعارض به الدليل الصحيح.

بل الواجب تقديم الدليل الصحيح سمعياً كان أو عقلياً. ومثال ذلك: ما رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «قيل: يا رسول الله! مَمَّ ربنا» ؟ قال: «من ماء مرور، لا من أرض، ولا من سماء، خلق خيلًا فأجراها فعرقت، فخلق نفسه من ذلك العَرَق...»[٢].

المثال الثالث:

أن يكون النقل صحيحاً غير صريح، فيغلط المستدل في الاستدلال به:

فيظهر التعارض نتيجة الفهم القاصر؛ فعدم إدراك الدلالة الصحيحة للسّمع أحد أسباب ادعاء التعارض بين المعقول والمنقول.

وذلك كحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله عزّ وجلّ يقول يوم القيامة: «يا ابن آدم! مرضتُ فلم تعدني» قال: «يا رب! كيف أعودك وأنت رب العالمين» ؟ قال: «أما علمت أن عبدي فلاناً مرِض فلم تعده، أما علمتَ أنك لو عدته لوجدتني عنده»؟ «يا ابن آدم! استطعمتك فلم تطعمني»، قال: «يا رب»!

---

(١) انظر إيثار الحق ص: ١٢٣، ١٢٤.

(٢) ذكره الكناني في الموضوعات وقال: «والمتهم به الثلجي» انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني ١/ ١٣٤. وانظر: اللآلئ االمصنوعة في الأحاديث الموضوعة لجلال الدين السيوطي ١/ ٣ رحمه الله.

«وكيف أطعمك وأنت رب العالمين» ؟ قال: «أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي» ؟ «يا ابن آدم ! «استسقيتك فلم تسقني». قال: «يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين»؟ قال: «استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»[١]. فمن قال عن هذا الحديث أنه مخالف لدلالة العقل لأنه يقتضي حلول الحوادث في الله تعالى وأنه (تعالى) تجري عليه صفات المخلوقين وأحوالهم من المرض والجوع والعطش ونحو ذلك، ويظن أن ذلك هو ظاهر الحديث لم يفهم معنى الحديث، ولم يعطه حقه من التدبر والنظر، فإن الحديث قد فسّره المتكلم به وبيَّن مراده بيانا زالت به كل شبهة، وبيَّن فيه أن العبد هو الذي جاع، وأكل ومرِض، وعاده العواد، وأن الله تعالى لم يمرض، ولم يُعد، ولم يُطعم ولم يعطش، ولم يُسق[٢].

والمقصود بيان، أنه إذا ظهر تعارض بين الدليل النقلي والعقلي، فلا بد من أحد ثلاثة احتمالات:

الأول أن يكون أحد الدليلين قطعياً والآخر ظنياً:

فيجب تقديم القطعي نقلياً كان أم عقلياً، وأما إن كانا ظنييّن فالواجب تقديم الراجح منهما عقلياً كان أم نقليا.

الثاني أن يكون أحد الدليلين فاسدا:

فالواجب تقديم الدليل الصحيح على الفاسد سواء أكان نقلياً أم عقلياً

الثالث أن يكون أحد الدليلين صريحاً والآخر ليس كذلك:

فهنا يجب تقديم ذي الدلالة الصريحة على الدلالة الخفية، لكن قد يخفى من وجوه الدلالات عند بعض الناس، ما قد يكون بيّناً وواضحاً عند البعض الآخر، فلا تعارض

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٩٠ .

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٥٠ ومشكل الحديث وبيانه لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك ص: ٤٤، ٤٥ .

في نفس الأمر عندئذ.

أما أن يكون الدليلان قطعيّين - سنداً ومتناً - ثم يتعارضان، فهذا لا يكون أبدا، لا بين دليلين نقليين ولا عقليين، ولا بين نقلي وعقلي.

ولكن يبقى السؤال: ما هو العقل ؟ وما منزلته في الإسلام ؟.

العقل:

العقل في اللغة[١]:

مصدر عقل، يعقل، عقلًا، فهو معقول، وعاقل. وأصل معنى العقل: المنع.

العقل في الاصطلاح:

العقل يقع بالاستعمال على أربعة معان[٢]: الغريزة المدرِكة والعلوم الضرورية والعلوم النظرية، والعمل بمقتضى العلم.

الأول: الغريزة المدرِكة

فهي شرط في المعقولات والمعلومات، وهي مناط التكليف وبها يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان.

الثاني: العلوم الضرورية

وهي التي تشمل جميع العقلاء، كالعلم بالممكنات والواجبات، والممتنعات، وأن الجزء أصغر من الكُل.

الثالث: العلوم النظرية

وهي التي تختص بالنظر والاستدلال، وتفاوت الناس وتفاضلهم فيها أمر جليّ وواقع.

---

(١) انظر: لسان العرب ١١/٤٥٨ .

(٢) انظر إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد الغزالي ١/ ٨٥، ٨٦ .

الرابع العمل بمقتضى العلم: فالأعمال يجب أن تكون بموجب العلم[١]. ولهذا قال الأصمعي: «العقل: الإمساك عن القبيح، وقصر النفس وحبسها على الحسَن»[٢].

وقيل لرجل وَصَف نصرانياً بالعقل: «مه ! وإنما العاقل من وجد الله وعمل بطاعته»[٣].

وقال أصحاب النار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لو كان الدِّين بالرأي لكان أسفل الخُف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيتُ رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه»[٤].

مكان العقل: والتحقيق أن العقل له تعلق بالدماغ والقلب معاً؛ حيث يكون مبدأ الفكر والنظر في الدماغ[٥]، ومبدأ الإرادة والقصد في القلب، ولهذا يمكن أن يقال: «إن القلب موطن الهداية والدماغ موطن الفكر».

منزلة العقل في الإسلام:

لقد كرّم الإسلام العقل أيما تكريم؛ كرمه حين جعله مناط التكليف عند الإنسان

---

(١) وقد أشار ابن تيمية (رحمه الله) إلى هذا المعنى في أكثر من موضع، من مصنفاته، وذلك لأهميته، إذ هو ثمرة العقل وفائدته، فلا عقل لمن لم يعمل بموجب ما هداه إليه عقله، والعقل السليم يدعو إلى الإيمان بالله ورسالاته. فمن خالف ما جاءت به الرسل فقد خالف عقله - رغم ادعائه أنه من أرباب العقول، وأساطين الفهم؛ فالمشركون - مثلًا - عرفوا توحيد الربوبية، ولم يلتزموا بلازمه، الذي هو توحيد الألوهية، رغم التلازم العقلي الفطري بينهما. وأهل الكتابين - أيضاً - عرفوا صدق الرسالة، وصحة النبوة - كما يعرفون أبناءهم - ولكنهم لم ينقادوا لذلك؛ فكانوا كمثل الحمار يحمل أسفاراً .

(٢) «كتاب المخصص» لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده: المجلد الأول - السفر الثالث ص: ١٦ انظر: منهج الاستدلال عن مسائل الاعتقاد ١/١٥٨ - ١٥٩. لعثمان بن علي حسن

(٣) الذريعة للأصفهاني ص: ٩٦ .

(٤) أخرجه أبو داود ١٦٢ وابن أبي شيبة وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم ١٤٧. وهذا إسناد حسن كما قال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام رقم: ٦٠.

(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٩/ ٣٠٤

والذي به فضّله الله على كثير ممن خلق تفضيلًا، وكرّمه حين وجهه إلى النظر والتفكير في النفس، والكون والآفاق: اتعاظاً واعتباراً، وتسخيراً لنعم الله واستفادة منها، وكرمه حين أمسكه عن الولوج فيما لا يحسنه، ولا يهتدي فيه على سبيل رحمة به، وإبقاء على قوته وجهده.

وتفصيل هذه الجمل في الآتي:

أولًا: خص الله تعالى أصحاب العقول بالمعرفة التامة لمقاصد العبادة، وحِكَم التشريع؛ قال تعالى بعد أن ذكر جملة أحكام الحج: ﴿وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وقال تعالى عقب ذكر القِصاص: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

ثانياً: قَصَرَ سبحانه وتعالى الانتفاع بالذِكر والموعظة على أصحاب العقول فقال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٥].

ثالثاً: ذكر الله تعالى أصحاب العقول، وجمع لهم النظر في ملكوته، والتّفكّر في آلائه مع مداومة ذِكره، ومراقبته، وعبادته، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩٤].

رابعاً: ذمَّ الله تعالى المقلدين لآبائهم؛ وذلك حين ألغوا عقولهم، رضاً بما كان يصنع الآباء والأجداد، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠ - ١٧١]

خامساً: حرَّم الإسلام الاعتداء على العقل، بحيث يعطله عن إدراك منافعه، ومِن ذلك حرَّم على المسلم شراب المسكر والمفتِّر، وكل ما يخامر العقل ويفسده قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿المائة: ٩٠].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن كلِّ مسكر ومفتِّر»(١).

سادساً: شدّد الإسلام في النهي عن تعاطي ما تنكره العقول السليمة، وتنفر منه لمعارضته جناب التوحيد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا عدوى، ولا طيرة(٢)، ولا هامة(٣)، ولا صفرة(٤)...»(٥) وفي رواية «ولا نوء»(٦). وعن جابر رضي الله عنه: «لا عدوى ولا غول(٧) ولا صفر»(٨).

---

(١) رواه أحمد٢٥١٣٦ وأبو داود في سننه ٤/ ٩٠ كتاب الأشربة - باب النهي عن السكر - حديث رقم: ٣٦٨٦ وضعفه الألباني انظر الضعيفة ٤٧٣٢ .
(٢) الطيرة: وهو التشاؤم بالشيء .
(٣) الهامة: ذات السموم وقيل هي البومة .
(٤) الصفرة: هو التشاؤم بشهر صفر وهو: ثاني الأشهر العربية الهجرية .
(٥) رواه البخاري في صحيحه ٤/ ١٧٤٤ .
(٦) النوء: مفرد أنواء، وهي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة منزلة منها، وكانت العرب تربط نزول المطر بسقوط النوء أو طلوعه فيقولون: مطرنا بنوء كذا . . . انظر: النهاية لابن الأثير ٥/ ١٢٢ .
(٧) الغول: واحد الغيلان، وهو من الجن والشياطين، وكانت العرب تعتقد أن الغول تتراءى للناس في الفلاة، فتتغول أي تتلون لهم في صور شتى، لتضلهم عن الطريق .
(٨) رواه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٤٤ - ١٧٤٥ .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته(١):

فـإذا تـعـارض نـصّ لـفـظ وارد والـعـقـل حتـى لـيـس يـلتـقـيـانِ
فـالـعـقـل إمـا فـاسـد ويـظـنـه الرائي صحيحاً وهو ذو بطلانِ
أو أن ذاك الـنّص لـيـس بـثـابـت مـا قـالـه الـمـعـصـوم بـالـبـرهـانِ

والخلاصة:

أن للعقل عند أهل السنة والجماعة مكانته اللائقة به وهم وسط بين طرفين:

الطرف الأول: من جعل العقل أصلًا كليّا أوليّا، مستقلّا بنفسه عن الشرع مستغني عنه.

الطرف الثاني: من أعرض عن العقل، وذمّه وعابه وقدح في الدلائل العقلية مطلقاً والوسط في ذلك وهم أهل السنة قالوا:

١- أن العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال. لهذا كان سلامة العقل شرطاً في التكليف فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة. والأقوال المخالفة للعقل باطلة وتدبر القرآن يكون بالعقول قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢] فالعقل هو المدرك لحجة اللَّه على خلقه(٢).

٢- أن العقل لا يستقل بنفسه، بل هو محتاج للشرع.

٣- أن العقل مصدِّق للشرع في كل ما أخبر به.

٤- أن الشرع دلّ على الأدلة العقلية وبيَّنها ونبَّه عليها(٣).

* * *

(١) مجموع القصائد المفيدة ص: ١١٤ .

(٢) انظر «درء التعارض» (١/١٤٧) ومجموع الفتاوى (٣/ ٣٣٨، ٣٣٩).

(٣) انظر «درء التعارض» (٢/ ٢٨، ٢٩) و«الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٦٠ - ٤٩٧) ومعالم أصول الفقه للجيزاني «مختصراً».

المبحث الخامس
الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة

والجمع بين النصوص في المسألة الواحدة يحتاج إليه الباحث سواء كانت هذه المسألة من مسائل العقائد، أو من مسائل الأحكام، خاصة إذا كان هناك تعارض ظاهري بين الأدلة.

لأن جمع النصوص يعطي الناظر صورة متكاملة عن الحكم بحيث لا تتناقض النصوص بل تتعاضد.

لا تعارض حقيقي بين الأدلة الشرعية:

ويجب أن نعلم أن الأدلة الشرعية لا تتعارض أبداً، وأما ما يظهر للناظر من تعارض بين النصوص من الكتاب والسنة فهو تعارض ظاهري يقع في نفس المجتهد وفهمه، ولا حقيقة له في نفس الأمر.

وأما أن يقع التعارض في نفس الأمر وحقيقته، بأن يصدر عن الشارع دليلان متعارضان يقتضي أحدهما نقيض ما يقتضيه الآخر، ولا يكون بينهما تناسخ، ولا يجمعها جامع، أو يؤلف بينهما رابط، فهذا لا يكون بحال، بل هذا سفه وتيه يتنزه عنه الرجل العاقل، فضلًا عن الشارع الحكيم، (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)

والأدلة على هذا كثيرة منها:

أولًا: من القرآن الكريم

١- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

قال ابن جرير الطبري: «إن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم، لاتِّساق معانيه، وائتلاف أحكامه ،وتأييد بعضه بعضاً بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه وأبان بعضه عن

فساد بعض»(١).

٢- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه صريحة في رفع التنازع - أي عن الشريعة- فإنه ردّ المتنازعين إلى الشريعة، وليس ذلك إلا ليرتفع الاختلاف، ولا يرتفع الاختلاف إلا بالرجوع إلى شيء واحد، إذ لو كان فيه ما يقتضي الاختلاف لم يكن في الرجوع إليه رفع التنازع وهذا باطل»(٢).

ثانياً: من السنة النبوية

ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «جلست أنا وأخي مجلسا ما أحب أن لي به حُمر النّعم. أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخة من صحابة رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه فكرِهنا أن نُفرِّق بينهم، فجلسنا حجرة، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم.

فخرج رسول الله ﷺ مغضباً، قد أحمرّ وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: «مهلًا يا قوم! بهذا أُهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض.

إن القرآن لم ينزل يكذِّب بعضه بعضا، بل يُصدِّق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردّوه إلى عالمه»(٣).

ووجه الدلالة أنه ﷺ غضب وتغير لما فعله الصحابة من معارضة الأدلة بعضها لبعض.

فبيّن لهم أن ذلك سبيل الهلاك، وأن الكتاب يُصدِّق بعضه بعضاً، وهكذا ينبغي أن يكون فهمه والاستدلال به على هذا الوجه.

---

(١) جامع البيان ٥/ ١٧٩ للطبري.
(٢) الموافقات ٤/ ١١٩، والاعتصام ٢/ ٣٠٩، ٣١٠.
(٣) رواه أحمد رقم: ٦٧٠٢.

ثالثاً: من الإجماع

١- اتفقت الأمة على عدم جواز التعارض بين الأدلة القطعية[١].

٢- قال أبو بكر الباقلاني: «وكل خبرين عُلم أن النبي ﷺ تكلّم بهما، فلا يصح دخول التعارض فيهما على وجه، وإن كان ظاهرهما متعارضين، لأن معنى التعارض بين الخبرين والقرآن من أمر ونهي وغير ذلك: أن يكون موجب أحدهما منافياً لموجب الآخر، وذلك يبطل التكليف إن كان أمراً ونهياً وإباحة وحظراً، أو يوجب كون أحدهما صدقاً والآخر كذبا إن كانا خبرين، والنبي ﷺ منزّه عن ذلك أجمع ومعصوم منه باتفاق الأمة وكل مثبت للنبوة»[٢].

رابعاً: من أقوال العلماء

١- قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأن يُعلم أن أحكام الله، ثم أحكام رسوله ﷺ لا تختلف وأنها تجري على مثال واحد»[٣].

٢- قال أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا أعرف أنه روي عن رسول الله ﷺ حديثان، بإسنادين صحيحين، متضادين، فمن كان عنده فليأت به حتى أؤلف بينهما»[٤].

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فعلى الناظر في الشريعة بحسب هذه المقدمة أمران:

أحدهما: وجوب النظر إلى الشريعة بعين الكمال واعتبارها اعتباراً كليا.

الثاني: أن يوقن أنه لا تضاد بين آيات القرآن، ولا بين الأخبار النبوية، ولا بين أحدهما مع الآخر، بل الجميع جار على منهج واحد، ومنتظم إلى معنى واحد، فإذا أداه بادي الرأي إلى ظاهر اختلاف؛ فواجب عليه أن يعتقد انتفاء الاختلاف،

---

(١) المسودة ٤٤٨ لمجد الدين بن تيمية، إرشاد الفحول ٢٧٤ للشوكاني .
(٢) الكفاية ٤٣٣ للخطيب البغدادي، وانظر كلام أبي حامد الغزالي في المستصفي ٢/ ٣٩٥ .
(٣) الرسالة ١٧٣ .
(٤) الكفاية ٤٣٢-٤٣٣ للخطيب البغدادي ومقدمة ابن الصلاح ١٤٣ .

لأن الله قد شهد له أن لا اختلاف فيه، فليقف وقوف المضطر السائل عن وجه الجمع، أو المُسلِّم من غير اعتراض...»[١].

٣- ويقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما حديثان صحيحان صريحان متناقضان من كل وجه، ليس أحدهما ناسخا للآخر، فهذا لا يوجد أصلا ،ومعاذ الله أن يوجد في كلام الصادق المصدوق الذي لا يخرج من بين شفتيه إلا الحق... والآفة في التقصير في معرفة المنقول، والتمييز بين صحيحة ومعلوله أو من القصور في فهم مراده ﷺ وحمل كلامه على غير ما عناه به، أو منهما معا، ومن هنا وقع في الاختلاف والفساد ما وقع»[٢].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته:

ونصوصه ليست تعارض بعضها بعضا فسل عنها عليم زمانِ
وإذا ظننت تعارضا منها فذا من آفة الأفهام والأذهانِ
أو أن يكون البعض ليس بثابت ما قاله المبعوث بالقرآنِ[٣]

خامساً: دلالة المعقول على هذه القاعدة

الأول: القول بتعارض الأدلة في نفس الأمر، فيه إثبات العجز والجهل؛ العجز عن إقامة أدلة خالية من التعارض، والجهل بعواقب الأمور، وكل هذا مما يجب تنزيه الله تعالى عنه عقلًا وشرعاً[٤].

الثاني: الشريعة إنما أُنزلت لرفع الخلاف بين الناس، فلو كان فيها ما يقتضي

---

(١) الاعتصام ٢/ ٣١١ .
(٢) زاد المعاد ٤/ ١٤٩ ، ١٥٠ .
(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ١١٤٤ .
(٤) انظر: كشف الأسرار ٣/ ٧٦، والتقرير والتحبير ٣/ ٢، وشرح الأنوار في أصول الفقه لابن مالك ص: ٢٢٦ .

الاختلاف - بتعارض أدلتها - لم يكن في إنزالها إلا الفتنة، وهذا لا يقوله عاقل يعرف حكمة الرب تعالى ورحمته بالناس.

الثالث: القول بالتعارض بين الأدلة في نفس الأمر: يلزم منه إبطال العِلم بالناسخ والمنسوخ، بل يصح العمل بهما دوما وابتداء، والعمل بالناسخ والمنسوخ، معا باطل إجماعاً[1].

الرابع: القول بالتعارض بين الأدلة في نفس الأمر: يرفع العمل بالترجيح بين الأدلة التي ظاهرها التعارض وهو خلاف ما عليه الأصوليون، ولصح العمل بأحد الدليلين من غير مرجح، وكل هذا باطل وفاسد[2].

الخامس: القول بوقوع التعارض بين الأدلة لا يخلو من أحد احتمالات أربعة كلها باطلة[3]:

١- العمل بالدليلين - سواء أكانا خبرين أم طلبين - ويلزم منه اجتماع المتناقضين وهو باطل، لأنه تكليف بما لا يطاق.

٢- ترك العمل بهما، ويلزم منه خلو المسألة عن الحكم، وأن الشارع الحكيم نصبهما عبثا ولغوا، وكل ذلك ظاهر البطلان.

٣- العمل بأحدهما دون الآخر على سبيل التعيين، وهو تحكم وترجيح بلا مرجح وقول في الدين بالتشهي والهوى.

٤- العمل بواحد منهما، غير معين على سبيل التخيير، وهذا يستلزم جواز الفعل والترك لكل من الدليلين، مع أن كل واحد منهما يقتضي نقيض ما يقتضيه الآخر

---

(١) انظر الموافقات ٤/ ١٢٠، ١٢١

(٢) انظر الموافقات ٤/ ١٢٢

(٣) انظر الموافقات ٤/ ١٢١، ١٢٢، والإبهاج شرح المنهاج للسبكي ٣/ ٢٠٠ . وحاشية البناني على الجلال المحلي. ٢/ ٣٥٨، ونهاية السؤل ٣/ ١/ ١٦-١٦٩ (بحاشية التقرير والتحبير) والمستصفى للغزالي ٢/ ٣٧٩ وما بعدها .

وفيه ترجيح أمارة الإباحة على أمارة الحرمة، وهذا محذور.

سادساً: دلالة الفطرة على هذه القاعدة

لقد جعل الله في فِطر بني آدم النفور من التناقض والاضطراب، وعدم استحسان ذلك ،وفي فطرهم وصْفُ الرب جلَّ وعلا بالعلم والحكمة والقدرة والإرادة وظهور التناقض والاضطراب فيما يخبر به جلَّ وعلا ينافي هذه الصفات، فتبين أنه لا يصدر عن الشارع الحكيم إلا على كمال قدرته وعلمه وحكمته وإرادته.

أسباب وقوع التعارض الظاهر بين النصوص:

بعد أن تقرر أنه لا يكون تعارض - في نفس الأمر - بين الأدلة الشرعية، بقي أن نذكر أسباب هذا التعارض الظاهري، فقد ذكر أهل العلم أن له أسباباً، منها:

١- ما يكون بين آي القرآن ونصوص السنة: من عموم وتخصيص، وإطلاق وتقييد واستثناء، ونحو ذلك.

٢- الجهل بسعة لسان العرب - وقد نزل القرآن بلسانهم، وكذلك جاءت السنة، فمن جهل ذلك، اختلف عنده العلم بالكتاب والسنة[١].

٣- الوضع من قِبل الزنادقة لبعض الأحاديث، معارضا بها ما صح من معاني الكتاب والسنة.

٤- الوهم الذي قد يقع لبعض الثقات، فيروي الحديث على وجه ظناً منه أنه صحيح وليس الأمر كذلك. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا وقع التعارض فإما أن يكون أحد الحديثين ليس من كلامه ﷺ وقد غلط فيه بعض الرواة مع كونه ثقة ثبتاً فالثقة يغلط...»[٢].

---

(١) انظر: الرسالة للشافعي ص: ٥٣ وما بعدها .
(٢) زاد المعاد ٤/١٤٩، وانظر: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص: ١٩٧ .

٥- قد ينقل أحد رواة الحديث باللفظ وآخر بالمعنى، وآخر مختصراً ويحدِّث آخر بحسب ما أدرك من كلام النبي ﷺ فإذا عَرف التعارض انتفى الخلاف.

٦- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «... تنزيل كلامه - أي الشارع - على الاصطلاحات التي أحدثها أرباب العلوم من الأصوليين، والفقهاء، وعلم أحوال القلوب وغيرهم، فإن لكل من هؤلاء اصطلاحات حادثة في مخاطباتهم وتصانيفهم، فيجيء من قد ألف تلك الاصطلاحات الحادثة، وسبقت معانيها إلى قلبه، فلم يعرف سواها، فيسمع كلام الشارع فيحمله على ما ألفه من الاصطلاح، فيقع بسبب ذلك في الفهم عن الشارع ما لم يرده بكلامه»(١).

٧- الجهل بمعرفة الناسخ من المنسوخ، لكن لا يذهب على عامتهم حتى يكون فيهم من يعلم المنسوخ من الناسخ(٢).

بين يدي طرق الترجيح:

أولًا: الجمع بين المتماثلات والتفريق بين المختلفات:

وعليها قامت أحكام الشرع، فالشيء يعطى حكم نظيره، وينفى عنه حكم مخالفه.

فالجمع بين المختلفات ظلم كما قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥].

مثال الجمع بين المتماثلات:

قال الله تعالى في ذم اليهود: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]. وذلك أنهم أغفلوا حكم التوراة في سفك الدماء وإخراج أنفسهم من ديارهم وأقاموه - أي حكم التوراة - في مفاداة الأسرى(٣) وكان الواجب عليهم إقامته في شأنهم كله.

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٧١، ٢٧٢ .
(٢) انظر: الرسالة ص: ٢١٤، ٢١٥ .
(٣) فوائد الالتزام بالقاعدة لابن القيم ٤/١٤٣، ١٤٤، وتفسير ابن كثير ١/ ١٧٣، ١٧٤ .

مثال التفريق بين المختلفات:

* ومن أمثلة ذلك قياس اليهود الرب جلّ جلاله على المخلوق الضعيف القاصر فوصفوه (سبحانه).

بصفات المخلوقين، فقالوا﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقالوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وفيه إثبات الصاحبة والولد وهي من صفات المخلوقين وشاركهم في ذلك النصارى القائلون: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، فكل من فرَّق بين متماثلين أو جمع بين مختلفين من مبتدعة المسلمين، يكون فيه شبه من اليهود والنصارى،وهم إمامه وسلفه في ذلك.

* فنفاة الصفات: بعضها أو جميعها، أو الصفات دون الأسماء، أو الصفات والأسماء جميعا - فرّقوا بين المتماثلات: إذ القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر نفيا وإثباتا، وكذلك القول في الصفات كالقول في الأسماء، وكذلك القول في الصفات والأسماء فرع عن القول في الذات[1].

وهم قد جمعوا كذلك بين المختلفات، لأنهم لم يعتقدوا التعطيل إلا بعد أن قامت عندهم شبهة التشبيه، ولهذا كان كل معطِّل مُشبها.

* ونفاة القدر: فرَّقوا بين المتشابهات والمتماثلات من وجه، حيث اعتمدوا النصوص التي تثبت قدرة العبد ومشيئته، وأنكروا النصوص التي تثبت قدرة الخالق ومشيئته وخلقه وسابق علمه، وجمعوا بين المختلفات من وجه، حيث قايسوا المخلوق بالخالق وجعلوهما سواء فيما يجوز ويجب ويمتنع.

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ألا ترى أن أهل القدر حين نظروا في قدر الله الذي هو سِّره بآرائهم وحملوه على مقاييسهم، أرتهم أنفسهم قياسا على ما جعل في تركيب المخلوق من معرفة العدل من الخلق على الخلق، أن يجعلوا ذلك حكما بين الله وبين العبد،

(١) راجع في ذلك الرسالة التدمرية ص: ٢١ وما بعدها .

فقالوا بالتخلية والإهمال، وجعلوا العباد فاعلين لما لا يشاء، وقادرين على ما لا يريد، وكأنهم لم يسمعوا بإجماع الناس على: ما يشاء الله كان وما لا يشاء الله لا يكون»[١].

* والوعيدية من الخوارج والمعتزلة: فرّقوا بين نصوص الوعيد فآمنوا بها، وبين نصوص الوعد فكفروا بها، والجميع يخرج من مشكاة واحدة.

وفي المقابل المرجئة: آمنوا بنصوص الوعد وكفروا بنصوص الوعيد.

* والرافضة: فرّقوا بين الصحابة ﷺ، فتولّوا آل البيت منهم وعادوا غيرهم، والواجب موالاتهم جميعا.

وجمعوا بين الرسول ﷺ وبين غيره في إثبات العصمة، حيث ساقوها في أئمتهم والواجب التفريق في ذلك بين الرسل وغيرهم من الناس.

* وممّن خالف هذه القاعدة - أيضاً -: من فرَّق بين الكتاب والسنة فاعتمد الكتاب دون السنة، وكذلك من فرَّق بين نصوص الأحكام فاعتمدها ،وبين نصوص العقائد فأعرض عنها، بتأويل أو تفويض أو تكذيب، إن كانت أحاديث آحاد فيباب العقائد والأحكام. فكل هؤلاء واقعون في التناقض والاضطراب والواجب عليهم الجمع بين المتماثلات، والتفريق بين المختلفات حتى يسلموا مما هم فيه.

ثانياً عدم بتر الدليل، والاستدلال بجزئه:

وهذا هو شأن أهل الابتداع حين يجدوا من الكلمات الشرعية ما يُسوغ لهم بدعتهم ويجعلها تروج عند ضعفاء المسلمين:

قال محمد بن كعب القرظي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الردّ على القدرية: «. . . إنهم ما أتموا آية من كتاب الله عزّ وجلّ ولكنهم يأخذون بأولها ويتركون آخرها، ويأخذون بآخرها ويتركون أولها، والذي نفسي بيده لأبليس أعلم بالله عزّ وجلّ، يعلم من أغواه[٢]. وهم يزعمون

(١) اختلاف اللفظ ص ١٢، ١٣ .
(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الحجر: ٣٩].

أنهم يغوون أنفسهم ويرشدونها»[١].

ولما احتج غيلان الدمشقي، أمام عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ على مقالته في القدر بقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢-٣].

قال له عمر رَحِمَهُ اللَّهُ: «اقرأ آخر السورة: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الإنسان: ٣٠- ٣١]».

ثم قال عمر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فما تقول يا غيلان»؟

قال: «أقول: قد كنتُ أعمى فبصّرتني، وأصمّ فأسمعتني، وضالًا فهديتني. . .» فتاب، ثم رجع إلى مقالته في عهد هشام بن عبد الملك، فصلبه[٢].

طرق الترجيح:

أولًا: أن يطلب المجتهد الجمع بين الدليلين، لاحتمال أن يكون الدليلان في حالين مختلفين،[٣] أو بينهما عموم وخصوص، أو إطلاقٌ وتقييد، ولأن إعمال الأدلة كلها أولى من إهمالها أو إهمال بعضها، وهو قول جميع الفقهاء[٤].

وقال الخطّابي: «وسبيل الحديثين إذا اختلفا في الظاهر، وأمكن التوفيق بينهما وترتيب أحدهما على الآخر، أن لا يحملا على المنافاة، ولا يضرب بعضهما ببعض

---

(١) الشريعة للآجري ٢٢٢ .

(٢) الشريعة للآجري ٢٢٨ .

(٣) قال أبو بكر الباقلاني : «متى عُلم أن القولين ظاهرهما التعارض، ونفي أحدهما لموجب الآخر، وأن يحمل النفي والإثبات على أنهما في زمانين، أو فريقين، أو على شخصين، أو على صفتين مختلفتين، هذا ما لا بد منه، مع العلم بإحالة مناقضته ﷺ في شيء من تقرير الشرع والبلاغ، [نقله عنه الخطيب البغدادي في الكفاية ص: ٤٣٣].

(٤) انظر: إرشاد الفحول ص: ٢٧٦ .

ولكن يستعمل كل واحد منهما في موضعه، وبهذا جرت قضية العلماء في كثير من الحديث»[١].

ثانياً: فإن لم يتيسر له الجمع بينهما - وكان الدليلان مما يقبلان التناسخ - نظر في التاريخ لمعرفة المتأخر من المتقدم، فيكون المتأخر ناسخاً للمتقدم.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا لم يحتمل الحديثان إلا الاختلاف. . . .كان أحدهما ناسخاً والآخر منسوخاً. . .»[٢].

ثالثاً: فإن تعذّر العلم بالتأريخ، عُمد إلى الترجيح، ووجوه الترجيح كثيرة عدّها بعضهم خمسين وجهاً وزاد آخرون[٣].

فأيهما رُجِّح عُمل به، والعمل بالراجح متعيِّن في فِطر العقول، وعليه إجماع العلماء وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنه متفق عليه»[٤].

رابعاً: فإن تعذَّر الترجيح، فقد اختلفوا بعد ذلك:

١- فمنهم من قال: يتوقف المجتهد إلى أن يتبين وجه الترجيح[٥].

٢- ومنهم من قال: يتخير المجتهد بين الدليلين، إذا لم يعثر على ترجيح، وهو مذهب لبعض الشافعية والحنفية[٦].

٣- ومنهم من قال: بتساقط الدليلين، ويطلب دليلًا ثالثاً على الترتيب[٧].

---

(١) معالم السنن ٣/ ٨٠

(٢) اختلاف الحديث ٧/ ٥٧ (بحاشية الأم).

(٣) انظر: الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ ص: ١١ وما بعدها، التقييد والإيضاح ص: ٢٤٥.

(٤) إرشاد الفحول ٢٧٦.

(٥) وذهب إليه أكثر الحنفية، وهي إحدى الروايتين عن مالك والشافعية والحنابلة، انظر: المسودة لمجد الدين بن تيمية ص: ٤٤٦ ص: ٤٤٨.

(٦) روضة الأنوار ٢/ ٤٣٢.

(٧) انظر: إرشاد الفحول ص: ٢٧٥، وانظر: روضة الأنوار لابن قدامة ٢/ ٤٣٢.

أمثلة للأدلة التي ظاهرها التعارض، وكيفية الجمع بينها:

أولًا: مثال التعارض بين آية وآية

أخرج البخاري - تعليقاً- عن سعيد بن جبير قال: «قال رجل[1] لابن عباس رضي الله عنه: «إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]. ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] فقد كتموا في هذه الآية. وقال: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٢٧- ٣٠] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [فصلت: ٩- ١١]. فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفتح: ١٤]. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧]. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤].

فكأنه كان ثم مضى؛ فقال - أي ابن عباس - أمّا قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور: ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]. فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾. أما قوله تعالى: ﴿رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾: فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم. وقال المشركون: تعالوا نقول: «لم نكن مشركين»، فختم على أفواههم فتنطق أيديهم، فعند ذلك عُرف أن الله لا يُكْتَم حديثاً، وعندها: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [النساء: ٤٢]. وخلق الله الأرض ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسوّاهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض؛ ودحوها: أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والجمال، والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩] فجعلت

(١) هو نافع بن الأزرق زعيم طائفة الأزارقة من الخوارج. انظر فتح الباري ٨/ ٥٥٧ .

الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخُلقت السموات في يومين﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

سمى نفسه بذلك، وذلك قوله: أي لم يزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد فلا يختلف عليك القرآن فإن كلا من عند الله[١].

ثانياً: مثال التعارض بين حديث وحديث:

زعم المدعون للتعارض، أن قوله ﷺ: «لا يدخل النارَ أحدُ في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء»[٢].

يعارض قوله ﷺ: «ما من عبد قال: «لا إله إلا الله» ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة قلت - أي أبو ذر -: «وإن زنى وإن سرق» ؟ قال: «وإن زنى وإن سرق» قلت: «وإن زنى وإن سرق ؟» قال: «وإن زنى وإن سرق»، ثلاثا، ثم قال في الرابعة «: على رغم أنف أبي ذر»[٣].

فقالوا: «والزِّنا والسرقة أعظم عند الله من مثقال حبة من خردل من كِبر»[٤].

الجواب[٥] إنّ الكِبر نوعان:

الأول: كبر مناف للإيمان بالكلية:

فلا يدخل صاحبه الجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، ومنه كبر إبليس وفرعون وكذا كِبر اليهود.

---

(١) صحيح البخاري ٨/ ٥٥٥، ٥٥٦ «فتح الباري» كتاب التفسير - سورة السجدة، وانظر: الرّد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل ص: ٥٤ وما بعدها وهو ضمن عقائد السلف د/ علی سامي النشار.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ١/ ٩٣ كتاب الإيمان - باب تحريم الكبر وبيانه - حديث رقم: ١٤٨ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه ١/ ٩٥ كتاب الإيمان - باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل . . . حديث رقم ١٥٤

(٤) انظر تأويل مختلف الحديث ص: ١١٧ .

(٥) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٧/ ٦٧٧، ٦٧٩، وتأويل مختلف الحديث ص: ١١٧، ١١٨ .

الثاني كِبر لا ينافي الإيمان بالكلية:

وإنما ينافي كماله الواجب: كاحتقار الخلق وجحد الحق، كما قال النبي ﷺ في تفسير الكِبر: «الكِبر بَطَر الحق وغمط الناس»(١).

فمن تلبَّس بالنوع الأول من نوعي الكِبر حُرم من دخول الجنة ابتداءً لا دوما. ومن تلبس بالنوع الثاني يكون مآله إلى الجنة، وقد يُحرم دخولها ابتداءً لا دوما وعليه فيكون مراد الحديث الأول: بيان حكم المتكبّر، وهو عدم دخوله الجنة، أي أن حكم من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كِبر هو ألا يدخل الجنة، كما أن حكم من كان في قلبه حبة خردل من إيمان ألا يدخل النار، فهذا كهذا من جهة الحكم ثم الله يفعل بعد ذلك ما يشاء.

وعلى ذلك يكون المنفي في الحديث: الدخول المطلق للجنة الذي لا يكون معه عذاب، ولا وعيد به، لا الدّخول المقيد، والذي يحصل لمن دخل النار ثم دخل الجنة أو دخل الجنة بعد تمحيصه بنحو ابتلاء أو شفاعة أو مغفرة، أو نحو ذلك.

ثالثاً: مثال التعارض(٢) بين آيات وأحاديث:

كما بين قوله ﷺ: «. . . إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته . . »(٣).

وقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقوله لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وذلك حين طلب موسى رؤيته كما قال تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فزعم نفاة الرؤية أن هذا تعارض، يُحكم به بعدم صحة

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ١/ ٩٣ كتاب الإيمان - باب تحريم الكبر وبيانه - حديث رقم: ١٤٧، وانظر: سنن أبي داود ٤/ ٣٥٢ كتاب اللباس - باب ما جاء في الكبر - حديث رقم: ٤٠٩٢
(٢) أي التعارض الظاهري .
(٣) رواه البخاري في صحيحه ٢/ ٢٣ «فتح الباري» كتاب مواقيت الصلاة - باب فضل صلاة العصر - حديث رقم ٥٥٤ .

الحديث؛ وعلى فرض صحته فالرؤية بمعنى العلم كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٤١].

والجواب من وجوه:

الأول: نفي الرؤية في الآيتين يفيد نفيها في الدنيا، والحديث دلّ على إثباتها في الآخرة، فلا تعارض ثمّة.

الثاني: الإدراك المنفي في الآية، معناه: الإحاطة وهو قدر زائد على الرؤية فالعيون لا تحيط به تعالى وإن رأته، وذلك لعظمه وكبره[١]، ومثل ذلك في آلاء الله: الشمس نراها بعيوننا، ولا نحيط بها، فالله تعالى أعظم وأكبر.

وقال تعالى في أصحاب موسى وقوم فرعون: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾[٢] [الشعراء: ٦١ - ٦٢].

فموسى عليه الصلاة والسلام نفى الإدراك، ولم ينفِ الرؤية.

وعليه؛ فآية ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] نفت الإدراك ولم تنف الرؤية[٣]. والحديث أثبت الرؤية، فلا تعارض.

الثالث: جاء في الكتاب العزيز ما يؤيد مدلول الحديث ،كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة ٢٢- ٢٣]. فإضافة النظر إلى الوجوه التي هي محل العيون، وتعديته بـ «إلى»كل ذلك يُفيد إثبات الرؤية البصرية، وهذا من أعظم نعيم الجنة، ومن أنكره حري بأن يُحرمه.

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ص: ١٥٠ .
(٢) انظر: شرح الطحاوية ص: ١٥١ .
(٣) تأويل مختلف الحديث ص: ٢٠٧ .

فوائد الالتزام بالقاعدة (الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة)

إذا علمنا ذلك فإن في هذا دليلًا واضحاً على أن الشريعة كاملة من كل وجه، وأن تحكيمها في حياة الناس أمر واجب، وإن لا خلل فيها ولا نقص بوجه من الوجوه وأنها شاملة لجوانب حياة الإنسان الدينية والدنيوية، وأن الخلاف وإن وجد فإنه يمكن توجيهه والوصول إلى الحق فيه، وهذه جملة لبعض الفوائد:

الفائدة الأولى: معارضة نصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض يقتضي التكذيب ببعض الحق:

لأنه من باب معارضة حق بحق. قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٢- ٣٣].

الفائدة الثانية: أهل البدع آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض:

فكان فيهم شبه من أهل الكتاب وكان من عمل الصحابة والتابعين ومن بعدهم - وممن كان على سنتهم - الاستدلال على مسائل الاعتقاد بنصوص الكتاب والسنة من غير تفريق بينها، ولا توهم التعارض بينها، مما يدل على أنها جميعا إنما تخرج من مشكاة واحدة[(١)] يصدّق بعضها بعضا. وعليه، فالتفريق بين نصوص القرآن والسنة في الاحتجاج بها على مسائل الاعتقاد هو من بدع المتأخرين، ولم يكن لهم فيه سلف صالح.

الفائدة الثالثة: أن النصوص يفسِّر بعضها بعضا:

فيُحمل المقيد على المطلق، والخاص على العام، ويرتفع الإشكال بالبيان، وهكذا... بل هذا من أحسن طرق التفسير، إذ يُفسَّر كلام المتكلم بعضه ببعض، فما ورد مجملا في مكان يكون قد ورد مفصّلا في موضع آخر، وما وقع فيه إشكال

---

(١) انظر صحيح البخاري ١٢/ ٢٨٣ «فتح الباري» كتابة استتابة المرتدين والمعاندين باب قتل الخوارج والملحدين حديث رقم: ٦٩٣١ .

في موضع، ارتفع هذا الإشكال ببيانه في موضع آخر، وكذلك مع كلام العلماء سواء في كتبهم أو أشرطتهم.

الفائدة الرابعة: وقد استعمل هذه القاعدة كثير من أئمة العلم والدين في كسر المبتدعة وتفنيد شبهاتهم، كصنيع الإمام الشافعي في رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب الرسالة، وفي كتاب مختلف الحديث ،وكذلك الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الردّ على الجهمية، والإمام ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب مختلف الحديث،والطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مشكل الآثار، وغير هؤلاء كثير من أئمة السنة.

* * *

المبحث السادس
الإيمان بالمتشابه والعمل بالمحكم

معنى الإحكام في اللغة[١]:

الأول المنع: والعرب تقول: حكمت، وأحكمت، وحكّمت بمعنى: منعت ورددّت، ومنه الحاكم الذي يمنع الظلم من الظالم.

قال الأصمعي: «أصل الحكمة: ردّ الرجل عن الظلم».

الثاني الإتقان: يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم. والحكم: العلم والفقه قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] أي: علما وفقهاً[٢].

معنى المتشابه في اللغة[٣]:

الشِبه والشَبيه: المِثل[٤] والجمع أشباه، وأشبه الشيء؛ إذا ماثله، وشابه الشيء الشيء وتشابها؛ إذا أشبه كل واحد منهما صاحبه، وفي التنزيل: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] والمشتبهات من الأمور: المشكلات قاله الليث واشتبه الأمر إذا اختلط، والشبه الالتباس، والإشكال والاشتباه والالتباس لأجل المشابهة.

معنى الإحكام والتشابه في الاصطلاح:

للمحكم والمتشابه إطلاقان: عام وخاص.

---

(١) انظر: لسان العرب ١٢/ ١٤٠ - ١٤٤ مادة حكم.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٥/ ٢١٠ (طبعة الشعب).
(٣) انظر: لسان العرب ١٣/ ٥٠٣ - ٥٠٥ مادة شبه.
(٤) قيل وهذا تجوّز من صاحب اللِّسان، وإلا التماثل يكون بين الشيئين من كل وجه، والتشابه في بعض الوجوه، وبعضهم يجعل التشابه في الصفات والتماثل في الذوات.

أولًا: الإطلاق العام للمحكم والمتشابه:

أ - إن المحكم والمتشابه بالمعنى العام الكلي يكادان يكونان مترادفين، فقد وصف الله القرآن كله بإنه محكم، فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] أي: أُتقنت وأُحسنت، صادقة أخبارها، عادلة أوامرها ونواهيها، فصيحة ألفاظها بهية معانيها(١).

قال ابن عباس رضي الله عنه: «لم يُنسخ بكتاب كما نُسخت الكتب والشرائع». وقال قتادة: «أي أحكمها الله فليس فيها اختلاف ولا تناقض»(٢).

وجعل القرآن كلّه متشابهاً فقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣] أي في حُسنه، فحيث جعل الله القرآن كله محكماً أراد أن الكل حق ليس فيه عبث ولا هزل، وحيث جعل الكل متشابهاً أراد أن بعضه يُشبه بعضاً في الحق والصدق وفي الحُسن(٣).

ثانياً: الإطلاق الخاص للمحكم والمتشابه:

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] وهنا يكون معنى المحكم غير معنى المتشابه.

وسنذكر أهم وأشهر هذه الأقوال:

الأول المحُكم: ما عُرِف معناه والمُراد منه.

والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه كوقت قيام الساعة، وخروج المسيح الدَّجّال، وهذا مذهب جابر بن عبد الله رضي الله عنه ومقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري وغيرهما.

---

(١) تفسير الكريم الرحمن ٣٧٦ .
(٢) تفسير البغوي ٣/ ٣٧٢ .
(٣) معالم التنزيل (تفسير البغوي) ٣/ ٢٧٨ .

القول الثاني المحُكم: ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً.

والمتشابه: ما احتمل أكثر من وجه.

القول الثالث المحُكم: ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان.

والمتشابه ما احتاج إلى بيان(١).

القول الرابع المحُكم: الناسخ

والمتشابه: المنسوخ، وروي ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة والضحاك والربيع والسدي(٢) ويميل ابن تيمية(٣) إلى أن النسخ هنا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

فالمحُكم هو جميع القرآن، **والمتشابه** هو ما يلقيه الشيطان ثم ينسخه الله ويزيله.

الأدلة على المحكم والمتشابه

أولا: القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]. وقد تقدم الكلام في هذه الآية بما يغني عن إعادته.

---

(١) انظر: العدة في أصول الفقه لأبي يعلى ٢/ ٦٨٤، ٦٨٥، والمسودة ص: ١٦١، وشرح الكوكب المنير ٢/ ١٤٢، وزاد المسير لابن الجوزي ١/ ٣٥٠، ٣٥١، وتفسير البغوي ١/ ٢٦٩، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٧/ ٤٢٢.

(٢) انظر: الفقيه والمتفقه ١/ ٥٩، وتفسير الطبري ٢/ ١٧٢، ١٧٣، وزاد المسير ١/ ٣٥٠، ٣٥١ وتفسير القرطبي ٤/ ١٠، وإيثار الحق ص: ٩٠.

(٣) انظر: المسودة ص: ١٦٢.

ثانياً: السنة النبوية:

قوله ﷺ: «. . . إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا بِهِ وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ»(١). وفيه بيان المتشابه النسبي والذي يُرفع برده إلى المحُكم أو إلى أُولي العلم.

وقوله ﷺ: «نزل الكتاب الأول من باب واحد، على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أحرف: زاجرا وآمرا، وحلالا وحراماً، ومحكماً ومتشابهاً وأمثالًا فأحِلوا حلاله وحرِّموا حرامه، وافعلوا ما أُمرتم به، وانتهوا عما نُهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعمِلوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه، وقولوا آمنا به كل من عند ربنا»(٢). وهذا فيه بيان المتشابه الحقيقي والذي فرضه الإيمان به ويحتمل المتشابه النسبي (الإضافي) لأنه يجب الإيمان به حتى يتبين معناه.

ثالثاً: أقوال السَّلف:

١- قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يؤمن بالمحكم ويدين به، ويؤمن بالمتشابه ولا يدين به وهو من عند الله كله»(٣).

٢- قول عائشة رضي الله عنها: «كان رسوخهم في العلم أن آمنوا بمتشابه ولا يعلمونه»(٤).

٣- وقال الحسن رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١]. قال: «يعملون بمحكمه يؤمنون بمتشابهه ويَكِلُون ما أَشكل عليهم إلى عالمه»(٥) وهذا جمع بين المتشابه الحقيقي والإضافي.

---

(١) مسند الأمام أحمد ١٠/ ٢٣٠ حديث رقم ٦٧٠٢، وصححه المحقق (شاكر) ١٠/ ٢٨٨ (طبعة دار المعارف)

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٥٣٣ كتاب فضائل القرآن وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد)، ووافقه الذهبي.

(٣) الإتقان للسيوطي ٢/ ٤، وتفسير الطبري ٣/ ١٨٦ .

(٤) الإتقان للسيوطي ٢/ ٤ .

(٥) تفسير الطبري ١/ ٥٢٠ .

٤- قول قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: في آية آل عمران: «آمنوا بمتشابهه واعملوا بمحكمه»[١].

٥- وقال الضحاك رَحِمَهُ اللَّهُ: «نعمل بالمحكم ونؤمن به، ونؤمن بالمتشابه ولا نعمل به وكل من عند ربنا»[٢].

٦- قال محمد بن جعفر بن الزبير رَحِمَهُ اللَّهُ: في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يقول: «ما يذكر في مثل هذا يعني في ردّ تأويل المتشابه إلى ما قد عُرف من تأويل المحُكم حتى يتّسقا على معنى واحد إلا أولوا الألباب»[٣].

٧- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد قال كثير من السلف: إن المحُكم ما يُعمل به، والمتشابه ما يؤمن به ولا يُعمل به»[٤].

موقف السلف من المحُكم والمتشابه:

الواجب على كل أحد أن يعمل بما استبان له، وأن يؤمن بما أشتبه عليه، وأن يرد المتشابه وإلى المحكم، ويأخذ من المحكم ما يُفسّر له المتشابه ويُبينه، فتتفق دلالته مع دلالة المحكم، وتوافق النصوص بعضها بعضاً، ويُصدِّق بعضها بعضاً، فإنها كلها من عند الله، وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض، وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره، فهذه طريقة الصحابة والتابعين في التعامل مع المحكم والمتشابه[٥].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود هنا أن الواجب أن يجعل ما قاله الله ورسوله هو الأصل، ويتدبر معناه ويعقل. . . ويعرف دلالة القرآن على هذا وهذا، وتجعل أقوال الناس التي قد توافقه وتخالفه متشابهة مجملة، فيقال لأصحاب هذه الألفاظ: يحتمل

---

(١) تفسير الطبري ٣/ ١٨٥ .
(٢) تفسير الطبري ٣/ ١٨٦ .
(٣) تفسير الطبري ٣/ ١٨٦ .
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٧/ ٣٨٦ .
(٥) انظر مجموع الفتاوى ١٧/ ٣٨٦، وأعلام الموقعين ٢/ ٢٩٤ .

كذا وكذا، ويحتمل كذا وكذا، فإن أرادوا بها ما يوافق خبر الرسول ﷺ قُبل، وإن أرادوا ما يخالفه رُدَّ»[١].

موقف المبتدعه من المحكم والمتشابه:

الواجب الحذر من طريقة أهل الأهواء والبدع، فإن لهم طريقين في ردّ السنن[٢]:

أحدهما: رد السنن الثابتة عن النبي ﷺ بالمتشابه من القرآن أو من السنة.

الثاني: جعل المحكم متشابهاً ليعطلوا دلالته.

وقد ورد في آية آل عمران أن موقف المؤمنين الراسخين في العلم من المتشابه هو الإيمان به ورده إلى الله، وأن موقف الزائغين أصحاب القلوب المريضة هو اتباع المتشابه والاستدلال به على مقالاتهم الباطلة طلباً للفتنة وتحريفاً لكتاب الله[٣].

أمثلة من المتشابه الذي يجب رده إلى المحكم:

المثال الأول:

ردّ الجهمية النصوص المحكمة غاية الإحكام المبينة بأقصى غاية البيان أن الله موصوف بصفات الكمال: من العلم، والقدرة والإرادة والحياة والكلام والسمع والبصر والوجه واليدين، والغضب والرضا والفرح والضحك والرحمة والحكمة، وبالأفعال كالمجيء والإتيان، والنزول إلى السماء الدنيا، ونحو ذلك، والعلم بمجيء الرسول ﷺ بذلك وإخباره به عن ربه إن لم يكن فوق العلم: بوجوب الصلاة والصيام والحج والزكاة وتحريم الظلم والفواحش والكذب، فليس يقصر عنه فالعلم الضروري حاصل بأن الرسول ﷺ أخبر عن الله بذلك، وفرض على الأمة

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٣/ ١٤٥، ١٤٦، وانظر شرح العقيدة الطحاوية ٢٢٤، ٢٢٥ .
(٢) انظر إعلام الموقعين ٢/ ٢٩٤ .
(٣) انظر تيسير الكريم الرحمن ١/ ٣٥٧، ٣٥٨ .

تصديقه فيه فرضا لا يتم أصل الإيمان إلا به، فردّ الجهمية ذلك بالمتشابه من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ومن قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] ومن قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ثم استخرجوا من هذه النصوص المُحْكمة المبيّنة احتمالات وتحريفات جعلوها به من قسم المتشابه.

المثال الثاني:

ردّهم المحكم المعلوم بالضرورة أن الرسل جاؤوا به من إثبات علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه بمتشابه قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ﴾ [المجادلة: ٧]. ونحو ذلك.

ثم تحّيلوا وتمحّلوا حتى ردّوا نصوص العلو والفوقية بمتشابهه.

المثال الثالث:

ردَّ القدرية النصوص الصريحة المحكمة في قدرة الله على خلقه وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن بالمتشابه من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الحديد: ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحريم: ٧].

فاستخرجوا لتلك النصوص المحكمة وجوها أُخر أخرجوها به من قسم المحكم وأدخلوها في المتشابه.

المثال الرابع:

ردَّ الجبرية النصوص المحكمة، في إثبات كون العبد قادرا مختارا فاعلا بمشيئته بمتشابه قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

وأمثال ذلك ثم استخرجوا لتلك النصوص من الاحتمالات التي يقطع السامع أن المتكلم لم يردها، ما صيروها به متشابهة.

المثال الخامس:

ردَّ الخوارج والمعتزلة النصوص الصريحة المحكمة غاية الإحكام في ثبوت الشفاعة للعصاة وخروجهم من النار بالمتشابه من قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]. وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ١٤]. ونحو ذلك وفعلوا فيها فعل من ذكرناه سواء.

المثال السادس:

ردّ الجهمية النصوص المحكمة التي قد بلغت في صراحتها وصحتها إلى أعلى الدرجات في رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى في عرّصات القيامة وفي الجنة بالمتشابه: من قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وقوله لموسى عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١].

ونحوها ثم أحالوا المحكم متشابها وردّوا الجميع.

المثال السابع:

ردّ النصوص الصريحة الصحيحة التي تفوق العدد على ثبوت الأفعال الاختيارية للرب سبحانه وقيامها به: كقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ١٠٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ﴾ [النمل: ٨].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقوله ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا»(١).

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقوله ﷺ في الحديث: «إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب الله قبله مثله ولم يغضب بعده مثله»(٢).

وقوله ﷺ: «إذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي»(٣).

الحديث وأضعاف أضعاف ذلك من النصوص التي هي تزيد على الألف فردوا هذا كله مع إحكامه بمتشابه قوله تعالى: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦].

المثال الثامن:

ردَّ النصوص المحكمة الصريحة التي في غاية الصحة والكثرة على أن الربّ سبحانه إنما يفعل ما يفعله لحكمة وغاية محمودة وجودها خير من عدمها، ودخول لام التعليل

---

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه مسلم والنسائي.

في شرعه وقدره أكثر من أن يعد، فردوها بالمتشابه من:

قوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. ثم جعلوها كلها متشابهة.

المثال التاسع:

ردّ النصوص الصحيحة الصريحة الكثيرة الدالة على ثبوت الأسباب شرعا وقدرا كقوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥] ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٩] ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢] ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٩] ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [الجاثية: ٣٥]

وقوله تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩].

وقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وقوله تعالى: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ [المؤمنون: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤].

وقوله في العسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].

وقوله في القرآن: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

إلى أضعاف أضعاف ذلك من النصوص المثبتة للسببية فردوا ذلك كله بالمتشابه من قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٨].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ

رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]. وقول النبي ﷺ: «ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم»[١].

وقوله: للذي سأله عن العزل عن أَمَتِهِ: «اعزل عنها، فسيأتيها ما قُدِر لها»[٢]. وقوله: «لا عدوى ولا طيرة»[٣] وقوله ﷺ: «فمن أعدى الأول»[٤]. وقوله ﷺ: «أرأيت إن منع الله الثمرة»[٥].

ولم يقل منعها البرد والآفة التي تُصيب الثمار ونحو ذلك من المتشابه، الذي إنما يدل على أن مالك السبب وخالقه يتصرف فيه بأن يسلبه سببيته إن شاء ويبقيها عليه إن شاء، كما سلب النار قوة الإحراق عن الخليل عليه السلام. ويالله للعجب! أترى من أثبت الأسباب !وقال: إن الله خالقها أأثبت خالقا غير الله ؟

وأما قوله تعالى ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]. فغاب عنهم فقه الآية وفهمها والآية من أكبر معجزات النبي ﷺ والخطاب بها خاص لأهل بدر وكذلك القبضة التي رمى بها النبي ﷺ فأوصلها الله سبحانه إلى جميع وجوه المشركين، وذلك خارج عن قدرته ﷺ وهو الرمي الذي نفاه عنه وأثبت له الرمي الذي هو في محل قدرته وهو الحذف، وكذلك القتل الذي نفاه عنهم هو قتل لم تباشره أيديهم، وإنما باشرته أيدي الملائكة، فكان أحدهم يشتد في أثر الفارس وإذا برأسه قد وقع أمامه من ضربة المَلَك، ولو كان المراد ما فهمه هؤلاء الذين لا فقه لهم في فهم النصوص لم يكن فرق بين ذلك وبين كل قتل، وكل فعل من شُرب أو زِنا أو سرقة أو ظلم، فإن الله خالق الجميع وكلام الله يُنزه عن هذا. وكذلك قوله ﷺ: «ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم»[٦].

---

(١) متفق عليه.
(٢) مسلم .
(٣) متفق عليه
(٤) متفق عليه .
(٥) متفق عليه .
(٦) متفق عليه .

لم يُرد أن الله حملهم بالقدر وإنما كان النبي ﷺ متصرفاً بأمر الله منفذا له ،فالله سبحانه أمره بحملهم فنفذ أوامره فكأن الله هو الذي حملهم وهذا معنى قوله: «والله إني لا أعطي أحدا شيئا ولا أمنعه»[١].

ولهذا قال: «وإنما أنا قاسم»[٢] فالله سبحانه هو المُعطي على لسانه وهو يُقسم ما قسِمه بأمره، وكذلك قوله في العزل: «فسيأتيها ما قُدِّر لها»[٣]. ليس فيه إسقاط الأسباب فإن الله سبحانه إذا قّدر خلق الولد سبق من الماء ما يخلق منه الولد ولو كان أقل شيء، فليس من كل الماء يكون الولد ولكن أين في السنة أن الوطء لا تأثير له في الولد البتة وليس سببا له، وأن الزوج أو السيد إن وطأ أو لم يطأ فكلا الأمرين بالنسبة إلى حصول الولد وعدمه على حد سواء ؟ كما يقوله منكرو الأسباب، وكذلك قوله: «لا عدوى ولا طيرة»[٤]. ولو كان المراد به نفي السبب كما زعمتم ،لم يدل على نفي كل سبب، وإنما غايته أن هذين الأمرين ليسا من أسباب الشَّر، كيف والحديث لا يدل على ذلك، وإنما ينفي ما كان المشركون يثبتونه من سببية مستمرة على طريقة واحدة لا يمكن إبطالها ولا صرفها عن محلها ولا معارضتها بما هو أقوى منها، لا كما يقوله من قصْر علمه إنهم كانوا يرون ذلك فاعلا مستقلا بنفسه فالناس في الأسباب لهم ثلاثة طرق:

الأول: إبطالها بالكلية.

الثاني: إثباتها على وجه لا يتغير، ولا يقبل سلب سببيتها، ولا معارضتها بمثلها أو أقوى منها كما يقوله الطبائعية والمنجمون والدّهرية.

الثالث: ما جاءت به الرسل ودلّ عليه الحسِّ والعقل والفطرة: وهي إثباتها أسبابا وجواز بل وقوع سلب سببيتها عنها إذا شاء الله، ودفعها بأمور أخرى نظيرها أو

---

(١) سبق تخريجه
(٢) متفق عليه .
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سبق تخريجه.

أقوى منها، مع بقاء مقتضى السببية فيها كما تصرف كثير من أسباب الشّر بالتوكل والدعاء والصدقة والذِّكر والاستغفار، والعتق والصِّلة. وتُصرف كثير من أسباب الخير بعد انعقادها بضد ذلك، فلله كم من خير انعقد سببه ثم صُرف عن العبد بأسباب أحدثها منعت حصوله، وهو يشاهد السبب، حتى كأنه أخذ باليد، وكم من شّر انعقد سببه ثم صُرف عن العبد بأسباب أحدثها منعت حصوله، ومن لا فقه له في هذه المسألة، فلا انتفاع له بنفسه، ولا بعلمه. والله المستعان وعليه التكلان.

المثال العاشر:

ردوا محكم قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وغيرها من النصوص المحكمة بالمتشابه من قوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠].

والآيتان حجة عليهم، فإن صفات الله جل جلاله داخلة في مسمى اسمه فليس الله اسماً لذات لا سمع لها، ولا بصر لها، ولا حياة لها ولا كلام لها، ولا علم، وليس هذا رب العالمين، وكلامه تعالى وعلمه وحياته وقدرته ومشيئته ورحمته داخلة في مسمى اسمه فهو سبحانه بصفاته وكلامه الخالق وكل ما سواه مخلوق، وأما إضافة القرآن إلى الرسول، فإضافة تبليغ محض لا إنشاء والرسالة تستلزم تبليغ كلام المرسِل ولو لم يكن للمرسِل كلام يبلغه الرسول لم يكن رسولا، ولهذا قال غير واحد من السَّلف: «من أنكر أن يكون الله متكلما فقد، أنكر رسالة رسله، فإن حقيقة رسالتهم»، تبليغ كلام من

أرسلهم فالجهمية وإخوانهم ردّوا تلك النصوص المُحكمة بالمتشابه، ثم صيَّروا الكل متشابها، ثم ردّوا الجميع فلم يثبتوا لله فعلا يقوم به يكون به فاعلا، كما لم يثبتوا له كلاما يقوم به يكون به متكلما، فلا كلام له عندهم ولا أفعال، بل كلامه وفعله عندهم مخلوق منفصل عنه، وذلك لا يكون صفة له لأنه سبحانه إنما يوصف بما قام به لا بمالم يقم به.

المثال الحادي عشر:

إخباره تعالى عن نفسه، وإخبار رسوله ﷺ: «عنه أن المؤمنين يرونه عيانا جهرة كرؤية الشمس في الظهيرة، والقمر ليلة البدر». والذي تفهمه الأمم على اختلاف لغاتها وأوهامها من هذه الرؤية، رؤية المقابلة، والمواجهة التي تكون بين الرائي والمرئي فيها مسافة محدودة غير مفرطة في البعد فتمتنع الرؤية، ولا في القرب فلا تمكن الرؤية، لا تعقل الأمم غير هذا، فإما أن يروه سبحانه من تحتهم تعالى الله، أو من خلفهم، أو من أمامهم، أو عن أيمانهم، أو عن شمائلهم، أو من فوقهم، ولابد من قسم من هذه الأقسام إن كانت الرؤية حقا، وكلها باطل سوى رؤيتهم له من فوقهم، كما في حديث جابر ﷺ الذي في المسند، وغيره (بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار قد أشرف عليهم من فوقهم وقال: «يا أهل الجنة ! سلام عليكم».

ثم قرأ قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

ثم يتوارى عنهم وتبقى رحمته وبركته عليهم في ديارهم ولا يتم إنكار الفوقية، إلا بإنكار الرؤية، ولهذا طرد الجهمية أصلهم وصرّحوا بذلك وركبوا النفيين معا وصدَّق أهل السنة بالأمرين معا، وأقروا بهما وصار من أثبت الرؤية ونفى علو الرب على خلقه واستواءه على عرشه، مذبذباً بين ذلك لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء. فهذه أنواع من الأدلة السمعية المحكمة، إذا بسطت أفرادها كانت ألف دليل على علو الرب على خلقه واستوائه على عرشه، فترك الجهمية ذلك كله وردّوه بالمتشابه من

قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

ورده زعيمهم المتأخر بقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

وبقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

ثم ردّوا تلك الأنواع كلها فسلطوا المتشابه على المحكم، وردّوه به، ثم ردوا المحكم بالمتشابه فتارة يحتجون به على الباطل، وتارة يدفعون به الحق، ومن له أدنى بصيرة يعلم أنه لا شيء في النصوص أظهر ولا أبين دلالة من مضمون هذه النصوص، فإذا كانت متشابهة فالشريعة كلها متشابهة وليس فيها شيء محكم البتة، ولازم هذا القول لزوما لا محيد عنه أن ترك الناس بدونها خير لهم من إنزالها إليهم، فإنها أوهمتهم وأفهمتهم غير المراد، وأوقعتهم في اعتقاد الباطل، ولم يتبين لهم ما هو الحق في نفسه بل أُحيلوا فيه على ما يستخرجونه بعقولهم وأفكارهم ومقايسهم، فنسأل الله مثبِّت القلوب تبارك وتعالى أن يُثبِّت قلوبنا على دينه.

وما بعث به رسوله من الهدى ودين الحق وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا إنه قريب مجيب.

المثال الثاني عشر:

ردَّ الرافضة النصوص الصحيحة الصريحة المحكمة، المعلومة عند خاص الأمة وعامتها بالضرورة، في مدح الصحابة والثناء عليهم ورضاء الله عنهم ومغفرته لهم وتجاوزه عن سيئاتهم، ووجوب محبة الأمة واتباعهم لهم واستغفارهم لهم واقتدائهم بهم بالمتشابه من قوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»(١). ونحوه كما ردَّوا المُحكم الصريح من أفعالهم وإيمانهم وطاعتهم، بالمتشابه من أفعالهم كفعل إخوانهم من الخوارج حين ردّوا النصوص الصحيحة المُحكمة في موالاة المؤمنين ومحبتهم وإن ارتكبوا بعض الذنوب التي تقع مُكَّفرة:

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم.

بالتوبة النصوح والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المُكِّفرة، ودعاء المسلمين لهم في حياتهم وبعد موتهم وبالامتحان في البرزخ، وفي موقف القيامة، وبشفاعة من يأذن الله له في الشفاعة، وبصدق التوحيد، وبرحمة أرحم الراحمين.

فهذه عشرة أسباب تمحق أثر الذنوب فإن عجزت هذه الأسباب عنها فلابد من دخول النار ثم يُخرَجون منها.

فتركوا ذلك كله بالمتشابه من نصوص الوعيد، وردّوا المُحكم من أفعالهم وإيمانهم وطاعتهم، بالمتشابه من أفعالهم التي يحتمل أن يكونوا قصدوا بها طاعة الله فاجتهدوا فأداهم اجتهادهم إلى ذلك، فحصلوا فيه على الأجر المفرد، وكان حظ أعدائهم منه تكفيرهم واستحلال دمائهم وأموالهم، وإن لم يكونوا قصدوا ذلك كان غايتهم أن يكونوا قد أذنبوا، ولهم من الحسنات والتوبة وغيرها ما يرفع موجب الذنب فاشتركوا هم والرافضة في ردّ المُحكم من النصوص وأفعال المؤمنين بالمتشابه منها فكفروهم وخرجوا عليهم بالسيف يقتلون أهل الإيمان.

ويدعون أهل الأوثان، ففساد الدنيا والدّين من تقديم المتشابه على المُحكم، وتقديم الرأي على الشرع، والهوى على الهدى وبالله التوفيق[1].

❊ ❊ ❊

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ٢/ ٢٩٤ - ٣٠٤ . وانظر كتاب التسعينية لابن تيمية.

المبحث السابع:
عدم الخوض في علم الكلام والتأويل الكلامي

لأنه من أكبر أسباب الإضلال، خاصة في أمور العقائد، فإن من أسباب الإضلال: الإعراض عن كلام الله والتأويل الكلامي:

المطلب الأول:
الإعراض

ومعناه: صدّ وولّى مُبدياً عرضه، قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ [النساء: ٦٣] ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ [السجدة: ٢٢] ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: ١٩٩] ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ [طه: ١٢٤] ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

وربما حُذف عنه استغناء عنه نحو ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٨] ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣] ﴿فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [سبأ: ١٦][(١)].

وهو: الإعراض عن تدبر كلام الله وكلام رسوله ﷺ، والاشتغال بكلام اليونان والآراء المختلفة.

قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾ [طه: ٩٩-١٠١].

فالقرآن الذي يتضمن ذكر للأخبار السابقة واللاحقة، وذِكر يتذكر به ما لله تعالى من الأسماء والصفات الكاملة، ويتذكر به أحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء والذي يجب تلقيه بالقبول والتسليم والانقياد والتعظيم، وأن يُهتدى بنوره إلى الصراط

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني.

المستقيم، وأن يقبلوا عليه بالتعلم والتعليم.

وأما مقابلته بالإعراض عن اتباعه أمراً وطلباً، وابتغاء الهدى في غيره، أو ما هو أعظم منه من الإنكار، فإنه كُفر لهذه النعمة، ومن فعل ذلك، فهو مستحق للعقوبة ولهذا قال: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به، أو تهاون بأوامره ونواهيه، أو بتعلم معانيه الواجبة﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا﴾ وهو ذنبه، الذي بسببه أعرض عن القرآن، وأولاه الكفر والهجران، ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ﴾ أي: (ص ٥١٣) في وزرهم لأن العذاب هو نفس الأعمال، تنقلب عذابا على أصحابها، بحسب صغرها وكبرها. وهذا عام في كل من بلغه القرآن من العرب والعجم، أهل الكتاب وغيرهم.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٧] فيخبر تعالى أنه أمر آدم وإبليس أن يهبطا إلى الأرض، وأنه سينزل عليهم كتبا ويرسل إليهم رسلا يبينون لهم الطريق المستقيم الموصلة إليه وإلى جنته، وبيَّن لهم الموقف الواجب تجاه هذا الكتاب المنزل، فإن من اتبع ما أمر به، واجتنب ما نهي عنه، فإنه لا يضل في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يشقى فيهما، بل قد هدي إلى صراط مستقيم، في الدنيا والآخرة، وله السعادة والأمن في الآخرة.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ أي: كتابي الذي يتذكر به جميع المطالب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض عنه، أو ما هو أعظم من ذلك، بأن يكون على وجه الإنكار له، والكفر به ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي: فإن جزاءه، أن نجعل معيشته ضيقة مشقة، ولا يكون ذلك إلا عذابا، وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر.

وذهب بعض المفسرين، إلى أن المعيشة الضنك، عامة في دار الدنيا، بما يصيب المعرض عن ذكر ربه، من الهموم والغموم والآلام فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره،

بل صدره [ضيق] حَرَج لضلاله، وإن تَنَعَّم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد. فهذا من ضنك المعيشة، التي هي عذاب مُعجَّل وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة، لإطلاق المعيشة الضنك، وعدم تقييدها

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]. فقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ﴾: أي: لا أظلم ممن ذَكَّرَه الله بآياته وبينها له ووضحها، ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساهاكأنه لا يعرفها.

المطلب الثاني:
التأويل

التأويل في اللغة: ومادتها (آل) تدور على عدة معانٍ منها: -

١- **المرجع والمصدر والعاقبة**: من آل الشيء يؤول إلى كذا: أي رجع وصار إليه[(١)] أي الحقيقة التي يؤول إليها الأمر.

٢-**التفسير**: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير[(٢)]. وقال الليث: التأول والتأويل، تفسير الكلام الذي تختلف معانيه[(٣)].

٣- **تطبيق الأمر وتنفيذه**: كما قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا كان الرسول ﷺ يقول في سجوده: «سبحان ربي الأعلى» يتأول القرآن. أي يمتثل ويطبق قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر].

---

(١) النهاية في غريب الحديث ١/ ٨٠ لابن الأثير. وانظر تاج العروس ٧/ ٢١٥ للزبيدي.
(٢) تفسير الطبري ٣/ ١٨٤.
(٣) لسان العرب ١١/ ٣٣.

التأويل عند السَّلف:

التأويل في اصطلاح السَّلف ورد بمعنيّن:

الأول: العاقبة والحقيقة التي يؤول إليها الأمر: وهو غالب استعمال القرآن الكريم. كما قال يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف: ١٠٠].

الثاني: التفسير: وهو تفسير الكلام وبيانه. كدعاء النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «اللّهم فقهه في الدِّين وعلمه التأويل»[١]. فالتأويل هنا: التفسير.

التأويل عند الأصوليين (أهل الكلام):

التأويل: «هو صرف اللفظ من الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، لدلالة العقل»[٢].

فالتأويل الصحيح[٣] هو: الذي يوافق ما دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٢٧ وصحح إسناده أحمد شاكر. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٧٦ باب جامع فيما جاء في علمه وما سئل عنه . . . وعزاه إلى أحمد والطبراني ثم قال: «ولأحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح» والمعنيان مرادفان للمعنى اللغوي.

(٢) روضة الناظر ٢/ ٣٠-٣١ مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٠١

(٣) للتأويل الصحيح **أربعة شروط** ١- أن يكون اللفظ مُحتمِلًا للمعنى الذي تأوله المتأول في لغة العرب. ٢- إذا كان اللفظ محتملًا للمعنى الذي تأوله المتأول فيجب عليه إقامة الدليل على تعيُّن ذلك المعنى، لأن اللفظ قد تكون له معان، فتعين المعنى يحتاج إلى دليل. ٣- إثبات صحة الدليل الصارف للفظ عن حقيقته وظاهرة، فإن دليل مدعي الحقيقة والظاهر قائم، لا يجوز العدول عنه إلا بدليل صارف يكون أقوى منه. ٤- أن يَسلَمَ الدليل الصارف للفظ عن حقيقته وظاهره عن معارض .

(٤) كتأويل حديث: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل» رواه أحمد ٢٣٢٣٦ والترمذي: ١٠٢١ أبو داود: ١٧٨٤ والدارمي: ٢٠٨٩ . بان المراد بالمرأة: الصغيرة. أو يكون صرف اللفظ عن ظاهره لا لدليل أصلًا، وهذا يسمى في اصطلاح الأصوليين لعباً، كقول بعض الرافضة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ (البقرة: ٦٧) يعني عائشة رضي الله عنها .

تنبيهات[١]:

١- الفيصل بين صحيح التأويل وباطله: أن الصحيح ما وافق ما دلّت عليه النصوص وما جاءت به السنة وطابقها، والباطل ما خالف النصوص والسنة[٢].

٢- يجب أن تحمل ألفاظ الكتاب والسنة على ظواهرها إلا بدليل صارف.

٣- الدليل الصارف للفظ عن ظاهره على درجات[٣]:

أ- فإن كان الاحتمال قريباً فيكيفه أدنى دليل.

ب- وإن كان الاحتمال بعيداً فيحتاج إلى دليل قوي.

ج- وإن كان الاحتمال متوسطاً فيحتاج إلى دليل متوسط.

٤- إذا لم يوجد على التأويل دليلٌ صحيح امتنع حملُ اللفظ وصرفُه عن ظاهره ووجب رد التأويل[٤].

تاريخ ظهور مصطلح التأويل عند الأصوليين:

لقد ظهر التأويل بمعناه الاصطلاحي(صرف اللفظ عن ظاهره) في عصور متأخرة بعد عصر السَّلف المتقدمين، فلم يكن يُعرف عند الصحابة والتابعين التأويل بهذا المعنى المتأخر، وكذلك عند أهل اللغة المتقدمين[٥]. بل كان ظهوره بعد عصر القرون المُفضّلة، وفي بيئة المتكلمين والفلاسفة، وذلك بعد ظهور الخلاف والتفرق في المسلمين، وأول من أظهر هذا المصطلح هو (الرازي) وهو من أعيان المائة السابعة[٦].

---

(١) انظر معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة. للدكتور محمد بن حسين الجيزاني .
(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٦٧، ٦/ ٢١) و«الصواعق المرسلة» (١/ ١٨٧) .
(٣) انظر: «روضة الناظر» (٢/ ٣٢، ٣٣) و«قواعد الأصول» (٥٢) و «مختصر ابن اللحام» (١٣١).
(٤) انظر: «شرح الكوكب المنير» (٣/ ٤٦١).
(٥) راجع تعريف التأويل في اللغة.
(٦) انظر أساس التقديس (٢١١، ٢٢٢).

بطلان مذهب أصحاب التأويل الكلامي:

١- يستطيع السّلف رضوان الله عليهم القول بأن ما أثبتوه من مسائل العقيدة هو من عند الله، فقد ورد في الكتاب والسنة وقد دلّا عليه، أما المتأولة فلا يملك أحدهم أن يدّعي في الذي نفاه من دلالة النصوص، أو ما أولّه عليها من المعاني البعيدة.

٢- إذا كان الحق ما يقوله هؤلاء المتأولة النافون لمعاني النصوص الثابتة في الكتاب والسنة، من هذه العبارات والاحتمالات ونحوها، دون ما يُفهم من الكتاب والسنة إما نصاً وإما ظاهراً، فكيف يجوز على الله تعالى، ثم على رسوله ﷺ، ثم على خير الأمة وأفضلها من الصحابة والتابعين: أنهم يتكلمون بما هو نّص أو ظاهر في خلاف الحق؟! ويُعلِّمون ذلك أولادهم، ونساءهم، وإماءهم[1]، هكذا يعلمونهم الباطل والكُفر والتّشبيه، حتى جاء تلامذة الصابئة والفلاسفة فنطقوا بالبيان، وصدعوا بالحق[2]. (سبحانك هذا بهتان عظيم).

٣- القول بمذهب التأويل يلزم منه أن يكون الصحابة والسّلف بين أمرين ،كلاهما باطل[3]:

أ- أن الصحابة والسّلف لم يفهموا الحق من ذلك، وأن ظواهر هذه النصوص باطل:

ب- أنهم علِموا الحق وفهموه، لكنهم كتموه، ولم يقوموا بواجب النصح للمسلمين.

٤- المتأولة يحاولون معرفة كل ما دلّت عليه النصوص على نحو من التفصيل وإخضاع ذلك لمعطيات العقل والحسّ، فخرجوا عن حدّ الاتصاف بالإيمان بالغيب.

---

(١) كالجارية التي أتى بها سيدها إلى النبي ﷺ يريد أن يعتقها: فسألها: «أين الله؟» قالت: «في السماء»، قال: «من أنا» ؟ قالت: «أنت رسول الله». قال: «أعتقها فإنها مؤمنة» صحيح مسلم ١/ ٣٨٢ كتاب المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة حديث رقم ٥٣٧ .

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ١٥، ١٦ .

(٣) انظر : إيثار الحق ص ١٣٨-١٣٩ وذم التأويل لموفق الدين ابن قدامه المقدسي ١١، ١٢ تحقيق الشيخ بدر البدر حفظه الله .

٥- لا تجد للمتأول فرقا صحيحا بين ما يسوغ تأويله، وبين ما لا يسوغ تأويله بل كل ما يدعي أنه لا يسوغ فيه التأويل، فهو من جنس ما أوله، وكذا العكس ولهذا يلزمه إحدى أحوال ثلاث[١]:

أ- الإيمان بجميع النصوص وإثبات ما دلّت عليه، فيوافق الحق لفظا ومعنى.

ب- إنكار جميع ما دلّت عليه النصوص، فيخرج من التناقض ويلحق بأهل الكفر الصريح.

ج- أن يُفرِق بين ما لا يجوز التفريق فيه، فيؤمن ببعض، ويكفر ببعض، وهذا هو عين التناقض والاضطراب الذي هو سنة جمهور المتكلمين.

٦- ليس عند فِرقة من فِرق التأويل معيار ترد به دلالة النصوص إلا ما أصّلته واعتقدته مذهبا، فردّت ما خالفه مهما كانت وضوح حجته، وقوة دلالته:

أ- فالرافضة: أصَّلت عداوة الصحابة، فردوا من النصوص ما دلَّ على فضائلهم والترضي عليهم

ب- والجهمية: أصَّلت نفي التشبيه والتجسيم، فردّت ما ثبت لله من صفات الكمال والجلال.

ج- والقدرية: أصَّلت مسألة العدل ووجوبه، فردّت نصوص القدر والمشيئة وعَكَسَت الجبرية: فأصَّلت القَدَر، والمشيئة، وردّت ما دلَّ على قدرة العبد واختياره وحكمة الله وعدله.

د- والوعيدية: أصَّلت القول بنفوذ الوعيد، وأن من يدخل النار لا يخرج منها وردّوا ما خالف ذلك من نصوص الوعد والتجاوز والشفاعة وغيرهما.

٧- ومن فساد التأويل: أنك تجد كل واحد من أهل التأويل يلزم المنكِر عليه بمثل ما ألزمه.

---

(١) انظر الصواعق المرسلة ١/ ٢٢٨-٢٣٠ .

ولهذا إذا استدل متأول الصفات على منكِر المعاد وحشر الأجساد بنصوص الوحي أبدى له تأويلات تخالف ظاهرها، مستندا لذات حجة المنِكر عليه، ولا سيما أن نصوص الصفات أكثر وأصرح.

٨-طريقة الغزالي في ترجيحه مذهب السّلف في ترك التأويل، وذلك في كتابه (إلجام العوام عن علم الكلام)، ولعله من أواخر كتبه:

يقول أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «أما البرهان الكلي على أن الحق مذهب السّلف فينكشف بتسليم أربعة أصول هي مُسلَّمة عند كل عاقل» ثم ذكرها:

أ- أن النبي ﷺ هو أعرف الخلق بصلاح أحوال العباد في معاشهم ومعادهم.

ب- أنه ﷺ بلَّغ كل ما أوحي إليه من صلاح العباد ومعاشهم ومعادهم، ولم يكتم شيئاً، وأنه كان أحرص الخلق على صلاح الخلق وإرشادهم إلى صلاح المعاش والمعاد.

ج- أن أعرف الناس بمعاني كلام رسول الله ﷺ وأحراهم بالوقوف على كنهه وإدراك أسراره: الذين لازموه وعاينوا التنزيل، وعرفوا التأويل، وهم أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

د- أن الصحابة في طول أعصارهم إلى آخر أعمارهم ما دعوا الخلق إلى التأويل ولو كان من الدّين لأقبلوا عليه ليلًا ونهارا، ودعوا أولادهم وأهلهم إليه».

ثم قال أبو حامد: «فنعلم بالقطع من هذه الأصول أن الحق ما قالوه والصواب ما رأوه»[١].

٩- والمتأولة يقولون: «الظاهر المتبادر من نصوص الصفات: التشبيه والتجسيم»[٢]. والحق الذي لا مرية فيه أن المتبادر من كل وصف ثبت في الكتاب

(١) إلجام العوام عن علم الكلام ص ٢٣-٢٥: فلعله رجع إلى منهج السلف واشتغل في أواخر أيامه بالحديث ومات وصحيح البخاري على صدره.
(٢) وكأن الله تعالى قصْرت به البلاغة حتى ينّزل كلاماً ظاهره الكفر.

والسنة هو: التنزيه التام عن مشابهة الحوادث.

١٠- من شؤم التأويل على الإسلام وأهله:

أنه مزقهم كل ممزّق، فاختلفوا في أصول دينهم، وجعل بعضهم يلعن بعضا وبعضهم يُكّفِر بعضاً، وترى طوائف منهم تسفك دماء الآخرين، وتستحل منهم الأنفس والأموال والأعراض:

فما خرجت الخوارج، ولا اعتزلت المعتزلة، ولا رفضت الرافضة، إلا بالتأويل وما كانت حروب الرّدة، ومقتل عثمان رضي الله عنه، وحروب (صفّين) والجمل إلا بالتأويل وما نُصب المنجنيق على البيت (الكعبة) أيام الزبير وأيام القرامطة إلا بالتأويل[1] وما ضُرِب مالك بن أنس بالسياط وكذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وطُلب قتله إلا بالتأويل.

وما جرى على الإمام البخاري رحمه الله وإخراجه من بلده إلا بالتأويل؛ فأي جناية جناها التأويل على الإسلام وأهله.

موقف السّلف من قضية التأويل الكلامي:

١- قال محمد بن إسحق بن خزيمة رحمه الله: «إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله تعالى، نقلها الخلف عن السّلف قرنا بعد قرن، من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا على سبيل[2] الصفات لله تعالى، المعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله تعالى في تنزيله، ونبيه الرسول ﷺ عن كتابه، مع اجتناب التأويل والجحود، وترك التمثيل والتكييف»[3].

٢- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار

---

(١) انظر الصواعق المرسلة ١/٣٤٨، ٣٤٩، ٣٧٦، وإعلام الموقعين ٤/٢٥١، ٢٥٢ .

(٢) لعله خطأ مطبعي، وإنما هي: (إثبات الصفات) حتى يستقيم المعنى .

(٣) ذكره عنه ابن قدامة في ذم التأويل ص ١٨ برقم ٢٠ .

أكثر من مائة تفسير، فلم أجد - إلى ساعتي هذه- عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاه المفهوم المعروف؛ بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته - وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين - ما لا يحصيه إلا الله. . .»[١].

٣- وقال الأوزاعي إمام الشام رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنّا والتابعون متوافرون نقول: «إن الله- تعالى ذكره - فوق عرشه،ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته جل وعلا»[٢].

وهذه الآثار وغيرها كثير تدل دلالة واضحة على عناية الصحابة رضي الله عنهم ومن سار على نهجهم في العقيدة، وعلى بقائها نقية كما أُنزلت على قلب النبي ﷺ، وكذا الردّ على المخالفين فيها، وإن بيان الحق يوجب الردّ على المبتدع حتى لا يختلط الحق بالباطل وليس هذا من باب الانشغال بالمعارك الكلامية، أو المعارك التاريخية كما يحلو للشانئين رمي السَّلف بهذه الفرية (والله المستعان).

٤- قال أبو عيسى الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ عقب روايته لحديث في فضل الصدقة فيه ذكر صفة اليمين للرحمن (جلّ ذِكره): «وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات عن الصفات، ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا. قالوا: «قد ثبتت الروايات في هذا، ويؤمن بها، ولا يُتوهّم، ولا يُقال: «كيف» ؟ هكذا رُوي عن مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، أنهم قالوا في هذه الأحاديث: «أمِرّوها بلا كيف»، وهكذا قول أهل العلم من السنة والجماعة. . .»[٣].

٥- قال أبو عمر يوسف بن عبد البرّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في القرآن والسنة كلها، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/ ٣٩٤ .
(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٠٨ وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش ص ٤٣ .
(٣) سنن الترمذي ٣/ ٢٤ كتاب الزكاة - باب ما جاء في فضل الصدقة عقب حديث رقم ٦٦٢ .

على المجاز، إلا أنهم لا يُكيفون شيئا من ذلك، ولا يجدون فيه صفة محصورة.

وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة، والخوارج: فكلهم يُنكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقرّ بها مشِّبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهم أئمة الجماعة»[(١)].

٦- قال محمد بن إسحق بن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: «فنحن وجميع علمائنا: من أهل الحجاز وتهامة، واليمن، والعراق، والشَّام، ومصر مذهبنا: أناَّ نُثبت لله ما أثبته لنفسه نقِر بذلك بألسنتنا ونصدق بذلك بقلوبنا من غير أن نُشِّبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين وعزّ ربنا عن أن نشبهه بالمخلوقين، وجلّ ربنا عن مقالة المعطلين جلّ وعزّ أن يكون عَدَماً كما قاله المبطلون، لأنه ما لا صفة له، تعالى الله عمَّا يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف الله بها نفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه محمد ﷺ»[(٢)].

٧- وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السّلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل...»[(٣)].

٨- قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: «فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذِكر الوجه واليد، والنفس فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته، أو نعمته لأن فيه

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ٧/ ١٤٥ .
(٢) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزّ وجلّ لابن خزيمة ص ١٠ ، ١١
(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٢٢

إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفة بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته تعالى بلا كيف »[١].

٩- وقال أبو محمد الجويني - والد إمام الحرمين رحمهما الله: «وأثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، والحق واضح في ذلك، والصدور تنشرح له، فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة، مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره. . . »[٢].

١٠- وقال القاضي أبو يعلى رَحِمَهُ اللهُ: «لا يجوز ردّ هذه الأخبار - على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة ولا التشاغل بتأويلها- على ما ذهب إليه الأشعرية - والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله تعالى، لا تُشبه سائر الموصوفين بها من الخَلق ولا نعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن شيخنا وإمامنا أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، وغيره من أئمة أصحاب الحديث»[٣].

١١- وقال عبد القادر الجيلاني رَحِمَهُ اللهُ: «وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش، لا على معنى القعود والمماسة كما قالت المجسمة والكرامية، ولا على معنى العلو والرفعة كما قالت الأشعرية، ولا على معنى الاستيلاء والغلبة كما قالت المعتزلة، لأن الشّرع لم يرد بذلك، ولا نقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث ذلك، بل المنقول عنهم حمله على الإطلاق»[٤].

---

(١) كتاب الفقه الأكبر ص ١٨٥- دار الكتب العربية الكبرى - مصر .
(٢) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ... لأبي محمد الجويني (ضمن مجموعة الرسائل المنبرية) ١/ ١٨ .
(٣) كتاب إبطال التأويلات ص ٤ .
(٤) الغنية ١/ ٥٠ .

من هم أهل الكلام ؟:

إنما سُمُّو بأهل الكلام، لأنهم لم يفيدوا علماً لم يكن معروفاً، وإنما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد، وهو ما يضربونه من القياس لإيضاح ما عُلِم بالحس، وإن كان هذا القياس وأمثاله ينتفع به في موضع آخر، ومع من ينكر الحس.

وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته - مع وجود النّص، أو عارض النّص بالمعقول فقد ضاهى إبليس، حيث لم يُسلِّم لأمر ربه وقال: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

ودخل في زمرة أهل الكلام، وكون التأويل هو من أبرز مرتكزات أهل الكلام بعد العقل فسنبدأ به.

أهم أصول أهل الكلام في تلقي الدين:

ولأهل الكلام أصول كثيرة في العقائد والأحكام ومن أهم هذه الأصول:

١- مسائل الاعتقاد لا تُبنى - عندهم - إلا على القطعيات، والقطع إنما يُستفاد من جهة العقل، لا من جهة النقل، لأن من النقل ما لا يفيد يقينا؛ وعليه فقد أسسوا عقائدهم ومسائلهم ابتداء على قضية العقل(١).

٢- جواز التعارض بين العقل والنقل، أي بين العقل الصريح والنقل الصحيح.

٣ - وجوب تقديم الدليل العقلي مطلقا، وذلك من جهة كونه عقلياً فقط.

٤- عدم إفادة الدليل النقلي لليقين(٢).

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦/ ٤٤٠، ١٧/ ٣٠٦، ٣٠٧ ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ١٢، وانظر: أساس التقديس ص : ٢١١ .

(٢) أن كون الدليل في الأمور الظنية أو القطعية أمر نسبي يختلف باختلاف المُدْرِك المستَدِل، ليس هو صفة للدليل في نفسه، فهذا أمر لا ينازع فيه عاقل، فقد يكون قطعيًا عند زيد ما هو ظني عند عمرو. قاله ابن القيم مختصر الصواعق (٥٠١) انظر الفصل الرابع المبحث الثاني.

٥- أن الضابط في حمل اللفظ على الاحتمال المرجوح صحة معناه في اللغة، دون اعتبار للسياق الذي ورد به، أو كليات الشريعة[١]؛ أو التزام منهج السّلف في فهم النصوص وإجرائها على ظواهرها.

٦- أن الدليل الصارف للفظ عن ظاهره، هو دليل العقل، وهو إحالة معنى اللفظ عقلًا.

موقف أهل الكلام من نصوص الكتاب والسنة إذا خالفت أصولهم:

الأول: الإنكار، وذلك بالطّعن في صحتها، ولا سيّما إذا كانت أخبار آحاد.

الثاني: الإعراض عن معانيها، وذلك بعد ثبوت ورودها، كأن تكون قرآنا أو أخباراً متواترة، ولهم في الإعراض عنها سبيلان:

أ- الإعراض عنها بالكلية، بقلوبهم وعقولهم، وتفويض علم معانيها إلى الله تعالى مع اعتقاد أن ظواهرها غير مرادة، وهي التي يسمونها طريقة السّلف.

ب- تحريف الكَلِم عن مواضعه مستعملين شواذ اللغات وأنواع التمحّلات، وهذا الذي يسمونه تأويلًا.

فحقيقة مذهب هؤلاء المتأولة: أن الرسول ﷺ لم يبيّن الحق، ولا أوضحه لأمته مع أمره ﷺ أمته أن يعرفوا الحق ويعتقدوه، لكنه لم يبيّنه لهم، بل دلّهم على نقيضه وأن نصوص الكتاب والسنة نطقت بصريح الكفر، والتشبيه والإلحاد، فالمطلوب منهم اعتقاد ما لم تدل عليه النصوص، بل دلّت على نقيضه[٢].

---

(١) فإن اللفظ قد يحتمل هذا المعنى المرجوح لغة، لكن في غير هذا السياق الخاص.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل: ١/٢٠٢، ٢٠٣، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٥/١٧، ١٧/ ٣٥٧، ٣٦١.

موقف السّلف من أهل الكلام:

١- قال عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دخلتُ على مالك بن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وعنده رجل يسأله عن القرآن[١] والقدر، فقال: «لعلك من أصحاب عمرو[٢] بن عُبيد، لعن الله عمرا فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام، ولو كان الكلام عِلماً لتكلّم به الصحابة والتابعون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ،كما تكلّموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل[٣].

٢- قال الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ما رأيت أحدا ارتدى بالكلام فأفلح، ولأن يُبتلي المرء بكل ذنب نهى الله عنه، ما خلا الشرك، خير له من أن يُبتلى بالكلام»[٤].

٣- قال إسحق بن عيسى أنه: «سمع مالك بن أنس يعيب الجدال في الدين ويقول: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل، أرادنا أن نردّ ما جاء به جبريل إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٥].

٤- وقال الشيخ نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا قاعدة أصحاب الكلام، وقوام دينهم الجدال والخصومات، مما لم يرد به شرع، ولا سَبقَ إليه أحد من أئمة الدِّين، فعُلم بطلانه وفساده».

٥- قال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «فيما كتبتُ إلى المتوكل: لستُ بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا، إلا ما كان في كتاب الله أو حديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو عن التابعين، فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود»[٦].

---

(١) أي كان يسأل عن القرآن أهو مخلوق أم غير مخلوق؟ .

(٢) عمرو بن عبيد بن باب، أبو عثمان البصري، المعتزلي القدري. قال ابن علية: أول من تكلم في الاعتزال واصل الغزّال، ودخل معه في ذلك عمرو بن عبيد، مات سنة ثلاث أو أربع وأربعين ومائة. ميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٩).

(٣) مختصر الحجة على تارك المحجة ١/ ٢٢٠ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي ص ١٨٢، ورواه ابن بطة في الإبانة (١/ ٥٠/أ). وقال محمد إبراهيم هارون إسناده صحيح في مختصر الحجة على تارك المحجة ١/ ٢٢٢، ٢٢٣، وأورده السفاريني في لوامع الأنوار البهية ١/١٠٨ .

(٥) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن ص ٢٠١، واللالكائي في السنة ١/ ١٤٤، وقال محمد إبراهيم هارون إسناده صحيح في مختصر الحجة على تارك المحجة ١/ ٢٢٤، ٢٢٥ .

(٦) أخرجه الأصبهاني في بيان الحجة ٣٩/ب، وابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص٢٠٤ ١/ ٢٠٨ تحقيق ودراسة الشيخ محمد بن ربيع المدخلي حفظه الله .

وبهذا الكلام تتضح أهمية التزام منهج السّلف في فهم النصوص ،كما نعرف أهمية التقيّد بالألفاظ التي وردت، وخاصة في العقيدة، وعدم إطلاق القول في الإثبات دون نظر إلى أقوال الصحابة وتابعيهم بإحسان، فإن هذا مظنّة الضلال والإضلال.

٦- وقال أبو عبد الله (أحمد بن حنبل) رَحِمَهُ اللهُ وذُكر أهل البدع، فقال: «لا أُحب لأحد أن يجالسهم ولا يخاطبهم ولا يأنس بهم، فكل من أحب الكلام لم يكن آخر أمره إلا إلى البدعة، لأن الكلام لا يدعوه إلى خير، فلا أحب الكلام، ولا الخوض ولا الجدال، عليكم بالسنن والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمراء، أدركنا الناس وما يعرفون هذا، ويجانبون أهل الكلام، ومن أحب أهل الكلام لم تفلح عاقبته، الكلام لا يوصل إلى خير، أعاذنا الله وإياكم من الفتن، وسلَّمنا وإياكم برحمته من كل هلكة برحمته»[١].

٧- وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: سمعتُ عليّ بن المديني رَحِمَهُ اللهُ يقول: «من السُّنة اللازمة التي من لم يؤمن بها لم يكن من أهلها: أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ولا تضعف أن تقول: ليس بمخلوق، فإن كلام الله منه، وليس شيء منه مخلوق، ولا تخاصم أحد ولا تناظره، ولا تتعلم الجدل، فإن الكلام مكروه ولا يكون صاحبه - وإن أصاب بكلامه السنة - من أهل السنة ،حتى يترك الجدال ويؤمن بالآثار»[٢].

٨- وقال الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «حُكمي في أصحاب الكلام، أن يُضربوا بالجريد، ويُحملوا على الإبل، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، ويُنادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام»[٣].

---

(١) مختصر المحجة على تارك المحجة ١/ ٢٢٨ وقال محمد إبراهيم هارون إسناده صحيح، وأورده السفاريني في لوامع الأنوار البهية ١/ ١٠٩ .

(٢) أخرجه اللالكائي في السنة ص (١/ ١٦٥-١٦) وإسناده إلى ابن المديني صحيح، ورواه اللالكائي في السنة من قول الإمام أحمد أيضاً (١/ ١٥٧).

(٣) رواه البيهقي في أدب الشافعي ومناقبه (١/ ٤٦٢)، قال محمد إبراهيم هارون إسناده إلى الشافعي صحيح في مختصر الحجة على تارك المحجة ص ٢٣٨، وذكره البغوي في شرح السنة ١/ ٢١٨ .

٩- عَنْ نَافِعٍ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ «قُعُودًا إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ إِنَّ فُلَانًا يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، (لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ) فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: بَلَغَنِي أَنَّهُ أَحْدَثَ حَدَثًا فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَلَا تَقْرَأَنَّ عَلَيْهِ مِنِّي السَّلَامَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي مَسْخٌ، وَقَذْفٌ وَهُوَ فِي الزِّنْدِيقِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ»[1].

١٠- وعن أبي سهل قال: «كنت أسير مع عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ فقال لي: ما ترى في هؤلاء القدرية؟ فقلت: أرى أن تستتيبهم، فإن تابوا وإلا عرضتهم على السيف، فقال عمر: ذلك رأيي. قال القعنبي: ذلك رأيي»[2].

١١- وقال أبو غالب: «كنتُ أمشي مع أبي أمامة، (وهو على حمار له)، حتى إذا انتهى حرج مسجد دمشق، فإذا رؤوس منصوبة، قيل: هذه رؤوس خوارج يُجاء بهم من العراق»، فقال أبو أمامة: كلاب النار، كلاب النار، كلاب النار شر قتلى تحت ظل السماء، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه. (يقولها ثلاثا): ثم بكى فقلت: «ما يبكيك يا أبا أمامة ؟» قال: «رحمة لهم، إنهم كانوا من أهل الإسلام خرجوا منه ثم قرأ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، ثم قرأ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. فقلتُ: يا أبا أمامة !هم هؤلاء ؟ قال: «نعم»، قلت: أشيء تقوله برأيك، أم شيء سمعته من رسول الله ﷺ ؟ فقال: إني إذاً لجريء! إني إذاً لجريء ! إني إذا لجريء! سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ولا أربع

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ١٣٧ رقم: ٦٢٠٨، وأبو داود رقم ٤٦١٣ وحسنه الألباني، والحديث صححه الحاكم والذهبي والهيثمي، كما حسّنه الترمذي رقم: ٢٠٧٩ وأقره الألباني حاشية المشكاة ١/ ٣٨ .

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ كتاب القدر ٣/ ٩٣، ورواه عثمان بن سعيد الدرامي في الرد على بشر المريسي ص ٥٦٧ . وقال محمد إبراهيم هارون إسناده صحيح في مختصر الحجة على تارك المحجة ص ٢٤٢، ٢٤٣ .

ولا خمس ولا ست ووضع أصبعيه في أُذنيه» وقال: وإلا فصُمّتا (قالها ثلاثا) ثم ذكر حديث افتراق بني إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسائرهن في النار، ولتزيدن هذه الأمة عليهم فرقة ،واحدة في الجنة وسائرهن في النار، فقلت: يا أبا أمامة ! فما تأمرني ؟ قال: عليك بالسواد الأعظم قلت:

فإن السواد الأعظم ما ترى؟ قال: «السمع والطاعة خير من الفُرقة والمعصية»[(١)(٢)].

* * *

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته عن مفاسد التأويل:

هَـذَا وَأَصْـلُ بَـلِيَّـةِ الإِسـلام مِـنْ ... تَـأْويـل ذِا الـتَّـحْـرِيـفِ وَالـبُـطْلَانِ

وَهُوَ الَّذِي قَدْ فَرَّقَ السَّبْعينَ بَلْ ... زَادَتْ ثَـلَاثـاً قَـولَ ذِي الـبُـرْهَـانِ

وَلأَجْلِهِ جُـحِـدتْ صِـفَـاتُ كَـمَـالِهِ ... وَالـعَـرْشَ أَخْـلَوْهُ مِـنَ الـرَّحْـمَـنِ

وَلأَجْلِهِ أَفْنَى الـجَـحِـيـمَ وَجَـنَّةَ الـ ... ـمَـأْوَى مَـقَـالَـةَ كَـاذِبٍ فـتّـانِ

وَلأَجْـلِهِ قَـالُوا الإِلـهُ مُـعَـطَّـلٌ ... أَزَلًا بِـغَـيْـرِ نِـهَـايَـةٍ وَزَمَـانِ

وَلأَجْـلِه قَـدْ قَـالَ لَيْـسَ لِفِـعْـلِهِ ... مِـنْ غَـايـةٍ هِـيَ حِـكْـمَـةُ الـدَّيَّان

* * *

(١) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة ص ٢٢٢، ورواه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ص ٢٨٣ راجع مختصر الحجة على ترك المحجة ١/ ٢٤٤، ٢٤٥ .

(٢) وهذا – أعني الخوض فيما لا طائل من وراءه – شاع وانتشر في زماننا (والله المستعان) فما تبثه الفضائيات في سماء المسلمين كل ليلة وما شغلوا به الناس حتى أُفتتن بهم فئام من شباب الصحوة تحت دعاوى حرية الرأي، وعدم الحجر على العقول، وزاد الطين بلّة ترؤس الجهال، وتصديهم للفتوى فضلّوا وأضلوا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الفصل الخامس:

خصائص المنهج السَّلفي

المبحث الأول: السهولة والوضوح.

المبحث الثاني: الاتفاق على المنهج

المبحث الثالث: الاجتماع على الحق

المبحث الرابع: العدل والإنصاف

المبحث الخامس: - الوسطية في:

المطلب الأول: أسماء الله وصفاته.

المطلب الثاني: أفعال الله تعالى (القضاء والقدر).

المطلب الثالث: الوعد والوعيد.

المطلب الرابع: حقيقة الإيمان والدين.

المطلب الخامس: الموقف من أصحاب النبي ﷺ.

المطلب السادس: الموقف من المنقول والمعقول.



المبحث الأول:
السهولة والوضوح

من المعلوم - ضرورة - تفاوت الناس في الفهم والإدراك لكثير من المسائل؛ فمن مُدرك أمراً بعيداً وشأناً غامضاً ما قد يخفى على غيره من الناس، والحكيم من أهل البيان يلقي على الأسماع أموراً - يريد أن تُفهم عنه - بحيث يحظى كل منها بنصيب يبلغ به المقصود، ويحقق المطلوب، ولا تفوت معه حظوة أهل الكمال في العلم والرسوخ في الفهم.

وعلى هذا، فقد كانت معاني نصوص الكتاب والسنة مشتركة مفهومة لجميع العرب المخاطبين بها، بل نزل القرآن على سبعة أحرف مبالغة في التوسعة عليهم[١]، حتى كانت العرب تفهمه وتدرك مقاصده، ولا سّيما ما يحتاج إليه الناس من أمر الإيمان بالله ورسالاته، من معرفة معبودهم ومربوبهم، وكيفية عبادته وطاعته وأما ما قصُرت عنه فهوم أهل اللِّسان والخطاب من ألفاظ الكتاب والسنة ومعانيها فهو على ضربين:

الأول: أن لا يتوقف فهم السياق ومعرفة المقصود عليه، فهذا لا يضر الجهل به، إذ العبرة بالمعنى التركيبي لا الإفرادي، ولهذا أعرض عمر رضي الله عنه عن البحث في معرفة الأبِّ في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، وجعل ذلك من التكلّف.

قال ابن كثير رحمه الله: «وهو محمول على أنه - أي عمر بن الخطاب رضي الله عنه - أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه، وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه (الأب) من نبات الأرض لقوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبًّا ٢٧ وَعِنَبًا وَقَضۡبًا ٢٨ وَزَيۡتُونًا وَنَخۡلًا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبًا ٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٢٧- ٣١].

الثاني: أن يتوقف فهم السياق وإدراك المقصود عليه، فهذا البحث فيه لا بد منه كما في قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٧].

---

(١) انظر الموافقات ٢/ ٨٥ .

قال سعيد بن المسيب: «بينما عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر قال: «يا أيها الناس ! ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾؟ فسكت الناس فقال شيخ من بني هُذيل: «هي لغتنا يا أمير المؤمنين، التخوف: التنقُّص».

والمقصود هنا: بيان أن الشريعة قريبة الإدراك، سهلة الفهم، وذلك يعم مسائلها الاعتقادية والعملية، لأنها مستقاة من النبع الصافي، البعيد عن كَدَر الأهواء والشبهات والخالي من التأويلات الخارجية، والمصطلحات الكلامية، ولا يُنكر تفاضل المدارك في الجملة، وإنما النظر في القدر المكلّف به، قال شارح الطحاوية: «ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل فرض على الكفاية...»[١].

والإسلام قد دلَّ على هذا:

أولًا: من القرآن

الوجه الأول: - تيسير الله عز وجلّ القرآن للذكر، والحفظ، والفهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧] قال ابن القيم رحمه الله: «ومعلوم أنه لو كان بألفاظ لا يفهمها المخاطَب لم يكن ميسراً له، بل كان معسراً عليه»[٢].

الوجه الثاني: - أن الله تعالى حضّ عباده على تدبّر القرآن وتعقلّه واتباعه والتذكّر فيه قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. قال ابن تيمية رحمه الله: «ومعلوم أن نفي الاختلاف عنه لا يكون إلا بتدبره كله، وإلا فتدبر بعضه لا يوجب الحكم بنفي مخالفة ما لم يتدبر لما تدبر»[٣].

---

(١) شرح الطحاوية ص: ٤ ابن أبي العز الحنفي رحمه الله.
(٢) مختصر الصواعق المرسلة ١/ ٩٥.
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٣٠٧.

الوجه الثالث: - ذمّ الذين لا يتدبرون القرآن ولا يفهمونه قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥- ٤٦].

ثانياً: من السنة

الوجه الأول: عن أُبيّ ابن كعب رضي الله عنه قال: «لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال: «يا جبريل! إني بُعثت إلى أُمة أميين - منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط - قال: يا محمد! إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف»[١].

فهذا دليل على أن معاني القرآن مبذولة لكل أحد ممن أُنزل القرآن بلسانهم، فقد أُنزل على سبعة أحرف، يقرؤونه على اختلاف قبائلهم تيسيراً لهم.

الوجه الثاني: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: «يا محمد ! إن الله يمسك السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع»، ثم يقول: «أنا الملِك».

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

قال يحيى بن سعيد: وزاد فيه فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله: «فضحك رسول الله ﷺ تعجباً وتصديقاً له»[٢].

ثالثاً: من أقوال السّلف

الوجه الأول: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره، ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا أعلم أين أُنزلت، ولو أعلم أحداً اعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»[٣].

---

(١) رواه الترمذي في سننه ٨/ ١٤١ حديث رقم ٢٩٤٥ وقال الألباني: حديث حسن صحيح .
(٢) رواه البخاري في صحيحه ٣١/ ٣٩٣ . «فتح الباري» كتاب التوحيد حديث رقم ٧٤١٤ .
(٣) صحيح البخاري ٩/ ٤٧ فتح الباري .

وقال مسروق: «كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار»[١].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «نِعم ترجمان القرآن ابن عباس»[٢].

وقال الأعمش عن شقيق قال: «استعمل عليٌّ ابن عباس على الحج، قال: فخطب الناس خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا، ثم قرأ عليهم سورة النور فجعل يفسِّرها»[٣] وفي رواية: «قرأ ابن عباس سورة البقرة فجعل يفسّرها، فقال رجل: لو سمعت هذا الدّيلّم[٤] لأسلمت»[٥].

الوجه الثاني: قال أبو عبد الرحمن السُّلمي: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلّموا عشر آيات، لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل؛ فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً»[٦]. والعمل إنما هو فرع العلم والفهم.

الوجه الثالث: قال الحسن: «ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يُعلم فِيمَ أُنزلت وماذا عُني بها»[٧].

الوجه الرابع: قال قتادة رحمه الله: «ما في القرآن آية إلا وقد سمعتُ فيها شيئاً»[٨].

الوجه الخامس: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن الصحابة والتابعين لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله، ولا قال: «هذه من المتشابه الذي لا يعلم

---

(١) تفسير الطبري ١/ ٣٦ (المقدمة).
(٢) تفسير الطبري ١ / ٤٠ (المقدمة)، وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره ١/ ١٣.
(٣) المرجع السابق ١/ ٣٦ (المقدمة).
(٤) الديلم: جبل سُمُّوا بأرضه، وليس باسم أبيهم، والديلم: ماء لبني عبس، وقيل بأرض اليمامة.
(٥) تفسير الطبري ١/ ٣٦ (المقدمة).
(٦) رواه الطبري في تفسيره ١/ ٨٠ (المقدمة)، وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٣٦٩.
(٧) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٧/ ٣٩٨.
(٨) سنن الترمذي ٨/ ١٤٨. كتاب تفسير القرآن - باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه - الحديث تابع لرقم ٢٩٥٣.

معناه»، ولا قال قط أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة المتبوعين: «إن في القرآن آيات لا يعلم معناها ولا يفهمها رسول الله ﷺ، ولا أهل العلم والإيمان جميعهم»، وإنما ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس، وهذا لا ريب فيه»[١].

رابعاً: من المعقول

لقد ثبت عدم اختلاف الصحابة والتابعين في نصوص الأخبار ومسائل الاعتقاد، وهذا يدل على أنها كانت في غاية البيان والوضوح، وأنهم فهموا النصوص وما دلّت عليه من المعاني، بحيث لا يقع التباس ولا إشكال، وأن دلالتها - أي نصوص الأخبار - على معانيها أعظم وأوضح من دلالة نصوص الأحكام على معانيها[٢].

وبهذا يُعلم بطلان مذهب المفوّضة: الذين يفوضون العلم بمعاني نصوص الصفات والمعاد إلى الله تعالى، ويدَّعون أن هذا هو مذهب السَّلف ،وقد عُلِم براءة السَّلف من هذا المذهب بتواتر الأخبار عنهم، بإثبات معاني هذه النصوص على الإجمال والتفصيل وإنما فوَّضوا العلم بكيفيتها لا العلم بمعانيها[٣].

وأخيراً إليك هذا مثال النهاية عند أهل الكلام في منهجهم المعقد:

قال الرازي (الفيلسوف):

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال: أيضاً: «لقد تأملت طرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٢٨٥ .
(٢) انظر الصواعق المرسلة ١/ ٢١٠ .
(٣) انظر القواعد المثلى ص: ٣٥ . لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله .

ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطُرق طريق القرآن: اقرأ في الإثبات: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

وأيضاً ظَهَرَ بطلان مذهب الصوفية، والباطنية، الذين يزعمون أن للدِّين ظاهِرٌ وباطن، وأن الدِّين طقوسٌ وطُرق خفية لا يصلح سلوكها لكل أحد؛ بل هي للخاصة دون العامة، ونحو ذلك من الخرافات التي تشوُه سهولة الدِّين ووضوحه عموماً، والمنهج السَّلفي خصوصاً.

* * *

المبحث الثاني:
الاتفاق على المنهج

وذلك أن السَّلف لا خلاف بينهم في منهجهم الذي سلكوه، بل كلهم ينهج ويقرر أن الخطأ في خلافه، ويعدُّ مخالفته بدعة في الدين، يجب على المسلم أن يتنزه عنها.

قال أبو عثمان إسماعيل الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ(١) بعد أن قرر منهج السَّلف في الاعتقاد وهذه الجُمل التي أُثبتها في هذا الجزء، كانت معتقد جميعهم، لم يُخالف فيها بعضهم بعضاً، بل أجمعوا عليها كلها ولم يثبت عن أحد منهم ما يضادها)(٢)وسبب ذلك أن أهل الحديث أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف، بينما أهل البدع أخذوا الدين من المعقولات والآراء؛ فأورثهم الافتراق والاختلاف، فإن النقل والرواية عن الثقات المتقنين قَلَّما يختلفان، وإن اختلفا في لفظ وكلمة فذلك اختلاف لا يضر الدين ولا يقدح فيه، أما دلائل العقل فقلَّما تتفق، بل عقل كل واحد يرى صاحبه غير ما يرى الآخر.

ومّما يدلّ على أن أهل الحديث هم على الحقّ، أنّك لو طالعت جميع كتبهم المصنّفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كلّ واحد منهم قطراً من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها؛ قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافاً، ولا تفرقاً في شيء ما، وإن قلّ، بل لو جمعت جميع ما جرى على

---

(١) الإمام الفاضل أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري الصابوني فقيه، محدِّث، مفسِّر، خطيب واعظ، سمع بنيسابور وسرخس والحجاز والشام وحدَّث بخراسان والهند والشام والحجاز والقدس، توفي بنيسابور لأربع ليال بقين من المحرم سنة ٤٤٩ هـ ومن مؤلفاته ذَم الكلام، والفاروق في الصفات.

(٢) عقيدة السَّلف أصحاب الحديث ص ٦٩ . الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ الناشر الدار السلفية للنشر والتوزيع .

ألسنتهم، وما نقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا ؟»[١].

وقال الأصبهاني أيضاً: «غير أن الله أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار، لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف وقرناً عن قرن إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذه التابعون من أصحاب رسول الله ﷺ، وأخذه أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم والصراط القويم إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحابه»[٢].

* * *

---

(١) من كتاب الحجة في بيان المحجة (٢ / ٢٢٤ - ٢٢٥) لأبي القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٢٣، ٢٢٤ .

المبحث الثالث:
الاجتماع على الحق

لقد أمرنا الله بالاجتماع على الحق، وعدم التفرّق والاختلاف الذي هو سبب الظلم والبغي، وما يؤدي إليه من سب الأمة بعضها بعضاً، واستحلال بعضها دماء بعض.

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال ﷺ: «من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الإثنين أبعد»[١].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «يا أيها الناس! عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهونه في الجماعة خير مما تحبون في الفُرقة»[٢].

ولهذا كان الاجتماع على الحق من السِّمات البارزة المميزة لأهل السنة والجماعة التي يفارقون بها أهل البدع.

وهذا الأصل العظيم قد دلّ عليه كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وعمل الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح رحمهم الله؛ ومن أدلة ذلك ما يأتي:

أولًا: من كتاب الله تعالى:

١- قوله عزّ وجلّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢- ١٠٣].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ

---

(١) رواه الترمذي رقم: ٢٠٩١ وصححه الألباني انظر صحيح الترمذي ٢/ ٢٣٢ رقم ٢٢٦٨ .
(٢) الإبانة لأبن بطة ١/ ٢٩٠ رقم (١٢٢).

عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

٣- وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

٤- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

٥- وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ثانياً: من السنة النبوية:

١- قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا، التقوى ههنا - ويشير إلى صدره - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كلّ المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله»[(١)]. وفي رواية: «لا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخواناً». وفي رواية: «لا تقاطعوا ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا»[(٢)].

٢- ويقول ﷺ: «المؤمن للمؤمن: كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[(٣)].

فالنبي حثّ على التآلف، والتحاب بقوله وفعله ﷺ، ونهى عن التفرق والاختلاف الذي يؤدي إلى تفريق الكلمة وذهاب الريح.

ثالثاً: من أعمال الصحابة رضي الله عنهم

فالصحابة رضي الله عنهم وإن وقع بينهم الاختلاف، لكن لم يحصل به التفرق ولا العداوة ولا البغضاء، وإلا فقد حصل الاختلاف بينهم في عهد رسول الله ﷺ وهو بين أظهرهم فمن ذلك: أن النبي ﷺ لما فرغ من غزوة الأحزاب، وجاءه جبريل يأمره أن يخرج

---

(١) أخرجه مسلم ٤٦٥٠ .
(٢) أخرجه البخار ي رقم: ٥٦٠٥ ومسلم رقم: ٤٦٤٢ .
(٣) أخرجه البخاري رقم: ٢٢٦٦ ومسلم رقم: ٤٦٨٤ .

إلى بني قريظة (لنقضهم العهد)؛ قال النبي ﷺ لأصحابه: «لا يُصلّين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة»[١]. فخرجوا من المدينة إلى بني قريظة وحان وقت العصر، فقال بعضهم: «لا نُصلي إلا في بني قريظة، ولو غابت الشمس، لأن النبي ﷺ قال: «لا يُصلين أحدكم إلا في بني قريظة». فنقول سمعنا وأطعنا.

ومنهم من قال: «نصلي في الوقت، لأن رسول الله ﷺ أراد بذلك المبادرة والإسراع إلى الخروج، ولم يرد منا تأخير الصلاة». فبلغ ذلك النبي ﷺ فلم يُعنّف أحداً منهم على الخروج، ولم يوبخه على ما فهم، وهم بأنفسهم ﷺ لم يتفرقوا من أجل اختلاف الرأي في فهم حديث رسول الله ﷺ.

موقف أهل السنة من الخلاف الشرعي:

من أصول أهل السنة والجماعة في المسائل الخلافية: أن ما كان الخلاف فيه صادراً عن اجتهاد، وكان مما يسوغ فيه الاجتهاد، فإن بعضهم يعذر بعضاً بالخلاف، ولا يحمل بعضهم على بعض حقداً، ولا عداوة، ولا بغضاء بل يعتقدون أنهم إخوة حتى وإن حصل بينهم هذا الخلاف، حتى إن الواحد منهم ليصلي خلف من يرى أنه ليس على وضوء، ويرى الإمام أنه على وضوء، مثل: أن يصلي خلف شخص أكل لحم إبل وهذا الإمام يرى أنه لا ينقض الوضوء، والمأموم يرى أنه ينقض الوضوء فيرى أن الصلاة خلف ذلك الإمام صحيحة وإن كان هو لو صلاها بنفسه لرأى أن صلاته غير صحيحة، كل هذا لأنهم يرون أن الخلاف الناشئ عن اجتهاد فيما يسوغ فيه الاجتهاد ليس في الحقيقة بخلاف، لأن كل واحد من المختلفين قد تبع ما يجب عليه اتباعه من الدليل الذي لا يجوز له العدول عنه، فهم يرون أن أخاهم إذا خالفهم في عمل ما اتباعاً للدليل هو في الحقيقة قد وافقهم، لأنهم يدعون إلى اتباع الدليل أينما كان، فإذا خالفهم موافقة لدليل عنده فهو في الحقيقة قد وافقهم لأنه تماشى مع ما يدعون إليه ويهدون إليه من تحكيم كتاب الله تعالى

---

(١) أخرجه البخاري رقم: ٣٨١٠ ومسلم رقم: ٣٣١٧ .

وسنة رسوله ﷺ.

أما ما لا يسوغ فيه الخلاف فهو ما كان مخالفاً لما كان عليه الصحابة والتابعون: مثل مسائل العقائد التي ضلّ فيها بعض الناس، ولم يحصل فيها الخلاف إلا بعد القرون المفضّلة، أما المسائل التي وجد فيها الخلاف في عهد الصحابة رضي الله عنهم، وكان فيها مساغ للاجتهاد، فلا بد أن يكون الخلاف باقياً. قال النبي ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر»(١).

فالواجب على المسلمين جميعاً أن يكونوا أمة واحدة، وأن لا يحصل بينهم تفرق وتحزّب، بحيث يتناحرون فيما بينهم بالأسِّنة والألسن، ويتعادون ويتباغضون من أجل اختلاف يسوغ فيه الاجتهاد. فإن هذا أمر فيه سعة ولله الحمد.

وكذلك فإن من تمام الاجتماع السّمع والطاعة لمن تأمرّ علينا، فإنه لا يخفى حال الأمة الإسلامية حين كانت متمسّكة بدينها، مجتمعة عليه، معظّمة لولاة أمورها، منقادة لهم بالمعروف، فقد كانت لها السيادة والظهور في الأرض.

ولما أحدثت الأمة الإسلامية ما أحدثت، وتفرق الناس في دينهم، وتمردوا على أئمتهم وخرجوا عليهم، وكانوا شيعاً، نزعت المهابة من قلوب أعدائهم، وتنازعوا ففشلوا وذهبت ريحهم، وتداعت عليهم الأمم وصاروا كغثاء السيل.

غياب هذا الأصل:

وصار هذا الأصل لا يُعرف عند أكثر ممَّن يدّعي العلم والغيرة على دين الله، وترك العمل به ورأى كل فرد من أفراد الرعية نفسه أميراً أو بمنزلة الأمير المنابذ للأمير !!

فالواجب علينا جميعاً - رعاة ورعية - أن نقوم بما أوجب الله علينا من التّحاب والتعاون على البر والتقوى، والاجتماع على المصالح لنكون من الفائزين، وعلينا أن نجتمع على الحق ونتعاون فيه، وأن نخلص في جميع أعمالنا، وأن نسعى لهدف

---

(١) أخرجه البخاري رقم: ٦٨٠٥ ومسلم رقم: ٣٢٤٠ .

واحد هو إصلاح هذه الأمة إصلاحاً دينياً ودنيوياً بقدر ما يمكن، ولن يحدث هذا إلا إذا اتفقت كلمتنا، وتركنا المنازعات والمعارضات التي لا تحقق هدفاً، بل ربما تفوت مقصوداً، وتعدم موجوداً.

والكلمة إذا تفرَقت، والرعية إذا تمرَّدت دخلت عليها الأهواء والضغائن، وصار كل واحد يسعى لتنفيذ رأيه حتى وإن تبين أن الحق والعدل في خلافه.

وخرجنا عن توجيهات الله تعالى إذ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢- ١٠٣].

فإذا عرف كل واحد مَنّا ما له وما عليه - وقام به على وفق الحكمة - فإن الأمور العامة والخاصة تسير على أحسن نظام وأكمله[١].

* * *

(١) شرح كشف الشبهات وشرح الأصول الستة. للشيخ محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله).

المبحث الرابع:
العدل والإنصاف

يتجلى العدل بين العبد وربه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.. وبين العبد وبين نفسه بمزيد من الطاعات وتوقي الشبهات والشهوات.. وبين العبد وبين غيره بالإنصاف[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨]. يقول ابن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار وهو بغض مأمور به، فإذا كان البغض الذي أمر الله به قد نُهي صاحبه أن يظلم من أبغضه، فكيف في بغض مسلم بتأويل وشبهة أو بهوى نفس ؟ فهو أحق ألا يظلم، بل يعدل عليه»[٢].

إن الدين الذي جعل الله من مقاصده إخراج الناس من جور الأديان إلى عدل الإسلام لابد أن يتحلى أتباعه بالعدل والإنصاف مع الصديق و العدو، ومع المسلم والكافر ومع الموافق والمخالف.

البعد عن الإنصاف يُفسد القلوب:

وذلك بلا شك مفسدة لطالب العلم أن يغلب عليه روح التتبع للخلافيات والانتصاب للمناظرة فيها والمجادلة عنها، إذ إنها تفسد عليه قلبه وتُعكِّر عليه إخلاصه

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أكثر ما يُصور الشيطان ذلك بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، ويكون من باب الظلم والعدوان»[٣].

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٥٨٩- كتاب الأدب - باب ٥٦ من شرح الحديث ٦٠٦٣ نقله ابن حجر عن القاضي أبي بكر بن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

(٢) منهاج السنة النبوية ٥/ ١٢٧ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم .

(٣) الفتاوى ١٤/ ٤٨٢ .

الإنصاف باعتبار المحاسن والمساوئ:

١- مذهب أهل السنة جمع حق كل الطوائف:

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكل حق مع طائفة من الطوائف فهم يوافقونهم فيه وهم برآء من باطلهم، فمذهبهم جمع حق الطوائف بعضه إلى بعض، والقول به ونصره وموالاة أهله منذ ذلك الوجه، ونفي باطل كل طائفة من الطوائف، وكره ومعاداة في هذه الوجه، فهم حكَّام بين الطوائف، لا يتحيّزون إلى فئة منهم على الإطلاق»(١).

٢- إنصاف المخالف يشيع العدل بين المختلفين:

يقول إسحق بن راهويه رَحِمَهُ اللَّهُ: الحق يحبه الله عزوجل: «أبو عُبيد القاسم بن سَّلام أفقه مني، وأعلم مني»(٢).

وكان أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في إسحق بن راهويه رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضا»(٣).

الإنصاف بتغليب المحاسن:

١- تُسترُ العيوب إذا غَلَبت المحاسن:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو قُدِّر أن العالِم الكثير الفتاوى أخطأ في مائة مسألة ،لم يكن ذلك عيباً»(٤).

ويقول سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ: «. . . فليس من شريف ولا عالم ولا ذي سلطان إلا فيه عيب لابُد ولكن مِن الناس مِن لا تُذكر عيوبه. . من كان فضله أكثر من نقصه

---

(١) شفاء العليل ١١٣ لابن القيم.
(٢) نزهة الفضلاء ٧٧٥ .
(٣) نزهة الفضلاء ٨٤٠، السيّر ١١/٣٥٨ - ٣٨٣ .
(٤) الفتاوى ٢٧/٣٠١ .

وُهِب نقصه لفضله»[١].

وهذا الكلام في الموازنة بين الحسنات والسيئات إنما هو في الحكم على الشخص. وأما إذا ذكر الخطأ من أخطاء العالِم فلا يلزم الذاكر له ذكر الحسنات والسيئات.

وعليه فإذا بيّنت خطأ إمام، فقلتَ: «أخطأ في الأمر الفلاني» كفاك ذلك. وإذا مدحت عالم بدعة بالجودة في علوم البلاغة مثلًا كفاك ذلك.. هذا إذا أُمنت الفتنة على السّامع، وأما إذا ظُنَّ أن السّامع سيفهم الكلام على غير وجهه ويظنه حكماً مطلقاً فلا بد من البيان[٢].

٢-لا يشترط في المُحسن العِصمة من الخطأ:

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ معتذراً لبعض شيوخ التَّصوّف الأقرب إلى السنة: «لكن شيوخ أهل العلم الذين لهم لسان صدق، وإن وقع في كلام بعضهم خطأ منكر، فأصل الإيمان بالله ورسوله إذا كان ثابتاً، غُفر لأحدهم خطؤه الذي أخطأه بعد اجتهاد»[٣].

- إذا أنصفنا أهل الذِّمة، أفلا نُنْصف أهل المِلة؟!

هذا العدل الذي نطمح أن نعيده بين المسلمين، وذاك الإنصاف الذي نأمل أن يعم بين المختلفين من أهل الملة الواحدة، فقد كان المسلمون يعاملون به أهل الذِّمة: يُذكر أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى واليه على البصرة (عدي بن أرطأة) يوصيه ونقتطف من رسالته بعض المقاطع، يقول: «ثم انظر مَن قِبَلك من أهل الذِّمة، قد كِبرت سِّنه، وضعفت قوته، وولّت عنه المكاسب، فأجْر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه.. وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرّ بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس، فقال: «ما أنصفناك، إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك، ثم ضيعناك في كِبرك».

---

(١) كتاب الكفاية ٧٩ .

(٢) راجع قواعد في التعامل مع العلماء.. ص: ١٣٨ د. عبد الرحمن بن مُعلا اللّويحق (حفظه الله).

(٣) الصفدية ١/ ٢٦٥ .

قال: ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه»[١].

ويُذكر من مواقف ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ السامية في الإنصاف حتى مع غير المسلمين: أنه حين سعى بإطلاق سراح أسرى المسلمين من التتار، وعلِم أنهم لن يُطلقوا معهم أسرى أهل الذِّمة، أصرَّ على إطلاق الجميع معاً، وقال: «بل جميع من معك من اليهود والنصارى، الذين هم من أهل ذِمّتنا، فإنا نفكهم، ولا ندع أسيراً لا من أهل الملة، ولا من أهل الذِّمة»[٢].

*** من مظاهر الإنصاف:**

١- لا يُرد الحق لمجرد أن قائله مبُطِل، فالعبرة بالقول لا بالقائل:

فالله صدّق ملكة سبأ في قولها عن الملوك فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤] فلم يكن كفرها مانعاً من تصديقها في الحق الذي قالته[٣]، وقصة أبي هريرة مع الشيطان فكان مما قاله له ﷺ: «أما إنه صدقك وهو كذوب». وجاء في وصيّة معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للتابعين«. . . وأحذركم زيغة الحكيم، فإنه قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق».

٢- لا يُنكر صواب المخالف وإن ساء طبعه:

قال الذهبي عن يوسف بن آدم رَحِمَهُ اللَّهُ أنه: «من مشايخ السنة. . وكان أمّاراً بالمعروف وداعيا إلى الأثر بزعارَّة»[٤]. وقال في ترجمة تقي الدين عبد الساتر بن عبد الحميد المقدسي الحنبلي: «قلّ من سمع منه، لأنه كان فيه زعارة، وكان صاحب حزينة

---

(١) أحكام أهل الذّمة لابن القيم، تحقيق د. صبحي الصالح ١/٣٨.

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ محمد بهجت البيطار ص ١٥، عن الرسالة القبرصية لابن تيمية.

(٣) أضواء البيان: ١/٦ (بتصرف).

(٤) السيير: ٢٠/ ٥٩٠-٥٩١ للذهبي. والزعارّة: بتشديد الراء شراسة الخُلُق (ولا فِعل له)، والعامة تقول رجل (زَعِرٌ) وفيه (زَعَارّة). مختار الصحاح ٢٧٢ للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي.

وتحرّق على الأشعرية، فرموه بالتجسيم، ثم كان منابذاً لأصحاب الحنابلة»[١].

٣- تمني الصواب للمخالف، علامة التّعقّل والإخلاص:

قال حاتم الأصمّ: «معي ثلاث خصال أظهر بها على خصمي: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي ألا أجهل عليه».

فلما بلغ ذلك الإمام أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ اللهُ قال: «سبحان الله ! ما كان أعقله من رجل».

٤- خطأ المخالف، لا يُبيح ظُلمه ولا تُهدر حقوقه:

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ومعلوم أن شّر الكفار والمرتدين والخوارج، أعظم من شر الظالم، وأما إذا لم يكونوا - أي المبتدعين أو غيرهم- يظلمون المسلمين، والمقاتل لهم يريد أن يظلمهم، فهذا عدوان منه فلا يعادون على عدوان»[٢].

ولا يمنع هذا من بيان ما في كتب المبتدعة من فساد، يقول القرافي: «ويُنفَّر عن تلك المفاسد ما أمكن، بشرط ألا يتعدّى منها الصدق، ولا يُفترى على أهلها من الفسوق والفواحش ما لم يفعلوه، بل يُقتصر على ما فيهم من المنفِّرات خاصة، فلا يُقال على المبتدع: إنه يشرب الخمر، ولا إنه يزني، ولا غير ذلك مما ليس فيه»[٣].

بل عدَّ الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ التخطئة العاجلة مع قلّة العلم، أن هذا المنهج في تقويم الرجال، منهج المبتدعة، لما فيهم من الجهل والظلم، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل وظلم، كحال أهل البدع»[٤].

(١) المصدر السابق: ٣/ ٣٤٠-٣٤١ .
(٢) منهاج السنة ٣/ ١٥٨ .
(٣) الفروق للقرافي ٤/ ٢٠٧-٢٠٨ .
(٤) منهاج السنة ٢/ ٢٤٣ .

٥- إحسان الظن في المخالف وعدم الطعن في المقاصد:

لأننا لم نُكلَّف بالتنقيب عن قلوب الناس، فقد ألزمنا الشرع الأخذ بما يظهر لنا من خير أو شر، فالأحكام الشرعية مبنية على الظاهر، والله يتولى السرائر، وهذا المنهج أعدل وأصوب وأكثر إنصافاً.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

*** الإنصاف في تقويم المخالف:**

١- لا يُهدر العالم بهفوته ولا يُتَّبع فيها:

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن له علم بالشرع والواقع، يعلم قطعا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح، وآثار حَسَنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلّة، هو فيها معذور، بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتَّبع فيها، ولا يجوز أن تُهدر مكانته وإمامته ومنزلته عند المسلمين»[١].

الخلاصة:

(أ)- عدم اعتماد تلك الزلّة والأخذ بها، لأنها جاءت على خلاف الشريعة: قال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أخذ بنوادر العلماء خرجَ من الإسلام»[٢].

(ب) - العدل في الحكم على صاحبها:

ففي الحديث عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود»[٣].

---

(١) إعلام الموقعين: ٣/ ٣٥٩ .

(٢) ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٧/ ١٢٥ .

(٣) رواه أحمد ٦/ ١٨١، أبو داود ٤/ ١٣٣، حديث ٤٣٧٥، كتاب الحدود وصححه الألباني انظر الصحيحة ٦٣٨

إن زلات العلماء وأخطاءهم تصير فتنة لطائفتين:

الطائفة الأولى: تُعظِّم ذلك العالم وتُصوبه، بل وتكاد تُعصِّمه وتجعل سيئاته حسنات.

والطائفة الثانية: تُذِّمه وتخطِّئه، بل تحيل حسناته سيئات.

٢- إغفال الهفوات لمن غلب خيره:

عند التأمل في حديث بروك راحلة النبي ﷺ وهو في طريقه إلى الحديبية، قال الناس: «خلأت القصواء»، فقال النبي ﷺ: «ما خلأت[1] القصواء، وما ذلك لها بخُلق ولكن حبسها حابس الفيل»[2].

وهذا الحديث فيه معنى تربوياً وهو: جواز أن يطرأ الطيب تغير ،فإن وقع شخص بهفوة، لا يُعهد منه مثلها، لا يُنسب إليها، ويُرد على من نسبه إليها.

قال سعيد بن المسيّب رَحِمَهُ اللهُ: «ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضلٍ إلا وفيه عيب ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصُه، لفضله، كما أن من غلب عليه نقصانه ذهبَ فضله»[3].

٣- إنصاف الوالي بتغليب محاسنه:

في محاورة بين المِسور بن مخرمة ومعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، بيَّن المِسور لمعاوية عيوبه فأقر معاوية: بأنه لا يبرأ من الذنوب، وقال: «فهل تعدُّ لنا يا مسور ما نلي من الإصلاح في أمر العامة، فإن الحسنة بعشر أمثالها، أم تعدُّ الذنوب وتترك الإحسان؟

فهل لك يا مسور ذنوب في خاصتك تخشى أن تهلك إن لم تُغفر ؟!، قال: نعم قال فما يجعلك الله برجاء المغفرة أحقَّ مني ؟!، فوالله ما ألي من الإصلاح أكثر مما تلي.

---

(١) خلأت، أي: بركت من غير عِلة، ولم تبرح مكانها.
(٢) صحيح البخاري - الحديث ٢٥٢٩ .
(٣) رواه ابن عبد البر في «الجامع» ٢/ ٤٨ .

فلم يعد المِسور يتكلّم في معاوية إلا بخير»[١].

*** من صور عدم الإنصاف بين الأقرانِ خاصة:**

١- التفتيش عن العيوب.

٢- التعيير بالنَّقص والسكوت عن المزيَّة.

٣- القول بالهوى والعصبية: يقول الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُعبأ به ولا سِيَّما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد»[٢].

٤- الافتراء والبهتان بسبب الحسد، قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ لأتباعه: «اعلموا -رحمكم الله أن الرجل من أهل العلم، إذا منحه الله شيئاً من العلم وحرمه قُرناءه وأشكاله، حسدوه بما ليس فيه، وبئست الخصلة في أهل العلم»[٣].

٥- بُغض القَرين[٤] وبغض من يُثني عليه: ويقول الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في أمثال هؤلاء: «ويزعم أن غرضه إصلاح الخلق، ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه، وصلحوا على يديه، لمات غمّاً وحسداً، ولو أثنى أحد من المترددين إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه»[٥].

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإن كان عالماً - أو شيخاً - أحب من يُعظِّمه من دون من يُعظِّم نظيره، حتى لو كانا يقرآن كتاباً واحداً كالقرآن، أو يعبدان عبادة واحدة متماثلين فيها كالصلوات الخمس، فإنه يُحب من يعظِّمه بقبول قوله والاقتداء به أكثر من غيره،وربما أبغض نظيره وأتباعه حسداً وبغياً. كما فعلت اليهود لما بعث الله

---

(١) نزهة العقلاء ٢٤٢، ٢٤٤ والسير ٣/ ١١٩-١٦٢ .

(٢) ميزان الاعتدال ١/ ١١١ .

(٣) نزهة الفضلاء ٧٣٩ في الحاشية.

(٤) القرين: وجمعها أقراناً وقرناء وهم الأصحاب الذين يتحدون بصفة كالسن أو الحرفة والمهنة كالمعلم أو المهندس .... الخ.

(٥) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٦٩ .

محمداً ﷺ يدعو إلى مثل ما دعا إليه موسى»[١].

٦- **التهوين من علم القرين**: يقول يحيى بن يحيى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنتُ آتي ابن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيقول لي: مِن أين جئت ؟ فأقول: من عند ابن وهب، فيقول: الله الله، اتق الله ! فإن أكثر هذه الأحاديث ليس عليها العمل».

قال: فآتي ابن وهب فيقول: مِن أين ؟ فأقول: «من عند ابن القاسم، فيقول: اتق الله ! فإن أكثر هذه المسائل رأي...»[٢].

*** قواعد في الإنصاف بين الأقران:**

أ- كلام الأقران في بعضهم لا يُنقص قدرهم.

ب-كل منهم ثقة في نفسه، ولا يُعبأ بقدحه، ولا القدح فيه.

ت- كلام الهوى: يُطوى ولا يُروى؛ يقول الذهبي: «كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه هوى وعصبية لا يُلتفت إليه، بل يُطوى ولا يُروى»[٣].

*** وقوع أهل الفضل بعضهم في بعض لا يُسقط عدالتهم:**

حين قدم الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى نيسابور كان أحد علمائها (محمد بن يحيى رَحِمَهُ ٱللَّهُ) يحث طلاب العلم على الأخذ عن البخاري، والسماع منه، فلما أحسّ (محمد بن يحي) بتناقص الطلاب في مجلسه، وتكاثرهم في مجلس البخاري أخذته الغيرة منه، وتكلم فيه ولما شكا بعضهم إلى البخاري: «أن محمد بن يحيى يطرد من مجلسه كل من يُعلن أنه يحضر مجلس البخاري ! قال البخاري»: «كم يعتري محمد بن يحيى الحسد في العلم، والعلم رزق الله يُعطيه من يشاء»[٤].

---

(١) الفتاوى ١٤/ ٣٢٥ .
(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١١١١ .
(٣) نزهة الفضلاء ٧٤١، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥/ ٩٩ .
(٤) نزهة الفضلاء ٩٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٩١-٤٧١ من ترجمة البخاري.

*** لا يُقبَل التجريح فيمن ثبتت إمامته:**

والصحيح في هذا الباب: أن من صحت عدالته، وثبتت في العلم إمامته، وبانت ثقته، وبالعلم عنايته ،لم يُلتفت فيه إلى قول أحد، إلا أن يأتي في جرحه ببينة عادلة.. بما يوجب تصديقه فيما لبراءته من الغِل والحسد والعداوة والمنافسة.. إن السّلف ﷺ قد سبق بعضهم في بعض كلام كثيرٌ منه في حال الغضب، ومنه ما حمل عليه الحسد[1].

ندرة الإنصاف:

في أجواء الخلاف والمناظرات، والتّعصّب، وأهواء النفوس، قد يضعف بل ينعدم الإنصاف أحياناً. وقد كان الإمام مالك رحمه الله يشكو من أهل زمانه قائلًا: «ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف»[2].

* * *

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٠٩٣-١٠٤٩

(٢) جامع بيان العلم ١/ ١٣٢ . فكيف لو أدرك الإمام مالك رحمه الله زماننا هذا ؟ (والله المستعان) [انظر فقه الائتلاف للخازندار] .

المبحث الخامس:
الوسطية وعدم الغلو

أهل السنة والجماعة (أتباع السَّلف الصالح) وسط بين الفِرق كما أن الأمة الإسلامية وسط بين الأمم، وقد جاءت النصوص الشرعية بالتحذير من سلوك طرق المغضوب عليهم والضالين، وهما طرفا نقيض وسبيلا الانحراف.

إن أهل السنة يدعون إلى الاستقامة والوسطية، وعدم الغلو بأساليب عدة منها:

١- تعليم المسلمين بأن يدعوا الله أن يُسلِّمهم من كلا الانحرافين ،وشرع ذلك لهم في كل صلاة متعددة، بأن يقولوا: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦- ٧].

ولما أمرنا الله سبحانه أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم. . .كان ذلك مما يتبين أنّ العبد يُخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقين»[١].

٢- التحذير من تعدي الحدود ،والأمر بلزومها قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فما أمر الله تعالى بأمر إلا للشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط، وإما إلى إفراط (غلو).

ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين.

فكما أنّ الجافي عن الأمر مضّيعٌ له، فالغالي فيه: «مضيعٌ له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد»[٢].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١/ ٦٥ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٥١٧ .

٣- الدعوة إلى الاستقامة ولزوم الأمر، وعدم الغلو والزيادة؛ فالله تعالى يأمر بالاستقامة والوسطية التي هي الاعتدال.

قال تعالى: آمراً نبيه محمد ﷺ بالاستقامة والعدل: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥] وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]. وقد ذكر الله ما أعداه للمستقيمين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠- ٣٢].

والمقصود بالوسطية: الاعتدال، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

أي: عدلًا، وما عدا الوسط فأطراف داخله تحت الخطر[(١)].

والمقصود بالغلو: «مجاوزة الحد في التّعبد والعمل والثناء؛ قدحاً أو مدحاً». قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

ينهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدين: وهو مجاوزة الحد والقدر المشروع

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٧٢ ووسط الشيء ماله طرفان متساويا القدر، والوسط تارةً يقالُ فيما له طَرفان مَذمومان فيقال هذا أوسطهم حَسباً إذا كان في واسِطة قومه، وأرفَعُهُم محلّا كالجود الذي هو بين البُخل والسَّرَفِ فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط، فيمدح به نحو السّواء والعدل والنّصفة، نحو: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾: وعلى ذلك ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ وتارةً يقال فيما له طرفٌ محمودٌ وطرف مَذمومٌ كالخيّر والشّرّ ويُكنَّى به عن البذل نحو قولهم فلانٌ وسطٌ من الرجال تنبيها أنه قد خرج من حَدِّ الخيّر. (المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني ص٥٢٢ .

إلى ما ليس بمشروع؛ فكما أن التقصير والتفريط، من المنهيات، فالغلو كذلك[١].

وينقسم الغلو إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول
الغلو في العقيدة

ويُقصد به الغلو الكلي الاعتقادي وهو: ما كان متعلقاً بكليات الشريعة الإسلامية وأمهات مسائلها.

فالغلو الكلي الاعتقادي أشد خطراً، وأعظم ضرراً من الغلو العملي، إذ الغلو الكلي الاعتقادي هو المؤدي إلى الانشقاقات، وهو المُظهِر للفِرق والجماعات الخارجة عن الصراط المستقيم.

ومن أنواع الغلو في العقيدة ووسطية أهل السنة والجماعة فيه:

القسم الأول: أسماء الله وصفاته

أهل السنة وسط فيها بين أهل التعطيل، وأهل التمثيل (التشبيه):

فأهل التعطيل: غلوا في التنزيه وأخذوا نصف الدليل، وهو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فقط، حتى إن غلاتهم كالجهمية لم يثبتوا لله صفة، فهم ينكرون جميع صفات الله.

وأهل التمثيل، (التشبيه): الذين غلوا في الإثبات، وأخذوا نصف الآية الآخر ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فهم يثبتونها مع التشبيه بخلقه.

وأما أهل السنة والجماعة: فإنهم أخذوا بجميع الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فهم يُنزِّهون الله عن مشابهة خلقه، مع إثباتهم لصفاته تعالى، على الوجه اللائق به سبحانه.

---

(١) تيسر الكريم الرحمن ٢٧٣ .

القسم الثاني: أفعال الله تعالى (القضاء والقدر)

أهل السنة وسط بين الجبّرية والقدرية.

فالجبّرية: يثبتون قضاء الله في أفعال العبد ويقولون: إن العبد مُجبر، لا قدرة له ولا اختيار؛ فهم أثبتوا فعل الربّ ونفوا فعل العبد.

والقدرية: يُنكرون قضاء الله في أفعال العبد، ويقولون: إن العبد قادر مختار لا يتعلق فعله بقضاء الله، فهم أثبتوا فعل العبد ونفوا فعل الربّ، فجعلوا العبد هو الذي يخلق فعله، فكأنه خالق مع الله، ولهذا سّماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة. فقال: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»[١].

أما أهل السنة فيثبتون قضاء الله في أفعال العبد:

ويقولون: إن العبد له قدرة واختيار أودعها الله فيه متعلقين بقضاء الله، فهم أثبتوا فعل الرب وفعل العبد، لكن فعل العبد لا يخرج عن قضاء الله وقدره[٢].

القسم الثالث: الوعد والوعيد

(والمقصود به المآل في الآخرة عند الله):

فأهل السنة وسط فيه بين الوعيدية (الخوارج)، وبين الوعدية (المرجئة): فالوعيدية يقولون: «فاعل الكبيرة إن مات عليها، ولم يتب مخلد في النار».

والمرجئة يقولون «: لا يدخل النار ولا يستحق ذلك».

وأهل السنة يقولون: إن فاعل الكبيرة الذي يموت عليها ولم يتب، مستحق لدخول

(١) رواه أبو داود والحاكم من حديث ابن عمر وحسنه الألباني صحيح الجامع ٤٤٤٢ ووجه المناسبة - والله أعلم أن المجوس يثبتون إلاهي: إله النور وهو إله الخير، وإله الظلمة وهو إله الشر، والقدرية جعلوا كل الناس آله لأنهم يخلقون فعلهم.

(٢) راجع شرح العقيدة الطحاوية لابن العز الحنفي رحمه الله.

النار دون الخلود فيها، «لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، فهو تحت مشيئة الله تعالى، ولقوله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[(١)]، ووجه الدلالة: إن من أمته ﷺ من يفعل الكبائر فيكون مستحقاً للعذاب، لكن لا يكون كافراً، ولهذا يشفع فيهم النبي ﷺ.

القسم الرابع: حقيقة الإيمان والدِّين

هذا في باب الأسماء والدِّين أي: ماذا نُطلق على من يفعل كبيرة، في الدنيا؟ وهو غير باب الأحكام، الذي هو (الوعد والوعيد).

فماذا نسمي فاعل الكبيرة؟ أنُسمّيه مؤمناً، أم كافراً؟

* أما أهل الوعيد: (الخوارج والمعتزلة):

فالمعتزلة قالوا: إن من ارتكب الكبيرة فهو يخرج من الإيمان، ولكن لا يدخل الكفر بل يكون في منزلة بين المنزلتين (لا هو مؤمن ولا كافر)، لكن الخوارج صار عندهم شجاعة، وقالوا: إنه كافر، وليس في الدين منزلة بين المنزلتين: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]. فهو خرج من الإيمان ودخل الكفر، فهو كافر حلال الدم والمال»، ولهذا خرجوا على الأئمة وكفَّروا الناس! وهذا أحد ثمرات فهم الإيمان عندهم وهو أن الإيمان كل لا يتجزأ فإذا ذهب بعضه ذهب كله.

* وأما أهل الوعد (المرجئة) فقالوا: «مؤمن كامل الإيمان يَسرق، ويزني ويشرب الخمر، ويقتل، ويقطع الطريق». ونقول له: «أنت مؤمن كامل الإيمان كرجل فعل الواجبات والمستحبات، وتجنّب المحرمات، أنت وهو في الإيمان سواء». فهؤلاء وأولئك على الضّد في الاسم وفي الحكم».

وهذا كذلك نتيجة فهم الإيمان عندهم؛ فبعضهم (المرجئة) يفهم الإيمان على أنه

---

(١) رواه أحمد ١٢٧٤٥ وأبو داود ٤١١٤ وغيرهما وصححه الألباني الجامع برقم ٤/٣٧ .

المعرفة فقط، فالإيمان - عندهم - لا يزيد ولا ينقص، وبعضهم يُخرج العمل عن مسمى الإيمان.

وأهل السنة وسط فيه بين المرجئة من جهة، وبين المعتزلة والحرورية الذين يُسمونه غير مؤمن.

لكن المعتزلة يقولون: «لا مؤمن ولا كافر» وجعلوه في منزلة بين المنزلتين. والحرورية يقولون: «إنه كافر».

وأهل السنة يقولون: إنه مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، وأن الإيمان ذو شُعب، وأنه يزيد وينقص، وأن الناس فيه يتفاضلون.

القسم الخامس: الموقف من أصحاب النبي ﷺ

وهذا يشمل عدة نقاط:

١- تعريف الصحابي:

فالصحابي نسب للصحابة: وهو كل من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام.

٢- فضل الصحابة:

من القرآن:

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾[الفتح: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة: ١٠٠].

من السنة:

قال رسول الله ﷺ: «لا تسبّوا أصحابي ! فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُد ذهباً ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نَصيفه»(١).

٣- موقفنا من الصحابة: نحبهم جميعاً ولا نبغضهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، فحبّهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كُفر ونفاق وطغيان، ونترضى عليهم، وندعو لهم، وندعو الله ألا يجعل في قلوبنا غلّاً عليهم.

٤- موقفنا مما شجر بين الصحابة: الواجب علينا: أن نسكت عمّا شجر بين الصحابة كما قال ﷺ: «وإذا ذُكر أصحابي فأمسكوا»(٢).

٥- حكم من سبَّ الصحابة:

أ- سبّ واقترن سبه بكفر: فزعم أنهم ارتدوا بعد الرسول ﷺ، أو فسقوا.

فهذا لا شك في كُفره، وكذلك من توقف في تكفيره، وقد أجمع أهل المذاهب الأربعة على كُفر من كَفَّر الصحابة أو سبهم:

الحنفية: «من سَبَّ الشيخين ولعنهما كفر، وكذلك من كَفَّر عثمان وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنها»(٣).

المالكية: فإن قال: «كانوا - أي الصحابة - على ضلال وكُفر، قُتِل»(٤).

الشافعية: «ويقطع بتكفير كل قائلٍ قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة أو تكفير الصحابة»(٥).

---

(١) رواه البخاري رقم: ٣٤٧٠ رواه مسلم رقم: ٢٥٤٠ .
(٢) رواه الطبراني في الكبير ٢/٢٨/٢ وابن عدي في الكامل ١/٣٤٣ وعبد الرزاق في الأمالي وصححه الألباني (الجامع الصغير ٥٥٩).
(٣) الفتاوى الهندية: ٤/ ٢٦٤ .
(٤) الشفاء ٢/٣٠٨ .
(٥) روضة الطالبين. ١٠/ ٧٠ وبمعناه في مغني المحتاج ٤/ ١٣٦ .

الحنابلة: «من زعم أن الصحابة ارتدّوا أو فسقوا بعد النبي ﷺ فلا ريب في كفره»[١].

قال مالك: «من شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية أو عمرو بن العاص، فإن قال: كانوا على ضلال وكُفر، قُتِل، وإذا شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نُكِّل نكالًا شديداً»[٢].

ب-من سبَّهم سباً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم: مثل وصف بعضهم بالبُخل أو الجُبن أو قلة العلم أو عدم الزهد.

فهذا يستحق التأديب والتعزير، ولا يُحكم بكفره بمجرد ذلك.

ج- من لعن وقبّح، فعند أحمد خلاف لتردد الأمر بين لعن الغيظ، ولعن الاعتقاد.

الخلاصة:

أن أهل السنة وسط بين الروافض[٣]، والخوارج.

فالروافض بالغوا في حب آل النبي ﷺ وغلوا فيهم، حتى رفعوهم فوق منزلتهم من العصمة، وعلم الغيب فاستغاثوا بهم. والخوارج يبغضونهم ويسبونهم.

وأهل السنة: يحبون الصحابة جميعهم وينزلون كل واحد منزلته التي يستحقها من غير غلو ولا تقصير.

القسم السادس: الموقف من المنقول والمعقول

أهل السنة وسط بين المعتزلة، ومن تبعهم من المتكلمين، الذين غلوا في المعقول

---

(١) الصارم المسلول ٥٨٦.

(٢) الشفاء ٢/٣٠٨.

(٣) وسُموا رافضة، لأنهم رفضوا زَيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ. الذي ينتسب إليه الآن الزيدية. رفضوه، لأنهم جاؤوا إليه يسألونه: ماذا تقول في أبي بكر وعمر؟ يُريدون منه أن يَسُبَّهما ويطعن فيهما! ولكنه ﷺ قال لهم: «نِعم الوزيران وزيرا جدَّي» يُريد بذلك رسول الله ﷺ فأثنى عليهما فرفضوه وغضبوا عليه وتركوه فسُمُّوا رافضة.

حيث قدموه على المنقول- الكتاب والسنة - وجعلوا دلالة المنقول خبرية محضة محتملة فهو لا يفيد القطع، بعكس المعقول الذي يفيد القطع، فردوا بذلك ما دلّ عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف من عقائد:

كعذاب القبر والشفاعة ونحوهما من العقائد ونفوا أسماء الله تعالى وصفاته.

وبين الأشعرية: الذين غلوا في المنقول فنفوا العِلل والحِكَم التي جعلها الله مناطاً للأحكام وشرائع دينه.

وقالوا: إنما يأمر وينهى بمحضِ الإرادة فقط، لا لعلة ولا لحكمة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا الموضع (المنقول والمعقول) غلط فيه طائفتان من الناس:

١- طائفة غالية: غلت في المعقولات حتى جعلت ما ليس معقولا من المعقول وقدّمته على الحسّ، ونصوص الرسول ﷺ.

٢- وطائفة جَفت عنه، فرّدت المعقولات الصريحة، وقدّمت عليها ما ظنته من السمعيات والحسّيات، وهكذا الناس في السمعيات نوعان، وكذلك هم في الحسّيات الباطنة والظاهرة نوعان.

فيجب أن يُعلم أن الحق لا ينقض بعضه بعضا بل يصدق بعضه بعضا، بخلاف الباطل فإنه مختلف متناقض كما قال تعالى في المخالفين للرسل: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٧- ٩].

وإن ما علِم بمعقول صريح لا يخالفه قط لا خبر صحيح ولا حس صحيح، وكذلك ما عُلِمَ بالسّمع الصحيح لا يعارضه عقل ولا حسّ، وكذلك ما علم بالحسّ الصحيح لا يناقضه خبر ولا معقول[١].

---

(١) الجواب الصحيح ٣/ ١٣٣ .

وتوسّط أهل السنة والجماعة فلم يقبلوا من المنقول إلا ما صحّ سنده، وصحت دلالته، ولا من المعقول إلا ما كان صحيح البناء ولم يعارض كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وإجماع سلف الأمة.

كما أن قواعد الشريعة العامة لا تخالف ولا تمنع الأخذ من العلوم العصرية النافعة بل هي على مراتب ثلاث:

إما واجبة أو مستحبة أو مباحة، ومحل ذلك كتب القواعد الفقهية.

المطلب الثاني:
الغلو في العبادات

ويُقصد به الغلو الجزئي: وهو ما كان متعلقاً بجزئية أو أكثر من جزئيات الشريعة الإسلامية.

والمقصود بالعملي: ما كان متعلقاً بباب العمليات فهو محصور في جانب الفعل سواء أكان قولًا باللسان أم عملًا بالجوارح.

والعملي هنا: المقصود به ما كان عملًا مجرداً ليس نتاج عقيدة فاسدة، فأما إن كان كذلك فهو غلو عقدي، وبالمثال يتضح المقال:

١- الذي يقوم الليل كله يعد غالياً غلواً عملياً.

٢- الذي يعتزل مساجد المسلمين، لأنه يراها مساجد ضرار هذا غالٍ غلواً كلياً اعتقادياً[1].

لقد بُني هذا الدين على اليسر ورفع الحرج، ويقول عليه الصلاة والسلام: «إن الله لم يبعثني معنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً»[2].

---

(١) الغلو في الدين د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق .
(٢) رواه مسلم ٢/١١١٣، وأحمد ٣/٣٢٨ .

صور من الغلو في العبادات:

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه في وصف صلاته عليه الصلاة والسلام: «كان رسول الله ﷺ أخفّ الناس صلاة في تمام»[(١)] وكان عليه الصلاة والسلام يأمر أصحابه بالتخفيف. فقد صلى معاذ بن جبل رضي الله عنه ليلة بقومه فافتتح البقرة فانحرف رجلٌ فسلَّم ثم صلى وحده وانصرف، فقالوا له: «أنافقت يا فلان؟ ! فقال: «لا والله، ولآتين رسول الله ﷺ فلأُخبرنه»، فأتى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله! إنَّا أصحاب نواضح، نعمل بالنهار، وإن معاذاً صلى معك العشاء، ثم أتى فافتتح بسورة البقرة»، فأقبل رسول الله ﷺ على معاذ فقال: «يا معاذ أفتان أنت؟!، اقرأ بكذا واقرأ بكذا». وفي رواية البخاري كررها ثلاثاً. وفي رواية أنه قال: «اقرأ والشمس وضحاها، والضحى، والليل إذا يغشى، وسبح اسم ربك الأعلى»[(٢)].

وعن عبد الله بن مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رجل: «يا رسول الله ﷺ ! إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر، مما يطيل بنا فلان فيها، فغضب رسول الله ﷺ، ما رأيته غضب في موضع كان أشد غضباً منه يومئذٍ، ثم قال: يا أيها الناس ! إن منكم منفّرين! فمن أمّ الناس فليتجوّز؛ فإن خلفه الضعيف، والكبير، وذا الحاجة»[(٣)].

وعَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ ،فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً ،فَقَالَ لَهَا: «مَا شَأْنُكِ ؟ قَالَتْ: «أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا» فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ كُلْ ! قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ قَالَ فَأَكَلَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ: نَمْ فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ قُمْ الْآنَ فَصَلَّيَا، فَقَالَ

---

(١) رواه البخاري ١/ ١٨١، ومسلم ١/ ٣٤١، الترمذي ١٤٧، النسائي ٢/ ٦٤، ابن ماجه ٩٨٥، أحمد ٣/ ٢٥٥ .

(٢) رواه البخاري ٢/ ١٧٩، ومسلم ١/ ٣٣٩، وأبو داود ٧٩، والنسائي ٢/ ٩٧ - ٩٨، وابن ماجه ٩٨٦، وأحمد (٣/ ١٢٤ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣١٨ - ٣٦٩)

(٣) رواه البخاري ١/ ١٨٠ ومسلم ١/ ٣٤٢ .

لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: صَدَقَ سَلْمَانُ»[(١)].

قال الحافظ: «وفيه جواز النهي عن المستحبات إذا خشي أن ذلك يُفضي إلى السآمة والملل، وتفويت الحقوق المطلوبة، الواجبة أو المندوبة الراجح فعلها، على فعل المستحب المذكور»[(٢)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[(٣)].

المطلب الثالث:
الغلو في المعاملات

وهو التشدد بتحريم كل شيء.

ويقابل هذا التشدد تساهل كمن قال: «بِحلّ كل شيء ينمي المال والاقتصاد حتى الربا، والغش، وغير ذلك».

والوسط أن يقال: «تُحل المعاملات المبنية على العدل، وهي ما وافق ما جاءت به النصوص من الكتاب والسنة».

---

(١) رواه البخاري ٤/٤٩، الترمذي ٢٤١٣

(٢) فتح الباري ٤ ص: ٢١٢، وينظر الشاطبي، الموافقات ٢/١٤٣-١٤٦ .

(٣) رواه البخاري رقم: ٥٧٥٩ .

المطلب الرابع:
الغلو في العادات

وهو التّشدد في التّمسك بالعادات القديمة، وعدم التحول إلى ما هو خير منها.

أما إن كانت العادات متساوية في المصالح، فإن كون الإنسان يبقى على ما هو عليه خير من تلقي العادات الوافدة[1].

* * *

(١) انظر شرح كشف الشبهات الأصول الستة للشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

الفصل السادس:

أصـــول الدعـــوة السّلفيـــة

المبحث الأول: الرجوع إلى الكتاب والسنة وفهمهما على نهج السّلف الصالح رضوان الله عليهم.

المبحث الثاني: الدعوة إلى التوحيد وإخلاص العمل لله وحده.

المبحث الثالث: تحذير المسلمين من الشرك على اختلاف مظاهره.

المبحث الرابع: الدعوة إلى الاتباع ونبذ التقليد.

المبحث الخامس: نبذ البدع والأفكار الدخيلة.

المبحث السادس: طلب العلم النافع.

المبحث السابع: التصفية والتربية.

المبحث الثامن: الأخلاق والتزكية.

المبحث التاسع: تحذير المسلمين من الأحاديث الضعيفة والمنكرة التي شوهت جمال الإسلام

المبحث العاشر: نبذ التحزب والتعصب بكافة أنواعه وألوانه.

المبحث الحادي عشر: السعي نحو استئناف الحياة الإسلامية وتطبيق حكم الله في الأرض.



المبحث الأول:

الرجوع إلى الكتاب الكريم، والسنة النبوية الصحيحة وفهمهما على النهج الذي كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم[١]

إن الرجوع إلى الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة والاجتماع على ما كان عليه الصحابة في العقيدة والشريعة والسلوك هو سبيل المؤمنين، وقد قامت على ذلك الأدلة الكثيرة منها:

أولًا من القرآن:

١- قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ﴾ [البقرة: ١٣٧].

٢- وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. ووجه الدلالة من الآيتين ظاهر، حيث علّق سبحانه الهداية والنجاة على لزوم سبيل الصحابة، الذين هم أول المؤمنين وسادات المتقين مما يدل على لزوم اتباع منهجهم.

ثانياً من السنة:

١- قال رسول الله ﷺ: «إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه»[٢].

٢- وخط ﷺ خطًا مستقيماً، وخطَّ عن يمينه وشماله خطوطاً كثيرة ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وبيّن أن الخط المستقيم هو صراط الله الموصل إليه، وأن هذه الخطوط التي عن

---

(١) انظر الفصل الرابع المبحث الأول والثاني والثالث والفصل الخامس المبحث الثاني.
(٢) الحاكم في المستدرك: (١/ ٩٣).

يمينه وشماله طرق منحرفة، على كل طريق منها شيطان يدعو إليه[(١)].

لهذا فالأمر عظيم، وتبيِّن سبيل المؤمنين واجب، ومعرفة طريق المجرمين مطلوب حتى لا يقع المسلم في الضلال وهو لا يدري، وحتى لا تختلط عليه السُبل وتشتبه.

كما قال تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

ولا يقع فيما وقع فيه بعض من يزعم أنه من أهل السنة والجماعة، وهو لا يدعو للعقيدة الصافية، ولا يوالي لأجلها.

إن من فارق المؤمنين، وسلك طريقاً مخالفا لطريقهم، فقد شاق الله ورسوله، وفارق الجماعة وضلَّ عن السبيل المستقيم.

٣- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ في خطبته يحمد الله عزّ وجلّ بما هو أهله، ثم يقول: «من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأصدق الحديث كتاب الله عزّ وجلّ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»»[(٢)].

٤- وعن عبد الرحمن بن عمرو السُلَمي وحُجْر الكلاعي قالا: دخلنا على العرباض ابن سارية رضي الله عنه وهو الذي فيه نزلت: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ [التوبة: ٩٢] وهو مريض - فقلنا له: «إنّا جئناك زائرين وعائدين ومقتبسين»، فقال عرباض رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ صلى صلاة الغداة، ثم أقبل علينا بوجهه وعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب»، فقال قائل: يا رسول الله! إن هذه لموعظة فما تعهد إلينا؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسّمع والطاعة - وأن

---

(١) رواه الإمام أحمد: (١/ ٤٣٥)، والنسائي في الكبرى: (٣٤٣) والدارمي: ٢٠٨ وابن حبان (٦، ٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١٧) واللالكائي في السنة: (٩٢، ٩٣، ٩٤) وابن نصر في السنة: (١٤) وغيرهم عن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وصححه الحاكم وابن كثير والألباني وغيرهم.

(٢) رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح سنن أبو داود ١٨٦٠ .

أُمِّرَ عبدٌ حبشيّ - فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»»[(١)].

ثالثاً من آثار الصحابة رضوان الله عليهم:

عن بكير بن عبد الله الأشج قال: «إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إن ناسا يجادلونكم بشُبَه القرآن فخذوهم بالسُنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عزوجل»[(٢)].

وهكذا نجد أن سلامة الاعتقاد وصحته هي الطريق الوحيد لإقامة المجتمع المسلم المترابط المتآلف، ولا سبيل إلى اجتماع الأمّة الإسلاميّة قاطبة ،ووحدة صفها،وعزّها وسعادتها في الدّنيا والآخرة إلا بالعودة الصّحيحة إلى الإسلام الصّافي النّقي،من شوائب الشّرك، والأهواء والبدع.

وهذا يقتضي من كل مسلم أن ينبذ كلّ المذاهب والمناهج الحادثة المخالفة لما كان عليه سلف الأمة وأن تكون له عناية فائقة بمذهب السّلف الصالح، وعقيدتهم ومنهجهم.

رابعاً من أقوال السّلف:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإذا تأمّل اللّبيب الفاضل هذه الأمور[(٣)] تبيّن له أنّ مذهب السّلف والأئمّة في غاية الاستقامة والسّداد، والصّحة والاطّراد، وأنّه مقتضى المعقول الصّريح، والمنقول الصّحيح، وأن من خالفه كان - مع تناقض قوله المختلف الذي يُوْفكُ عنه من أُفِكَ - خارجاً عن موجب العقل والسّمع،

---

(١) رواه أحمد رقم: ١٤٤٥٥ وأبو داود رقم: ٣٩٩١ والترمذي رقم: ٢٦٠٠ وابن ماجة رقم: ٤٤ والحاكم وصححه الألباني برقم ٢٥٤٦ .
(٢) الشريعة ٥٥ للآجرّي .
(٣) يقصد اختلاف أهل البدع في مسائل الاعتقاد واضطرابهم فيها .

مخالفاً للفطرة والسّمع»(١).

خامساً من أقوال المعاصرين:

يقول الدكتور مصطفى حلمي: «وإذا كان المسلمون يتلمّسون اليوم طريقاً للنهوض فليس لهم من سبيل إلا وحدة جماعتهم، ووحدة الجماعة ليس لها من سبيل إلا الإسلام الصحيح؛ والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسّنة، وهذا خلاصة الاتجاه السَّلفي»(٢).

فما أصاب المسلمين من ضرر فبسبب تفرقهم عن الحق، وعدم اجتماعهم عليه. والحق الذي تَرَكَنا عليه رسول الله ﷺ أبلجُ واضحٌ، كما قال ﷺ: «قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»(٣).

والدعوة للاجتماع بدون أساس من العقيدة الصحيحة: «دعوة باطلة، يروِّج لها من لا فقه عنده في الدين»؛ فليس معنى الدعوة للائتلاف أن نقول لأهل العقيدة الصحيحة اجتمعوا مع أهل البدع والمناهج المنحرفة، بحجة عدم التفرق كما يزعمه المنحرفون، وإنما نطلب من أهل الانحراف أن يتركوا انحرافاتهم ومناهجهم وأحزابهم الضالة ويعودوا إلى طريق أهل العقيدة الصحيحة، فيحصل الاجتماع على كلمة سواء بين أهل الحق وغيرهم على كلمة التوحيد والمنهج السديد.

وقد جمع الرسول ﷺ أصحابه على الحق والعقيدة الصحيحة والمنهج القويم، فألَّف الله به بينهم بعد الفرقة، وجمعهم بعد الشَّتات، وقوَّاهم بعد الضعف، وأعزَّهم بعد الذلَّة، قال الله تعال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣](٤).

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٢١٢-٢١٣

(٢) قواعد المنهج السلفي ص ١٣

(٣) رواه أحمد: (٤/ ١٢٦) وأبو داود: (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وصححه الترمذي والبزار والضياء المقدسي والحاكم ووافقه الذهبي، انظر الإرواء: (٢٤٥٥) وجامع العلوم والحكم ص: (١٨٧) وابن ماجة: (٤٣)وغيرهم .

(٤) منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله ١٤-١٥ للشيخ عبد الله بن محمد المعتاز.

المبحث الثاني:
الدعوة إلى التوحيد وإخلاص العمل لله وحده

إن كلمة التوحيد وإخلاص العمل لله وحده: هي التي قامت بها الأرض والسموات وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أُسست الملة، ونُصبت القبلة، وُجردت سيوف الجهاد، وهي محض حق الله على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للمال والدم، والذرية في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر، وعذاب النار.

وهو المنشور(١) الذي لا تُدخل الجنة إلا به، والحبل(٢) الذي لا يصل إلى الله إلا من يتعلق به [السَبَبُ الحبل]، هي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد، ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر عن دار الشقاء والهوان وهي العمود الحامل للفرض والسنة، فقد قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»(٣)(٤)، وفي رواية: «إلا وجبت له الجنة».

والسَّلفيون عندما يُنادون بوجوب الدعوة إلى التوحيد، لا يقصدون أنهم ينادون بالدعوة إليه مجرداً، بل لا بد أن يتعرضوا إلى شيء من مقتضياته ولوازمه المختلفة.

والأخذ بالأولويات، لا يعني أخذ الأولى وترك ما سواه، أو أخذ الأهم وترك المهم فالإسلام دين شامل، قائم على الأركان والواجبات، والسنن والمستحبات.

فعلى الدعاة أن تكون انطلاقتهم من التوحيد، فكل دعوة لا تقوم على هذا الأساس - في أي زمان وأي مكان - فإنها دعوة قاصرة ناقصة، ويُخشى أن يكون نصيبها إما الفشل، وإما الانحراف عن الصراط المستقيم، أو هما معاً، لأن هذا أصل عظيم

---

(١) يشير إلى حديث البطاقة التي تكتب فيها لا إله إلا الله . . .).

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ فقد فسّر بعض أهل التفسير أن الحبل هي كلمة التوحيد.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٢٤٧ . أبي داود رقم: ٣١١٦، والحاكم في مستدركه ١/ ٣٥١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي . وصححه الألباني في الجامع الصغير ٦٤٧٩ .

(٤) الداء والدواء، ابن القيم، ص: ٣٣٢ .

من أصول الدين، متى غفلت عنه الأمم، وقعت في كارثة الشرك والابتداع[1].

وعليه؛ فإن على الدعاة والمصلحين - من الأفراد والجماعات - أن يبدؤوا دائماً وأبداً - وفي كل الظروف والأحوال - بالدعوة إلى التوحيد أولًا، واستفراغ الوسع فيه، مع عدم إغفال شيء من مقتضياته ولوازمه، التي يُبدأ فيها بالأهم فالمهم، على ضوء المشكلات والأمراض التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية، على اختلاف بيئاتها وتباين قضاياها[2]. وسنأخذ نبذة مختصرة عن التوحيد وأهميته، وأقسامه ولوازمه.

أولاً تعريف التوحيد:

التوحيد في اللغة: جعل الأشياء شيئاً واحدا، كما قال تعالى عن المشركين عندما دعاهم الرسول ﷺ إلى التوحيد: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

التوحيد شرعاً: هو إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به من: الربوبية، والأسماء والصفات، والألوهية.

ثانياً أهمية التوحيد:

١- التوحيد هو الغاية من خلق الجن والإنس:

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٢- إن من حقق التوحيد الكامل، دخل الجنة دون حساب ولا عذاب، لقوله ﷺ: عُرضت عليَّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد، إذ رُفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: «هذا موسى وقومه»، فنظرتُ فإذا سواد عظيم، فقيل لي: «هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب».... فقال: «هم الذين لا يسترقون، ولا

---

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، د. ناصر بن عبد الكريم العقل ص: ٢٣ .
(٢) التوحيد في مسيرة العمل الإسلامي بين الواقع والمأمول. لعبد العزيز بن عبد الله الحُسيني ٤٧ .

يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»[١].

٣- إن من حقق التوحيد لم يخلد في النار:

لقوله ﷺ: «فإن الله حرَّم على النار» من قال: «لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[٢].

٤- أن التوحيد هو أول دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٥- أن التوحيد يُكّفر غيره من الذنوب: قال تعالى في الحديث القدسي: «يا ابن آدم! مهما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئا غفرت لك على ما كان منك، وإن استقبلتني بملء السماء والأرض خطايا وذنوبا استقبلتك بملئهن من المغفرة ،وأغفر لك ولا أبالي»[٣].

٦- أن التوحيد يعصم الدّمَ، وتقوم عليه عقيدة الولاء والبراء:

لقوله ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»[٤].

٧- أن التوحيد هو أول حق على العباد:

كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «يا معاذ بن جبل ! هل تدري ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله ؟

فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا،وحق العباد على الله أن لا يُعذِّب من لا يُشرك به شيئا»[٥].

---

(١) رواه البخاري رقم ٥٩٩١ ومسلم ٣٢١ .
(٢) رواه البخاري ٤٠٧ ومسلم ٣٣ .
(٣) حديث صحيح رواه الطبراني وصححه الألباني صحيح الجامع ٤٣٤١ .
(٤) رواه البخاري رقم: ٢٤ ومسلم ٣١ .
(٥) متفق عليه من حديث معاذ بن جبل. البخاري كتاب الجهاد رقم ٢٦٤٤ ولمسلم كتاب الإيمان رقم: ٤٣ .

٨- أن التوحيد هو أول أمر في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

٩- أن التوحيد أول أمر يجب على الداعي أن يدعو الناس إليه:

لقول الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»(١).

١٠- أن التوحيد هو أول بند من القاعدة المشتركة، والكلمة السواء التي بيننا وبين الكفار، إن أرادوا الإسلام: قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران: ٦٤].

١١- أن التوحيد مما كان الرسول ﷺ يعلِّمه الصبيان والغلمان الصغار كقوله لابن عباس رضي الله عنهما وهو غلام: «يا غلام ! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفّت الصُحف»(٢).

١٢- كلمة التوحيد خفيفة على اللِّسان، ثقيلة في الميزان، حبيبة إلى الرحمن قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»(٣).

ولقوله ﷺ: «إن الله سيُخلِّص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينُشر

---

(١) متفق عليه البخاري ١٣٦٥ ومسلم ٢٨ .
(٢) صحيح رواه أحمد ٢٥٣٧ والترمذي ٢٤٤٠ والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٨٣٤ .
(٣) متفق عليه البخاري ٥٩٢٧ ومسلم ٤٨٦٠ .

عليه تسعة وتسعين سجلا، كلّ سجلٍّ مثل مدّ البصر، ثم يقول: «أتُنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟» فيقول: «لا يا ربّ»، فيقول أفلك عذر ؟ فيقول: «لا يا رب»، فيقول: «بلى ! إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم»، فتُخرج بطاقة فيها: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»، فيقول: «أحضر وزنك» فيقول: «يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟» فيُقال: «فإنك لا تُظلم»، فتوضع السجلات في كفّة، والبطاقة في كّفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء»(١).

١٣- لا تقوم الساعة على أهل التوحيد:

لقول الرسول ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله»(٢).

١٤- التوحيد هو دين الفطرة:

قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] وقال رسول الله ﷺ ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أُعلمّكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال وأني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم. . . .»(٣).

١٥- مكث النبي ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو قومه إلى العقيدة وخاصة التوحيد.

١٦- التوحيد سبب الاستخلاف في الأرض:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]؛ فالتمكين في الأرض يستلزم وصفا

(١) صحيح رواه أحمد ٦٦٩٩ والترمذي ٢٥٦٣ .
(٢) رواه أحمد ومسلم عن أنس .
(٣) رواه مسلم برقم: ٥١٠٩ .

سابقا عليه وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وبعد حصول التوحيد وتحقيقه يكون الاستخلاف والتمكين.

ثالثاً: أقسام التوحيد

قسّم العلماء التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

١- توحيد الربوبية:

وهو أحد قسمي «توحيد الإثبات والمعرفة»: وهو الإقرار بأن الله وحده هو خالق كل شيء، ورازقه، ومالكه، والمتصرف فيه.

٢- توحيد الأسماء والصفات:

ويسمى بتوحيد الإثبات والمعرفة:

وهو الإقرار بأن لله تعالى الأسماء الحسنى والصفات العلى، فنثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته رسوله ﷺ، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ دون تشبيه، ولا تعطيل، ولا تكييف، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٣- توحيد الألوهية:

ويسمى بتوحيد الإرادة، والقصد، والطلب:

وهو إفراد الله تعالى وحده بالعبادة، فلا صلاة، ولا قيام ولا زكاة ولا صيام ولا ذبح ولا نذر، ولا خوف ولا رجاء، ولا محبة ولا رغبة... إلا له وحده سبحانه قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

العبادة:

العبادة لغةً: التذلل والخضوع.

العبادة شرعاً: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة».

أركان العبادة: وللعبادة ركنان: ١- كمال الذل، ٢- كمال الحب

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذّل ومعنى الحبّ، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى، بغاية المحبة له».

والعبادة لا تُقبل حتى يتوفر فيها شرطان:

(أ) الإخلاص: أي أن تكون خالصة لله فلا يشركه فيها معه شيء.

(ب) المتابعة: إفراد النبي ﷺ بالاتباع، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]. أي لا يُرائي بعمله بل يكون عمله خالصا لوجه الله تعالى، موافقاً لشرع الله، من واجب ومستحب، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة[١]. قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ١-٢]. أي أخلَصُه وأصوَبُه[٢].

من لوازم الدعوة إلى التوحيد:

محبة أهل التوحيد، ومناصرتهم: بالنفس، والمال وبغض، أعدائهم:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقال ﷺ: «ثلاث من كُنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكُفر كما يكره أن يُقذف في النار»[٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٦٧٢ لعبد الرحمن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ١٢٣٣ عبد الرحمن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٣) البخاري: (١٦) ومسلم: (٤٣).

وقد بلغ الصحابة ﷺ بحبهم لإخوانهم الموحّدين شأْوًا كبيرًا، حتى آثروهم على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة، وحتى فارقوا أعداء التوحيد وناصبوهم العداء مهما قربوا منهم من جهة النّسب أو الأوطان، فخرجوا من ديارهم، وهاجروا لدينهم تاركين أموالهم وأولادهم وعشيرتهم ابتغاء مرضاة الله.

واستقبلهم إخوانهم الذين تبوَّؤوا الدار والإيمان من قبلهم، وأحبوهم وآثروهم على أنفسهم، وضربوا أمثلة رائعة في ذلك لم يعهدها التاريخ وما ذلك إلا بسبب جذوة الإيمان التي في قلوبهم، والحبّ لأجله الذي أنساهم ما عداه، فصار ولاؤهم للتوحيد وعداؤهم لأجله.

قال أحد السّلف: «ليتق أحدكم أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا».

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] فإنه من يوالي المشركين فهو منهم.

وكثير ممن يقوم بأعمال كبيرة يظن أنه يخدم الإسلام وهو في الحقيقة يهدم أركانه ويقوِّض بنيانه.

فيجمع التبرعات الطائلة، والأموال الكثيرة والزكوات والصدقات، ويعطيها أصحاب المبادئ المنحرفة عن الصراط المستقيم، ويظن أنه على حق، وأنه يساعد الدعاة، وهو في الحقيقة يقوي أهل البدع والخرافات على أهل التوحيد والعقيدة الصحيحة.

وسبب ذلك: الانحراف في عقيدة الولاء والبراء، والمحبة التي هي شرط من شروط كلمة التوحيد[١].

❋ ❋ ❋

---

(١) منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله للشيخ عبد الله بن محمد المعتاز

المبحث الثالث:
تحذير المسلمين من الشرك على اختلاف مظاهره

أولا: تعريف الشرك

١- الشرك في اللغة: الشريك جمعه شُركاء، والمشترك خلط الملْكين، وقيل: ما كان لك ولغيرك فيه حصة أو نصيب. يقال: شركته وشاركته واشتركوا، نحو قول موسى عن هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢-الشرك في الشرع: أن تجعل لله شريكا، أو أن تجعل لله ندا.

نحو قوله تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾ [طه: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١، الفرقان: ٢].

وقوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾ [القصص: ٦٢- ٧٤، فصلت: ٤٧][1].

ثانيا: خطورة الشرك:

١- الشرك أكبر الكبائر:

قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا: «بلى يا رسول الله»! قال: الإشراك بالله...»[2].

٢- الشرك يحبط العمل:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٤- ٦٥].

---

(١) انظر المفردات للراغب ٢٥٩ .

(٢) متفق عليه البخاري برقم: ٢٤٦٠ ومسلم برقم: ١٢٦ .

٣- الشرك ذنب لا يغفره الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

٤- الشرك سبب لدخول النار:

قال ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار»(١).

٥-الشرك سبب للخلود في نار جهنم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

٦-الشرك سبب لإهدار الدم بشروطه:

قال تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦].

٧- الشرك سبب اجتناب الاهتداء في الدنيا والأمان في الآخرة:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقد فسَّر النبي ﷺ (الظلم) بالشرك، وبمفهوم المخالفة أن المشرك لا اهتداء له في الدنيا، ولا أمان له في الآخرة.

٨- اجتناب الشرك سبب للاستقرار النفسي:

قال تعالى ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩].

---

(١) رواه البخاري رقم الحديث: ٤١٣٧ .

٩- الشرك أخفى في هذه الأمة من دبيب النَّمل:

قال رسول الله ﷺ: «الشرك فيكم أخفى من دبيبِ النَّمل، وسأدُلّكَ على شيءٍ إذا فعلتهُ أذهبَ عنكَ صغارَ الشِّركِ وكبارَهُ، تقول: اللّهم إني أعوذُ بكَ أن أُشْرِكَ وأنا أعلمُ، واستغفركَ لِما لا أعلمُ»[1].

١٠- الشرك خافه أكمل الناس وهم الأنبياء:

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

١١- الشرك يوصي باجتنابه الآباء للأبناء:

قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

١٢- الشرك سبب لحرمان دخول الجنة:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢].

١٣-المشرك مفترٍ وضالٌّ:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

١٤- المشرك نجس:

لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

---

(١) رواه الحكيم عن أبي بكر الصديق قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٣٦٢٥ في صحيح الجامع .

١٥- المشرك عمله مردود:

لقول ﷺ: «يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»(١).

١٦- حرمة الزواج من المشركين والمشركات:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ﴾ [البقرة: ٢٢١].

١٧- وأن الشرك هو أول نهي في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

ثالثاً: أقسام الشرك:

١- شرك الربوبية:

وهو الشرك بأفعال الله تعالى وينقسم إلى قسمين:

أ) **شرك التعطيل**: وهو نفي بعض أفعال الله، أو كلها: كشرك الدّهرية وغلاة الجهمية وشرك فرعون والنمرود - في السابق- والشيوعيين ،والملاحدة في الوقت الحاضر.

ب) **شرك من جعل مع الله إلها آخر في الخلق ولم يعطل أفعال الله**: كشرك النصارى والمجوس الذين اعتقدوا أن هناك إلهين إله النور وإله الظلمة، وكشرك غلاة الرافضة الذين اعتقدوا في بعض أئمتهم أنهم يتصرفون في ذرات هذا الكون وكذلك غلاة المتصوفة.

٢- شرك الأسماء والصفات:

وهذا الشرك ينقسم إلى أقسام هي:

---

(١) رواه مسلم.

أولًا شرك التشبيه:

أ- تشبيه المخلوق بالخالق: كشرك عُبَّاد القبور، والأولياء الذين أُعطوا بعض صفات الله للمخلوق: كالعلم والقدرة، وجلب النفع، ودفع الضر ،(وهذا الشرك يؤدي في النهاية إلى شرك الألوهية).

ب- تشبيه الخالق بالمخلوق: كشرك الممثلة (المشبهة) الذين يقولون: «إن له يدا كيدنا وكاعتقاد اليهود إن الله يتعب، وإنه بخيل وإنه تنطلي عليه الحيل (والعياذ بالله)».

ثانياً: شرك الاشتقاق: وهو أن يأتوا بأسماء الله الحسنى ويشتقوا منها أسماء لآلهتهم كما اشتقوا من اسمه المنان (مناة) ومن العزيز (العزى) ومن الإله (اللات) وأطلقوا هذه الأسماء على آلهتهم الباطلة.

ثالثاً: شرك التسمية: وهو أن يسموا الله بما لم يسمِّ نفسه كما أطلقت النصارى اسم (الأب) على الله. والفلاسفة (العلة الفاعلة) على الله ،وإطلاق بعضهم اسم (النور) على الله تعالى.

رابعاً: الإلحاد وجحد شيء من الأسماء والصفات: قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠]. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠]، ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الفرقان: ١٨٠].

٣- شرك الألوهية:

وينقسم شرك الألوهية إلى قسمين وهما:

القسم الأول: الشرك الأكبر وهو أن يصرف شيئاً من العبادة لغير الله كالذبح والاستعاذة والخوف ،والرجاء، والنذر والتعظيم والسجود والركوع قال تعال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

القسم الثاني: الشرك الأصغر

١- **كيسير الرياء والتصنع للخلق**: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدَّجال ؟» قالوا: «بلى يا رسول الله»، قال: «الشرك الخفي: أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجلٍ»(١).

٢- **شرك الألفاظ**: كقول الرجل للرجل: «ما شاء الله وشئتَ، وهذا من الله ومنك وأنا بالله وبك.. ومنه الحلف بغير الله كمن يحلف بالنبي ﷺ والعباس والحسين البدوي، والسيدة زينب وغيرهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رجلا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت؛ فقال: أجعلتني لله ندا ؟! بل ما شاء الله وحده»(٢) وقوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»(٣).

رابعاً: أسباب الشرك:

١- الغلو في الصالحين:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١] وقال رسول الله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد» فقولوا: «عبد الله ورسوله»(٤).

٢- التقليد:

قال تعالى عنهم: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، وقال رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة

---

(١) رواه أحمد باقي مسند المكثرين ١٠٨٢٢ وابن ماجه ٤١٩٤ وحسنه وصححه الألباني في الجامع ٢٦٠٧ .

(٢) رواه أحمد (١/ ٢١٤، ٢٢٤) والبخاري في الأدب المفرد ٧٨٣ وصححه الألباني

(٣) رواه احمد في المكثرين من الصحابة ٥٧٩٩ والترمذي ١٤٥٥ والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٢٠٤ .

(٤) البخاري برقم: ٣١٨٩ .

بالقذة[١]حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»، قالوا: «يا رسول الله ! اليهود والنصارى؟ قال: فمن ؟ !»[٢].

٣- الجهل بحقيقة ما بعث الله به الرسول:

من تحقيق التوحيد، وقطع أسباب الشرك فقلّ نصيبهم جداً من ذلك، ودعاهم الشيطان إلى الفتنة ولم يكن فيهم من العلم، ما يبطل دعوته فاستجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل، وعُصموا بقدر ما معهم من العلم. قال تعالى عن قوم موسى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

٤- أحاديث مكذوبة مختلقة:

وضعها أشباه عبّاد الأصنام، من القبورية، على رسول الله ﷺ تناقض دينه، وما جاء به، كحديث: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور»[٣]. وحديث: «لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه»[٤].

٥- حكايات حُكيت لهم عن تلك القبور:

أن فلاناً استغاث بالقبر الفلاني في شِّدة، فخلُص منها. وفلاناً دعاه في حاجة فقُضيت له. وفلاناً نزل به ضرٌّ فاسترجى صاحب القبر فكُشف ضره.

٦- الوقوف في وجه الدعوة السَّلفية لعدم إيصالها إلى الناس، وذلك من خلال خصومها أدعياء العلم، وهم كثير (لا كثّرهم الله)، ولا يكاد يخلو منهم بلد من بلدان العالم الإسلامي[٥].

---

(١) وفي رواية شبراً بشبر، أو ذراعاً.
(٢) رواه أحمد باقي مسند المكثرين ٩٤٤٣ والبخاري رقم: ٦٧٧٥ ومسلم رقم: ٤٨٢٣ .
(٣) قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ حديث موضوع انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة الجزء الأول.
(٤) قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ حديث موضوع انظر: السلسة الضعيفة ١/ ٤٥٢ رقم ٤٥٠ وكذلك ابن تيمية وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: هو من كلام عبَّاد الأصنام الذين يحسنون ظنهم بالأحجار وقال ابن حجر العسقلاني: لا أصل له .
(٥) واقرأ - إن شئت - الموسوعة القيّمة بعنوان (كتب حذَّر منها العلماء) لأبي عبيدة مشهور بن =

ولو قُدِّر للدعوة السَّلفية أن لا تتعرض لما تعرضت له من ضغوط مختلفة- من جانب خصومها وأعدائها لتمكنت من نشر التوحيد الخالص، الذي سيوحِّد المسلمين كما وحدهم من قبل. ولذا يقول أحد أعدائها - والحق ما شهدت به الأعداء - وهو الدكتور طه حسين: «ولولا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب[1] وحاربوه في داره، بقوى وأسلحة لا عهد لأهل البادية بها، لكان من المرجو جداً أن يوحِّد هذا المذهب كلمة العرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، كما وحّد ظهور الإسلام كلمتهم في القرن الأول»[2].

* * *

= حسن حفظه الله لتقف على مئات الكتب التي تقدح وتطعن في الدعوة السَّلفية وبعلمائها، تلبيساً على العامة وإقراراً لهم على باطلهم، وجعل هذا سلاحاً بيد الخرافيين يحاربون به السَّلفيين.

(١) وكما لا يخفى فإن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله دعوة إصلاحية على منهج السَّلف - رضوان الله عليهم وليست مذهباً كما يعتقده معظم المسلمين اليوم الملبسَّ عليهم زوراً وبهتاناً .

(٢) الحياة الأدبية في جزيرة العرب د .طه حسين، ص: ٣٧ .

المبحث الرابع:
الدعوة إلى الاتباع ونبذ التقليد

المطلب الأول: الاتباع

الاتباع في اللغة: مصدر اتبع الشيء وتبعه إذا سار في أثره[(١)].

كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]. قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾، و﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥- ٨٩]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠]، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «مطلُ الغنيِّ ظلم، وإذا اتبع أحدكم على مليء فليتبع»[(٢)]. يقول: إذا أحيل عليه فليحل»[(٣)].

وعلى ذلك فالكلمة تدور حول معنى اللحاق، والاقتفاء، والاقتداء. ومما يقترب من هذا المعنى التأسي والأسوة. يقال تأسى به إذا اتبع فعله واقتدى به، وائتسى به أي اقتدى به وكان مثله[(٤)].

الاتباع اصطلاحا: هو كما عرَّفه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو أن يتَّبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثم هو من بعد في التابعين مُخيَّر»[(٥)].

إن فأما اتباع النبي ﷺ، يكون في القول، ويكون في الفعل، ويكون في الترك فالاتباع في القول هو مصير إلى مقتضاه من وجوب، أو ندب، أو حظر لأجله والاتباع في الفعل أو في الترك هو إيقاع مثله في صورته على وجهه، لأجل أنه أوقعه يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضحاً أهمية هذا الأمر: «وذلك لأن المتابعة أن يفعل

---

(١) انظر النهاية لابن الأثير ١/ ١٧٩ والراغب ٧٢ .
(٢) متفق عليه رواه البخاري ٢١٢٥ ومسلم ٢٩٢٤ .
(٣) معجم مقاييس اللغة : ١/ ٣٦٢-٣٦- أحمد بن فارس وكذلك لسان العرب ٤/ ٣٤-٣٦ .
(٤) انظر لسان العرب. مادة (أسا)٤/ ٣٤-٣٦ .
(٥) أضواء البيان (٧/ ٥٤٨).

مثل ما فعل على الوجه الذي فعل، فإذا فعل فعلًا على وجه العبادة شرع لنا أن نفعله على وجه العبادة، وإذا قصد تخصيص مكان أو زمان خصصناه بذلك. كمن كان يقصد أن يطوف حول الكعبة، وأن يستلم الحجر الأسود، وأن يصلي خلف المقام وكان يتحرى الصلاة خلف اسطوانة مسجد المدينة، وقصد الصعود على الصفا والمروة والدعاء والذكر هناك، وكذلك عرفة ومزدلفة وغيرهما.

وقد أمرنا الله بأن نتّبع رسوله ﷺ ونمتثل أمره ونهيه في كل ما جاءنا به، فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه؛ فإنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر»(١).

وجوب طاعة النبي ﷺ واتباع سنته:

١- عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قومه فقال: «يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم، فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق»(٢).

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: «ومن يأبىَ يا رسول الله» ؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»(٣).

والمراد بالإباء هنا الامتناع عن التزام سنة رسول الله ﷺ وعصيان أمره. والموصوف

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٣٦

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٩/ ١١٥، ومسلم، كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته ٤/ ١٧٨٨-١٧٨٩

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٩/ ١١٤ .

بالإباء إن كان كافراً لا يدخل الجنة أبداً، وإن كان مسلماً مُنع من دخولها مع أول داخل إلا من شاء الله تعالى[١].

الترهيب من مخالفة أمره ﷺ:

مثلما أمر رسول الله ﷺ المسلمين بطاعته، فقد حذّرهم من الخروج عن سنته ورهّبهم من تركها والإعراض عنها: -

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٢].

٢- وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «من عمِل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[٣].

من مظاهر الاتباع:

أولاً: الاقتداء بالنبي ﷺ والتأسي به في الاعتقادات والأعمال ظاهراً وباطناً:

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ثانياً: تحكيم السنة والتحاكم إليها

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

---

(١) انظر فتح الباري ١٣/ ٢٥٤ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ٧/٢، ومسلم، باب استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه ووجد مؤنة ٢/ ١٠٢٠ .

(٣) رواه مسلم برقم: ٣٢٤٣ .

ثالثاً: الرضا بحكم رسول الله ﷺ وشرعه:

فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا»(١).

رابعاً: الوقوف عند حدود الشريعة:

وهذا الأمر ثمرة للرضا، فمن رضي بحكم رسول الله ﷺ، ودينه وشرعه، وقف عند حدود شريعته، ولم يتجاوزها إلى غيرها، كما جاء من حديث عبد الله بن مُغفل أنه سمع ابنه يقول: «اللهّم إني أسألك القصر الأبيض، عن يمين الجنة إذا دخلتها فقال: أي بُنّي ! سل الله الجنة، وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول ﷺ يقول: «سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء»(٢).

فمن التعدي في الطهور: الإسراف فيه، أو أن يتوضأ أكثر من ثلاث مرات. أو أن يتجاوز العضو الذي أُمر بوضوئه.

متابعة النبي ﷺ لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمور ستة:

الأول: السَّبب: فإذا تعبّد الإنسان لله عبادة، مقرونة بسبب ليس شرعيًّا فهي بدعة مردودة على صاحبها.

مثال ذلك: أن بعض الناس يحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عُرج فيها برسول الله ﷺ، فالتّهجد عبادة، ولكن لما قُرن بهذا السبب كان بدعة، لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعاً. . وهذا الوصف - موافقة العبادة الشرعية في السبب - أمر مهم يتبين به ابتداع كثير مما يظن أنه من السنة وليس من السنة.

الثاني: الجنس: فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها، فلو تعبّد إنسان

---

(١) صحيح مسلم. كتاب الإيمان باب الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبار، ١/ ٦٢

(٢) أخرجه أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مغفل، ٤/ ٨٦، ٨٧، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٤، وصححه ووافقه الذهبي. وأبو داود ٤٥ الطهارة (باب الإسراف في الماء) وصححه الألباني صحيح سنن أبي داود ٩٦، وانظر صحيح الجامع ٣٦٧١ .

لله بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة.

مثال ذلك: أن يُضحي رجل (بفرس) فلا تصح أضحيته لأنه خالف الشريعة في الجنس، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام مثل: الإبل، البقر، الغنم.

الثالث: القَدْر (العدد أو الكمية): فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة فهذه بدعة غير مقبولة، لأنها مخالفة للشرع في القدر؛ ومن باب أولى لو أن الإنسان صلى الظهر مثلا خمسا فإن صلاته لا تصح بالاتفاق.

الرابع: الكيفية (الهيئة): فلو أن رجلًا توضأ بغسل رجليه، ثم مسح رأسه ثم غسل يديه ثم وجهه فوضوؤه باطل، لأنه مخالف للشرع في الكيفية، وكذلك لو بدأ الصلاة بالسجود ثم الركوع لكانت صلاته باطلة.

الخامس: الزمان فلو أن رجلًا ضحى في أول أيام ذي الحجة فلا تقبل الأضحية لمخالفة الشرع في الزمان، وكذلك لو صلى قبل الوقت أو حج في غير أشهر الحج،

السادس: المكان: فلو أن رجلًا اعتكف في غير المسجد، فإن اعتكافه لا يصح، وذلك لأن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، ولو قالت امرأة: أريد أن أعتكف في مصلى البيت، فلا يصح اعتكافها لمخالفة الشرع في المكان.

المطلب الثاني:

التقليد

التقليد في لغة: هو جعل القلادة في العنق[١].

التقليد في الاصطلاح: هو أخذ قول الغير من غير معرفة دليله[٢].

نشأة التقليد: وقد حدث التقليد في القرن الرابع الهجري[٣].

---

(١) المصباح المنير ٥١٢ .
(٢) مجموع الفتاوى ٣٥/ ٢٣٣، روضة الناظر ٢/ ٤٥٠ .
(٣) الرد على من أخلد إلى الأرض ١٣٣ للسيوطي .

ذمّ التقليد:

من القرآن:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣- ٢٤].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٢- ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الزخرف: ٦٧].

من آثار الصحابة:

١- قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلا، إن آمن، آمن وأن كَفَرَ، كَفرَ؛ فإنه لا أسوة في الشر»(١).

وقال أيضاً رضي الله عنه: «كنّا ندعو الإمّعة في الجاهلية الذي يدعى إلى الطعام فيأتي معه بغيره وهو فيكم المحقب دينه الرجال»(٢).

٢- قال ابن عباس رضي الله عنه: «ويل للأتباع من عثرات العالم! قيل: وكيف ذاك يا أبا العباس؟ قال: يقول العالم من قِبَل رأيه، ثم يسمع الحديث عن النبي ﷺ فيدع ما كان عليه، وفي لفظ: فيلقى من هو أعلم برسول الله ﷺ منه فيخبره فيرجع ويقضي الأتباع بما حكم»(٣).

٣- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا لِلْخَيْرِ

(١) إعلام الموقعين ٢/ ١٩٥ لابن القيم.
(٢) إعلام الموقعين ٢/ ١٩٤ لابن القيم. رواه الحاكم في المستدرك برقم ٧١٧٨ .
(٣) رواه البيهقي من حديث حماد بن زيد عن المثنى بن سعيد عن أبي العالية قال. انظر إعلام الموقعين ٢/ ١٩٣ لابن القيم. كأبي الحسن الأشعري رحمه الله رجع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة ومضى أتباعه على الأشعرية - هداهم الله.

وَالنَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ صَائِحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ»(١).

من أقوال الأئمة:

١- قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه(٢)» وقال: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»(٣).

٢- وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنما أنا بشر، أُخطئ وأُصيب، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»(٤)

٣- وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ ويعزب عنه فهمها فمهما، قلت من قول، أو أصَّلت من أصل، وفيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت، فالقول ما قاله رسول الله ﷺ وهو من قولي، جعل يُردِّد هذا الكلام»(٥).

وقال أيضاً: «كل ما قلت؛ فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح، فحديث النبي ﷺ أولى، فلا تقلدوني»(٦).

٤- وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تُقلدني، ولا تُقلد مالكاً، ولا الشافعي، ولا الأوزاعي، ولا الثوري، وخُذ من حيث أخذوا»(٧).

---

(١) اعلام الموقعين ٢/ ١٩٥ لابن القيم.
(٢) ابن عابدين في «حاشية» على البحر الرائق (٦/ ٢٩٣)، وابن القيم في: «إعلام الموقعين» (٢/ ٣٠٩).
(٣) ابن عابدين في الحاشية ١/ ٦٣ والشيخ صالح الفلاني في إيقاظ الهمم ص ٦٢ .
(٤) رواه ابن عبد البر في الجامع (٢/ ٣٢) والفلاني في إيقاظ الهمم ص ٧٢ .
(٥) رواه الحاكم بسند متصل إلى الشافعي، وإعلام الموقعين (٢/ ٣٦٣، ٣٦٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/ ١/ ٣) .
(٦) رواه ابن أبي حاتم وأبو نعيم وابن عساكر (١٥/ ٩/ ٢).
(٧) الفلاني إيقاظ الهمم (١١٣) وابن القيم في إعلام الموقعين (٢/ ٣٠٢) .

أضرار التقليد الأعمى (التعصب المذهبي)[١]:

وللتقليد أضرار كثيرة منها:

١-التقليد أدى إلى تقديم الرأي المجرد عن الدليل، على الحُكم المستند إلى الدليل قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

٢- التقليد يؤدي إلى التعصّب المذهبي، ومن ثم الاختلاف في العقائد والأحكام.

٣- التقليد رسَّخ في أذهان المسلمين مفاهيم خاطئة ،كقولهم: (اختلاف أُمتي رحمة).

٤- التقليد خلَّف آثار سيئة في حياة الأمة، كالجمود الفقهي، وإغلاق باب الاجتهاد.

٥- في التقليد إبطال منفعة العقل لأنه إنما خُلق للتأمل.

حكم التقليد

التقليد جائز في الجملة للعامة: الذين لا قدرة لهم على النظر في الأدلة واستنباط الأحكام، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولم يختلف العلماء أن العامة عليهم تقليد علمائهم وأنهم المرادون بقول الله عز وجل: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣- الأنبياء: ٧]».

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي عليه جماهير الأمة، أن الاجتهاد جائز في الجملة والتقليد جائز في الجملة، ولا يوجبون الاجتهاد على كل أحد ويُحرِّمون التقليد، ولا يُوجبون التقليد على كل أحد ويُحرِّمون الاجتهاد»[٢].

---

(١) انظر الفصل السادس المبحث العاشر التعصب المذهبي.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/٢٠٣-٢٠٤

شروط التقليد الجائز:

١- أن يكون المقلِّد جاهلًا، عاجزاً عن معرفة حكم الله ورسوله ﷺ.

٢- أن يقلد من عُرِف بالعلم والاجتهاد من أهل الدِّين والصلاح.

٣- ألا يتبين للمقلِّد الحق، بأن يكون قول غير مقلِّده أرجح.

٤- ألا يكون في التقليد مخالفة واضحة للنصوص الشرعية، أو لإجماع الأمة.

٥- ألا يلتزم المقلِّد مذهباً بعينه في كل المسائل، بل عليه تحري الحق ويتبع الأقرب للصواب، وليس معنى هذا أن يتنقل بين المذاهب، تتبعاً للرخص وبحثاً عن الأسهل.

هل يلزم العامي التمذهب؟

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يلزمه، وهو الصواب المقطوع به، إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله ولم يوجب الله ورسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الأئمة، فيقلده دينه دون غيره»[١].

إن عدم الالتزام بمذهب معيّن هو الأصل، إلا أن هناك استثناء وهو:

١- إذا لم يستطع العبد أن يتعلم دينه إلا بالتزام مذهب معين[٢].

٢- إذا ترتب على التزامه بمذهب معين دفع فساد عظيم لا يتحقق دفعه إلا بذلك[٣].

مدى صحة قولهم: لا إنكار في مسائل الخلاف!

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وقولهم: «إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول والفتوى، أو العمل».

أما الأول: فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعاً شائعاً وجب إنكاره اتفاقا.

---

(١) إعلام الموقعين ٤/ ٢٦١-٢٦٢ .
(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٥١٤ -٢٠/ ٢٠٩ .
(٣) مجموع الفتاوى ١١/ ٥١٤-٢٠/ ٢٠٩ .

وإن لم يكن كذلك فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليل إنكار مثله.

وأما العمل فإذا كان على خلاف سنة أو إجماع، وجب إنكاره بحسب درجات الإنكار.

وكيف يقول فقيه لا إنكار في المسائل المختلف فيها ؟ والفقهاء من سائر الطوائف قد صرَّحوا بنقض حكم الحاكم إذا خالف كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ، وإن كان قد وافق فيه بعض العلماء ؟!.

وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع، وللاجتهاد فيها مساغ، لم تُنكر على من عمل بها مجتهدا أو مقلداً، والمسائل التي اختلف فيها السَّلف والخلف وقد تيقّنا صحة أحد القولين فيها، كثير، ومنها:

١- كون الحامل تعتَّد بوضع الحمل.

٢- إصابة الزوج الثاني شرط في حِلها للأول.

٣-وجوب الغُسل بمجرد الإيلاج وإن لم ينزل.

٤- كون ربا الفضل حرام.

٥- أن زواج المتعة حرام.

٦- وأن النبيذ المُسكر حرام.

٧-وأن المسلم لا يُقتل بالكافر.

٨- المسح على الخفين جائز حضراً وسفراً.

٩- أن في الركوع وضع اليدين على الركبتين دون التطبيق.

إلى أضعاف ذلك من المسائل، ولهذا صرَّح الأئمة بنقض حكم الحاكم بخلاف كثير من هذه المسائل، من غير طعن منهم على من قال بها[١].

---

(١) انظر إعلام الموقعين ٣/ ٢٨٨-٢٨٩ .

المآخذ على التّعصب المذهبي:

١- أنه يناقض المناداة بالحاكمية لله وحده.

٢- مخالفة النصوص الثابتة من الكتاب والسنة تعصباً للمذهب، وتقديم الرأي المحض عليها.

٣- اشتمال الكتب المذهبية على الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والاحتجاج بها واستنباط الأحكام منها، مما يؤثر على الاستنباط ويورث الاختلافات الفقهية.

٤- تقديم أقوال العلماء المتأخرين على أقوال الأئمة المتقدمين.

٥-الانحباس في مذهب واحد، وعدم الاستفادة من علم المذاهب الأخرى، وجهود رجالها، وكتبهم تعصبا للمذهب.

٦- خلو كثير من الكتب المذهبية من الأدلة الشرعية، ورغبة الكثيرين عن دراسة الكتاب والسنة إليها.

٧- شيوع التقليد والجمود، وإقفال باب الاجتهاد.

٨- الخوض في المسائل الخيالية، والانشغال بالافتراضات السخيفة.

٩- فتح باب الحيل المحرّمة للتّخلص من التكاليف الشرعية.

١٠- الأخذ بجزء من النّص دون الجزء الآخر.

١١- التشدد في بعض المسائل، مما فيه عنت كبير على الناس.

من الشعر في التقليد[١]:

يا سائلي عن موضع التقليد خُذ عني الجواب بفهم لبّ حاضر
وأصِخْ إلى قولي ودِنْ بنصيحتي واحفظ عليّ بوادري ونوادري
لا فرق بين مقلد وبهيمةٍ تنقاد بين جَنَادِل ودعاثر
تبّاً لقاض أو لمُفتٍ لا يرى عَذْلا ومعنى للمقال السائر
فإذا اقتديت فبالكتاب وسنَّة الـ ـمبعوث بالدين الحنيفِ الطاهرِ
وإذا الخلاف أتى فدونك فاجتهدْ ومع الدليل فملْ بفهم وافرٍ
وعلى الأصول فقِسْ فروعك لا تَقس فرعا بفرع كالجهول الحائرِ

* * *

(١) أي: التقليد الغير جائز.

المبحث الخامس:
نبذ البدع والأفكار الدخيلة

البدعة لغة: أصل مادة (بدع) للاختراع على غير مثال سابق. ومنه قول الله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩].

ويقال: ابتدع فلان بدعة، يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق ،وهذا أمر بديع يقال: في الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن، ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة[(١)].

البدعة اصطلاحاً: «طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه»[(٢)].

البدعة الحقيقية والبدعة الإضافية:

البدعة الحقيقية: هي التي لم يدل عليها دليل شرعي، لا من كتاب، ولا من سنة ولا إجماع ولا قياس، ولا استدلال معتبر عند أهل العلم، لا في الجملة، ولا في التفصيل، لذلك سميت بدعة، لأنها شيء مخترع على غير مثال سابق[(٣)].

ومن أمثلة ذلك:

١- الرهبنة بترك الزواج.

٢- الوقوف بالشمس تعبداً وغيرها.

البدعة الإضافية: وهي لها شائبتان:

---

(١) الاعتصام: للعلامة الشاطبي تحقيق مشهور حسن ١/ ٥٤-٤٣ .
(٢) الاعتصام: للعلامة الشاطبي تحقيق مشهور حسن ١/ ٥٤-٤٣ .
(٣) الاعتصام ٢/ ١٢٧ للشاطبي ضبط وتخريج الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان حفظه الله .

أ - أن لها من الأدلة متعلق (أي من ناحية الأصل و الإجمال) فلا تكون من تلك الجهة بدعة.

ب - ليس لها من الأدلة متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية[١].

مثالها: - إفراد الجمعة بصيام أو ليلها بقيام.

- تخصيص شهر رجب بعمرة.

- الذِكر الجماعي وغيرها.

التحذير من البدع

أولًا: من القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: «أخبر الله تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً وقد رضيه فلا يسخطه أبداً»[٢] فالمبتدع يرى أن الدين لم يكمل، أو أن محمد ﷺ خان الرسالة قال الإمام مالك رحمه الله: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً»[٣].

ثانياً: من السنة

١- المبتدع حقَّت عليه اللّعنة من رسول الله ﷺ:

الذي قال: «المدينة حرم من كذا إلى كذا، لا يُقطع شجرها، ولا يُحدث فيها

(١) المصدر السابق ٢/ ١٢٨ .
(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ١٢ .
(٣) تهذيب الفروق ٤/ ٢٢٥ .

حدث، ومن أحدث حدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[١].

٢- أن عمله مردود عليه:

قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[٢].

٣- أن البدعة في النار:

قال رسول الله ﷺ: «وكل محدثة بدعة وكل بدعة في النار»[٣].

٤- أن المبتدع عليه إثم من تبعه:

قال رسول الله ﷺ: «ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»[٤].

ثالثاً: من أقوال الصحابة رضي الله عنهم

١- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه كان بالشام فقال: «أيها الناس! عليكم بالعلم قبل أن يُرفع، ألا وإن رفعه ذهاب أهله. وإياكم والبِدع والتّبدّع والتنطّع! وعليكم بأمركم العتيق»[٥].

٢- وعن أبيّ ابن كعب رضي الله عنه أنه قال: «عليكم بالسبيل والسُنّة فإنه ما على الأرض عبد على السبيل والسُنّة ذكرَ الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله، إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها، فهي كذلك حتى أصابتها ريح شديدة فتحاتّ ورقها إلا حطّ الله عنه خطاياه، كما تحاتّ تلك الشجرة ورقها، وإن اقتصاداً في سبيل وسُنّة، خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسُنّة، فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهاداً واقتصاداً أن يكون ذلك على منهاج الأنبياء وسنتهم»[٦].

---

(١) متفق عليه البخاري كتاب الحج باب حرم المدينة ١٧٣٤ ومسلم ٢٤٣٤.
(٢) متفق عليه البخاري ٢٤٩٩ ومسلم رقم: ٣٢٤٢.
(٣) رواه مسلم رقم: ١٤٣٥ والنسائي رقم: ١٥٦٠.
(٤) رواه مسلم رقم: ٤٨٣١ والترمذي رقم: ٢٥٩٨.
(٥) البدع والنهي عنها للإمام محمد بن وضّاح ص: ٢٥.
(٦) الإبانة الكبرى لابن بطة ٣٥٩/١، وشرح أصول اعتقاد أهل السُنّة للالكائي ص: ٥٤.

٣- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «عليكم بتقوى الله، وهذه الجماعة فإن الله لا يجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة أبداً، وعليكم بالصبر، حتى يستريح برّ أو يُستراح من فاجر»(١).

وعنه أنه كان يقول: «عليكم بالطريق فلئن لزمتموه لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن خالفتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً»(٢).

- وعنه أيضاً أنه قال: «عليكم بالعلم قبل أن يُقبض، وإياكم والتنطع والتبدُّع والتعمق وعليكم بالعتيق»(٣).

٤- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «لن تضل ما أخذت بالأثر»(٤).

٥- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «ما ابتُدعت بِدعة إلا ازدادت مضياً ولا نزعت سُنّة إلا زادت هرباً»(٥).

٦- وقال رجل لابن عباس رضي الله عنه: أوصني قال: «عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع»(٦).

٧- وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «كل بدعة ضلالة، ولو رآها الناس حسنة»(٧).

رابعاً: من أقوال علماء السَّلف رحمهم الله

١- عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كتب إلى بعض عمّاله: «أوصيك

(١) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى ١/ ٣١٣، ٣١٤ برقم ١٤٩ .
(٢) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى ١/ ٣٣٢ .
(٣) رواه الدارمي ١/ ٦٦، وابن وضاح في البدع والنهي عنها ص: ٢٥، والمروزي في السُنّة ص ٢٥٥ .
(٤) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى ١/ ٣٥٣ .
(٥) رواه ابن وضاح في البدع والنهي عنها ص: ٣٧، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُنّة ١/ ٩٣ برقم ١٨٢ .
(٦) رواه المروزي في السُنّة ص: ٢٤، والدارمي في سننه ١/ ٦٦، والبغوي في شرح السُنّة ١/ ٢١٤ .
(٧) رواه المروزي في السُنّة ص: ٢٤، وابن بطة في الإبانة الكبرى ١/ ٣٣٩، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ٩٢ .

بتقوى الله والاقتصاد في أمره، واتباع سُنّة رسوله ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعده، فيما قد جرت به سُنّته وكفوا مؤونته، واعلم أنه لم يبتدع إنسان بدعة إلا قدم قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها، فعليك بلزوم السُنّة، فإنها لك بإذن الله عصمة، واعلم أن مَنْ سن السنن قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والتعمق والحمق، فإن السابقين عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وكانوا هم أقوى على البحث ولم يبحثوا»[١].

٢- قال ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ محذراً من البدع: «ما أحدث رجل بدعة فراجع سُنّة»[٢].

٣- وقال أبو أيوب السختياني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله بُعدا»[٣].

٤- وعن أبي قلابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «ما ابتدع رجل بدعة إلا استحل السيف»[٤].

٥- قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان الفقهاء يقولون: «لا يستقيم قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة»[٥].

٦- وقال أبو العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبعض أصحابه: «تعلَّموا الإسلام فإذا تعلمتموه لا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم، فإن الصراطَ المستقيمَ الإسلامُ، ولا تنحرفوا عن الصراط المستقيم يميناً وشمالاً، وعليكم بسُنّة نبيكم وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين أهلها العداوة والبغضاء»[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٥/ ١٩، ابن وضاح في البدع والنهي عنها ص: ٣٠ وابن بطة في الإبانة الكبرى ١/ ٣٢١ . واللفظ له، وقال الألباني صحيح مقطوع سنن أبي داود رقم ٤٦١٢.

(٢) رواه الدارمي في سننه ١/ ٨٠ برقم ٢٠٨، وابن بطة في الإبانة الصغرى ص: ١٣١ والسيوطي في الأمر والإتباع ص: ٧٨ .

(٣) رواه ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص: ١٨، والسيوطي في الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ص: ٨١ .

(٤) رواه الدارمي في سننه ١/ ٥٨ .

(٥) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى ١/ ٣٣٣، وذكره ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص: ١١ .

(٦) رواه المروزي في السُنّة ص: ٨، وابن بطة في الإبانة الكبرى ١/ ٢٤٢ .

٧- وكان إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «لو أن أصحاب محمد مسحوا على ظفر لما غسلته التماس الفضل في اتباعهم»[١].

وقال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن المبتدع قد نزَّل نفسه منزلة المضاهي للشارع».

التعريف بأهل الأهواء والبدع

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والبدعة التي يعد بها الرجل من أهل الأهواء: ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة: كبدعة: الخوارج والروافض، والقدرية، والمرجئة»[٢].

متى يُبدَّع الرجل من أهل السنة ؟

لا يُبدَّع أحد من أهل السنة أو يحكم بخروجه من دائرة أهل السنة بمجرد خطئه في الاجتهاد:

قال محدِّث الشام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ:

المبتدع: هو أولًا الذي يحدث من عادته الابتداع في الدين، وليس الذي يبتدع بدعةً ولو كان هو فعلًا ليس عن اجتهاد وإنما عن هوى، مع هذا لا يُسمى مُبتدعاً.

وأوضح مثال لتقريب هذا المثال، أنّ الحاكم الظالم قد يعدل في بعض أحكامه فلا يُقال فيه عادل، كما أنّ العادل قد يظلم في بعض أحكامه فلا يُقال فيه ظالم وهذا يؤكد القاعدة الإسلامية الفقهيّة:

أنَّ الإنسان بما يغلب عليه من خير أو شر، فإذا عرفنا هذه الحقيقة: عرفنا من هو المبتدع.

وقال أيضاً: فيشترط إذن في المبتدع شرطان:

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى ١/ ٣٦١، ورواه الدارمي بمعناه في سننه ١/ ٨٣ برقم ٢١٨ .
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥/ ٤١٤ .

أولًا: أن لا يكون مجتهداً وإنما يكون مُتَّبعاً للهوى.

ثانياً: أن يكون ذلك من عادته ومن ديدنه[١].

فلا يحكم على أحد من علماء أهل السنة ونظّارهم أو حكّامهم بأنه مبتدع أو خارج عن أهل السنة والجماعة، بسبب خطئه في الاجتهاد، سواء كان ذلك الاجتهاد في مسألة من مسائل العقيدة والتوحيد، أو في مسائل الحلال والحرام مما كثر فيه الاختلاف بين علماء الأمة.

لأنه إنما قصد الحق وطلبه، وهذا الذي أداه إليه اجتهاده، فهو معذور في ذلك، بل مأجور على اجتهاده، فكيف يقال: بتبديعه أو تفسيقه ؟!.

وهذه المسألة من المسائل العظيمة التي يقررها أهل السُنّة، ولم يخالف فيها أحد من علماء المسلمين المعتدّ بأقوالهم وإنما خالف فيها أهل البدع: من الخوارج، والمعتزلة ومن تأثر أو انخدع بأقوالهم من عوام المسلمين[٢].

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال الله: (قد فعلتُ)[٣]. وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] صدق الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فدلّت هذه النصوص على أنه لا يُكلف نفساً ما تعجز عنه، خلافاً للجهمية المُجبِّرة، ودلَّت على أنه لا يؤاخذ المخطئ والناسي خلافاً للقدرية والمعتزلة.

---

(١) سلسلة الهدى والنور الصوتية رقم ٧٨٥ الوجه الثاني.

(٢) موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ١/ ٦٤ - ٦٥ للدكتور. إبراهيم بن عامر الرحيلي.

(٣) صحيح مسلم (كتاب الإيمان - باب بيان أن الله سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق) ١/ ١١٦ رقم الحديث ١٢٥ .

وهذا فصل الخطاب في هذا الباب، فالمجتهد المستدل من إمام وحاكم وعالم وناظر ومفت وغير ذلك، إذا اجتهد واستدل فاتقى الله ما استطاع كان هذا هو الذي كلّفه اللّه إياه، وهو مطيع لله مستحق للثواب إذا اتقاه ما استطاع ولا يعاقبه خلافاً للجهمية المُجبِّرة»[١].

من علامات أهل الأهواء والبدع وصفاتهم

أ- الفُرقة:

وقد أخبر الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥][٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

قال ابن كثير في تفسير الآية الثانية: «الآية عامة في كل من فارق دين الله، وكان مخالفاً له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ أي: فرقاً كأهل المِلل والنِحل وهي الأهواء والضلالات، إن الله تعالى قد برأ رسوله ﷺ مما هم فيه»[٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مؤكداً أن شعار فِرق أهل البدع هو التفرّق، ولهذا وُصِفت الفِرقة الناجية: «بأنها أهل السنة والجماعة، وهم الجمهور الأكبر، والسواد الأعظم وأما الفرق الباقية فإنهم الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء ،ولا تبلغ الفِرقة من هؤلاء منها في غاية القلة، وشعار هذه الفِرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع»[٤].

ب- اتباع الهوى:

وهي أبرز صفاتهم قال تعالى في وصفهم: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢١٦/١٩ - ٢١٧ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٥ .
(٣) تفسير ابن كثير ١٩٦/٢ .
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٤٥/٣ - ٣٤٦ .

قال ابن كثير رحمه الله: «أي إنما يأتمر بهواه، مهما رآه حسناً فعله، ومهما رآه قبيحاً تركه وهذا قد يُستدل به على المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين»(١).

وقد أخبر النبي ﷺ عن لزوم اتباع الهوى لأهل البدع، وأنه لا ينفك عنهم بحال في حديث افتراق الأمة، حيث قال: «إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني أهل الأهواء - كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة.

وإنه سيخرج في أُمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب(٢) بصاحبه لا يبقى منه عِرق ولا مِفصل إلا دخله»(٣).

ت- اتباع المتشابه:

وقد أخبر الله تعالى عن اتصافهم بذلك في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

وروى البخاري رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ قالت: فقال رسول الله ﷺ: «إذا رأيت الذين يتبّعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سّمى الله، فاحذروهم»(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير ٥/ ١٥٠ .

(٢) داء يعرض للإنسان من عض الكَلْب فيصيبه شبه الجنون، فلا يعض أحداً إلا كُلب وتعرض له أعراض رديئة ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشاً. النهاية لابن الأثير ٤/ ١٩٥) .

(٣) رواه أبو داود ٥/ ٥-٦ حديث ٤٥٩٧، والدارمي ٢/ ٣١٤ وأحمد ٤/ ١٠٢ وقال الألباني في(ظلال الجنة تخريج السنة) حديث صحيح، انظر السُنة لابن أبي عاصم مع ظِلال الجنة ص: ٣٣ .

(٤) صحيح البخاري (كتاب التفسير - باب منه آية محكمة ..) فتح الباري ٨/ ٢٠٩ رقم الحديث ٤٥٤٧ .

ث- معارضة السّنة بالقرآن:

ومن علامات أهل البدع: معارضة السنة بالقرآن، ودعوى الاكتفاء بالقرآن عن السنة في التشريع كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

في قوله: «ليوشك الرجل متكئاً على أريكته[١]، يُحدَث بحديثي، فيقول: «بيننا وبينكم كتاب الله، ما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه، ألا وإن ما حرّم رسول الله ﷺ فهو مثل ما حرّم الله»[٢].

قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا سمعتَ الرجل يطعن على الآثار، أو يرد الآثار، أو يريد غير الآثار فاتهمه على الإسلام، ولا تشك أنه صاحب هوى، مبتدع»[٣].

ج- بغض أهل الأثر:

ومن علامات أهل البدع: بغض أهل الحديث والأثر، والوقيعة فيهم:

فعن أحمد بن سنان القطان رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «ليس في الدنيا مبتدع إلا هو يبغض أهل الحديث»[٤].

وقال أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «علامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة: حشوية، يريدون إبطال الآثار»[٥].

---

(١) الأريكة: السرير الذي له حجاب، وقيل: هو كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة. انظر النهاية لابن الأثير .

(٢) رواه الإمام أحمد ٤/ ١٣٢، والدارمي ١/ ١٥٣، والحاكم في المستدرك ١/ ١٠٩ وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في سنن ابن ماجه ١/ ٧ حديث رقم ٥٤ .

(٣) كتاب شرح السنة للإمام البربهاري ص: ٥١ .

(٤) رواه إسماعيل الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص: ١٣٢ .

(٥) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ١٧٩، وإسماعيل الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ١/ ١٣٢ .

ح- إطلاق الألقاب على أهل السنة:

ومن علامات أهل البدع التي نصّ عليها العلماء: إطلاق الألقاب على أهل السنة بقصد انتقاصهم.

قال أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «علامة الجهمية: تسميتهم أهل السنة مشبِّهة، وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مُجبِّرة. وعلامة المرجئة: تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية[١].

وعلامة الرافضة: تسميتهم أهل السنة ناصبة، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء»[٢].

ويقول الشيخ إسماعيل الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعلامات أهل البدع على أهلها بادية ظاهرة أظهر آياتهم وعلاماتهم: شِّدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم لهم وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة، وظاهرية مشبِّهة، اعتقاداً منهم في أخبار رسول الله ﷺ أنها بمعزل عن العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة..»[٣].

خ- ترك انتحال مذهب السلف:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمقصود: أن المشهورين من الطوائف - بين أهل السنة والجماعة - العامة بالبدعة ليسوا منتحلين للسّلف، بل أشهر الطوائف بالبدعة: الرافضة حتى إن العامة لا تعرف من شعائر البدع إلا الرفض، والسُّني في اصطلاحهم من لا يكون رافضياً... فعُلم أن شعار أهل البدع: هو ترك انتحال

---

(١) لما كان المرجئة لا يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه وأنه يتجزأ، ويخالفهم في ذلك أهل السنة، أطلقوا عليهم (نقصانية) نسبة إلى قولهم بزيادة الإيمان ونقصانيته.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/ ١٧٩ وعقيدة السلف وأصحاب الحديث لإسماعيل الأنصاري ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ١٣٢ .

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث - ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ١٣١ - ١٣٢ .

السّلف، ولهذا قال الإمام أحمد في رسالة عبدوس بن مالك: أصول السنة عندنا التمسّك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ»[١].

د- تكفير مخالفيهم بغير دليل:

قال شيخ الإسلام رحمه الله في أكثر من موضع من كتبه في الرد على من قال بتكفير المتأولين: «وهذا القول لا يُعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع، الذين يبتدعون بدعة ويُكفِّرون من خالفهم، كالخوارج والمعتزلة والجهمية»[٢].

وقال أيضاً: «والخوارج تُكفِّر أهل السُنّة والجماعة، وكذلك المعتزلة يُكفِّرون من خالفهم، وكذلك الرافضة، ومن لم يُكفَّر فُسِّق.

وكذلك أكثر أهل الأهواء يبتدعون رأياً ويُكفِّرون من خالفهم فيه.

وأهل السنة يتبعون الحق من ربهم الذي جاء به الرسول ﷺ، ولا يُكفِّرون من خالفهم فيه، بل هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق»[٣].

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ (رحمهم الله) وقد سُئل عمَّن كفَّر مخالفيه:

«الجواب أني لا أعلم مستنداً لهذا القول، والتجاسر على تكفير مَنْ ظاهره الإسلام من غير مستند شرعي، ولا برهان مرضي، يخالف ما عليه أئمة العلم من أهل السنة والجماعة، وهذه الطريقة طريقة أهل البدع والضلال»[٤].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/ ١٥٥ .
(٢) منهاج السنة النبوية ٥/ ٢٣٩ - ٢٤٠ .
(٣) المصدر السابق ٥/ ١٥٨ .
(٤) مجموع الرسائل والمسائل النجدية ٣/ ٢٠

الموقف من أهل البدع[١]:

أ- قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد حديث كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في شرح السنة في معرض استدلاله لمجانبة أهل البدع وهجرهم: «هذا حديث صحيح، وفيه دليل على أن هجران أهل البدع على التأبيد، وكان رسول الله ﷺ خاف على كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأصحابه النفاق، حين تخلّفوا عن الخروج معه، فأمر بهجرانهم، إلى أن أنزل الله توبتهم وعرف رسول الله ﷺ براءتهم، وقد مضت الصحابة والتابعون، وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجتمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم»[٢].

ب- وروى ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإبانة عن أبي عثمان: «أن رجلًا كان من بني يربوع يُقال له: صبيغ سأل عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن الذاريات، والنازعات والمرسلات أو عن إحداهن... قال له عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ضع عن رأسك! فوضع عن رأسه، فإذا له وفيرة، فقال: «لو وجدتك محلوقاً لضربت الذي فيه عيناك»، قال: «ثم كتب إلى أهل البصرة، أن لا تجالسوه»، أو قال: «كتب إلينا أن لا تجالسوه» قال: «فلو جلس إلينا ونحن مائة لتفرقنا عنه»[٣].

ت- وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لا تجالس أهل الأهواء! فإن مجالستهم ممرضة للقلب»[٤].

ث- وعن أبي قلابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان يقول: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم!

---

(١) يلزم التنبيه على أن هذه الضوابط الآتية لا يشترط استعمالها مع كل مبتدع في كل حال مطلقاً، بل لا بد من التفصيل والتمييز بين أهل البدع وأنواع البدع، ومراعاة المصالح، حتى لا يستعملها طالب العلم في غير موضعها، فينشر الفُرقة والعداء بين المسلمين ويعادي من لا يستحق العداء، لزعمه أنه من أهل البدع والواقع على خلاف ذلك، ولقد ابتُليت الساحة الدعوية بمثل هذا السبب وهو إهمال الضوابط والاندفاع بلا علم.

(٢) شرح السنة ١/٢٢٦ - ٢٢٧.

(٣) الإبانة الكبرى ٢/ ٤١٤.

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة ص: ١٦، وابن بطة في الإبانة الكبرى ٢/٤٣٨.

فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يُلبِّسوا عليكم في الدين بعض ما لُبِّس عليهم»[١].

ج- وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: «لا تُجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم»[٢].

وعنه رَحِمَهُ اللهُ: «أنه كان ينهى عن مجالسة معبد الجهني، ويقول: " لا تجالسوه فإنه ضال مضل»[٣].

د- ويروى عن محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ أنه دخل عليه رجلان من أهل الأهواء فقالا: «يا أبا بكر ! نحدثك بحديث ؟ قال: لا. قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله عز وجل»؟ قال: «لا». «لتقومنَّ عني أو لأقومنَّه»[٤].

ر- وعن بشر بن الحارث رَحِمَهُ اللهُ أنه كان يقول في الجهمية: «لا تجالسوهم، ولا تكلموهم، وإن مِرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، كيف يرجعون وأنتم تفعلون بهم هذا ؟»[٥].

س- وعن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: «أصول السنة عندنا التَّمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين»[٦].

ش- وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رَحِمَهُ اللهُ: «سمعت أبي، وأبا زرعة يأمران

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه ١/ ١٢٠، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ١٣٤ .
(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ١٣٣ .
(٣) أخرجه الآجري في الشريعة ص ٢٤٣ .
(٤) أخرجه الدارمي في سننه ١/ ١٢٠، عبد الله بن أحمد في السنة ١/ ١٣٨، الآجري في الشريعة ص: ٥٧ .
(٥) أخرجه الآجري في الشريعة ص ٧٩ .
(٦) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٥٦ .

بهجران أهل الزيغ والبدع، يُغلّظان في ذلك أشد التغليظ، وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار، وينهيان عن مجالسة أهل الكلام، والنظر في كتب المتكلمين، ويقولان لا يفلح صاحب كلام أبداً»[١].

*** السلام على أهل البدع:**

عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «بئس القوم أهل البدع لا نُسلِّم عليهم»[٢].

وقال إبراهيم بن الحارث العُبادي، وأبو عبد الله[٣] يسمع: «إذا كان صاحب بدعة فلا تُسلِّم عليه، ولا تصلِّ عليه».

قال أبو عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: «كافأك الله يا أبا إسحاق، وجزاك الله خيراً»[٤].

ويقول الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ ضمن ذكره لأحكام أهل البدع: «... الثاني: الهجران وترك الكلام والسلام حسبما تقدم عن جملة السّلف في هجران من تلبَّس ببدعة»[٥].

وذكر الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ أن ترك السلام من جملة وسائل هجران أهل البدع فقد قال: «المراد بهجران أهل البدع: الابتعاد عنهم، وترك محبتهم وموالاتهم والسلام عليهم، وزيارتهم وعيادتهم»[٦].

الفرق بين هجران أهل البدع ومن تَلَبّس بمعصية ،وهجران الكفار، وذلك من وجهين:

الوجه الأول: الافتراق بينهما في أصل النية الباعثة على ترك السلام على كل منهما:

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ١٧٩، ونصر المقدسي في مختصر الحجة ص٤٧٠ .
(٢) أخرجه البغوي في شرح السنة ١/ ٢٢٩، والسيوطي في الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ص ٨٣ .
(٣) أبو عبد الله: الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٤) أخرجه الخلال ١/ ٤٩٣ - ٤٩٤ .
(٥) الاعتصام ١/ ١٧٥ .
(٦) شرح لمعة الاعتقاد ص ١١٠ .

فيترك السلام على المبتدع المسلم، بقصد هجره وتأديبه، لا اعتقاد حرمة السلام عليه.

الوجه الثاني: الافتراق بينهما في العمل:

وذلك من ناحيتين:

- من ناحية التزام ترك السلام من عدمه.
- ومن ناحية صيغة رد السلام على كل منهما.

والعجز مقيَّد، ويدور معها وجوداً وعدماً (والله أعلم).

***عدم تعظيم أهل الأهواء والبدع وخاصة لمن كان يعارض السنة ويدعو إلى بدعته:**

ومن صور التعظيم:

١- إطلاق الألقاب الحسنة:

والمشعرة بالتعظيم عليهم، فقد حذَّر العلماء من ذلك. ومنه كلام العز بن عبد السلام: «وأما إكرامهم بالألقاب الحسنة، فلا يجوز إلا لضرورة، أو حاجة ماسة وينبغي أن تهان الكفرة والفسقة»[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف هدي النبي ﷺ:

وكان يكره أن يُستعمل اللفظ الشريف المصون في حق من ليس كذلك[٢].

ومن هذه الألقاب التي ورد النهي عنها على وجه الخصوص لفظ: (سيّد) كما في الحديث: «لا تقولوا للمنافق سيّد»[٣].

وكذا الحُكم في كل لقب، أو لفظ مُشعرٍ بالتعظيم لا يجوز إطلاقه عليهم:

---

(١) فتاوى العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٦٢ .

(٢) زاد المعاد ٢/ ٩ .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب وأبو داود رقم: ٤٣٢٥ وقال النووي إسناده صحيح وصححه الألباني، السلسلة ٣٧١ .

(كالحكيم) و (العبقري) و (السّامي).

٢- تكنيتهم: فإنها من صور تعظيمهم وتكريمهم.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الكُنية فهي نوع تكريم للمُكنَّى وتنويه به»

كما قال الشاعر:

أُكنيّه حين أناديه لأُكرِمهُ ولا أُلقِبه والسوأة اللقب[١]

٣- استقبالهم بالبِشر والطلاقة:

ذكر الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن من صور موالاة أعداء الله: «البشاشة لهم والطلاقة»[٢].

٤- تقديمهم في المجالس أو التلطّف معهم في الكلام:

فإنه من الإكرام لهم المنافي لما تقرر من وجوب إذلالهم وإهانتهم، والإغلاظ عليهم كما في قوله تعالى: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: ٧٣- التحريم: ٩].

٥- دعوتهم للطعام:

فإنه من أنواع الإكرام لهم، مع ورود النهي الصريح من النبي ﷺ حيث قال: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»[٣].

٦- تهنئتهم في المناسبات:

العامة كالأعياد وغيرها، والمناسبات الخاصة: كالتهنئة بزواج أو ولادة مولود، أو قدوم غائب، أو بمنصب، أو ولاية، فإنها لا تجوز، لأنها من صور التعظيم لهم وعلى خلاف هدي السّلف.

---

(١) زاد المعاد ٢/ ٧ .

(٢) انظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٧/ ٧٤ - ٧٥ .

(٣) أخرجه أبو داود ٥/ ١٦٧، والترمذي مع التحفة ٧/ ٧٦، والدارمي١/ ١٤٠، والحاكم. وقال صحيح الإسناد وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ١٢٢٦ .

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد كان أهل الورع من أهل العلم، يتجنبون تهنئة الظلمة بالولايات، وتهنئة الجهال بمنصب القضاء، والتدريس، والإفتاء، تجنباً لمقت الله وسقوطهم من عينه»[١].

٧- استعمالهم في الوظائف الهامة:

كقضاء، أو إمارة، أو وزارة، فإنه من الإكرام لهم، وسبب في صرف أنظار العامة إليهم، وتعظيمهم لهم، وتوقيرهم إياهم.

وقد عاتب عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أبا موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما اتخذ كاتباً نصرانياً - لِما فهِمه من أن في استعماله إكراماً له، فقال له: «لا أُكرِمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزّهُم إذ أذلهم الله، ولا أُدنيهم إذ أقصاهم الله»[٢].

*** ضابط الصلاة خلف أهل البدع:**

إذا أمكن الإنسان أن لا يقدم مظهراً للمنكر في الإمامة وجب ذلك.

لكن إذا ولّاه غيره ولم يمكنه صرفه عن الإمامة، أو كان هو لا يتمكن من صرفه إلا بشر أعظم ضرراً من ضرر ما أظهر من المنكر، فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضررين بتحصيل أعظم الضررين.

فإن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، ومطلوبها ترجيح خير الخيرين إذا لم يكن أن يجتمعا جميعاً، ودفع شر الشرين إذا لم يندفعا جميعاً، فإذا لم يُمكِن منعُ المُظهِر للبدعة والفجور، إلا بضرر زائد على ضرر إمامته، لم يجز ذلك، بل يُصلى خلفه، مالا يمكن فعلها إلا خلفه كالجُمع والأعياد إذا لم يكن هناك إمام غيره.

ولهذا كان الصحابة يُصلّون خلف: الحجاج، والمختار بن أبي عبيد الثقفي وغيرهما

---

(١) أحكام أهل الذمة ١/ ٢٠٦ .

(٢) نقله ابن القيم في أحكام أهل الذمة ١/ ٢١١ .

الجمعة والجماعة ،فإن تفويت الجُمعة والجماعة أعظم إفساداً من الاقتداء فيهما بإمام فاجر، لا سيما إذا كان التخلّف عنهما لا يدفع فجوره، فيبقى ترك المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة(١).

***ضوابط هجر أهل البدع:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر قصة هجر النبي ﷺ لكعب وصاحبيه وأمر المسلمين بهجرهم، وأمر عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المسلمين بهجر صبيغ: «فلهذا ونحوه، رأى المسلمون أن يهجروا من ظهرت عليه علامات الزيّغ، من المظهِرين للبدع، الداعين إليها، والمظهرين للكبائر، فأما من كان مستِتراً بمعصية أو مُسرّاً لبدعة غير مكفِرة فإن هذا لا يُهجر، وإنما يُهجر الداعي إلى البدعة، إذ الهجر نوع من العقوبة، وإنما يُعاقب من أظهر المعصية قولًا أو عملًا»(٢).

وقال أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإن كان لا المهجور، ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشَّر والهاجر ضعيف، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته، لم يُشرع الهجر بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قوماً ويهجر آخرين كما أن الثلاثة الذين خُلِّفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفة قلوبهم، لما كان أولئك كانوا سادة مطاعين في عشائرهم فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم، وهؤلاء كانوا مؤمنين، والمؤمنون سواهم كثير فكان في هجرهم عزّ الدين وتطهيرهم من ذنوبهم، وهذا كما أن المشروع في العدو القتال تارة، والمهادنة تارة، وأخذ الجزية تارة، كل ذلك حسب الأحوال والمصالح»(٣).

كما أن فيه دليلًا على أن هجران الإمام، والعالِم والمطاع، لمن فعل ما يستوجب

(١) المسائل الماردينية، ص ٦٣ - ٦٤ .
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٤/ ١٧٤ - ١٧٥ .
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨/ ٢٠٦ .

العتب، ويكون هجرانه له، دواء بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء، ولا يزيد في الكمية والكيفية عليه فيهلكه، إذ المراد تأديبه لا إتلافه[١].

وهذا كله يتعلّق بالنظر في أحوال المبتدع نفسه.

وأما ما يتعلّق بالهاجر:

فأن يُراعي عند النظر في هجر أهل البدع، حال الهاجر لهم من حيث اتساع علمه ورسوخ قدمه في العلم، أو ضعفه وعدم تمكنه في العلم، بحيث يخشى عليه الافتتان بمجالسة أهل البدع، ومخالطتهم ،فإن لذلك أثره في تقرير مشروعية الهجر من عدمه.

فيُشرع للعالِم المتبحر في العلم الجلوس مع أهل البدع، إن تحققت بذلك مصلحة راجحة كدعوتهم للسنة، وتوضيح ما يُشكل عليهم فهمه[٢].

(فصل) الغلو في مسألة الهجر والتبديع:

وهذه المسألة (مع الأسف) قد انتشرت، خاصة في أوساط شباب الدعوة. وإليك كلام علماء السَّلف في القديم والحديث حول هذه المسألة:

١- قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بعد مناقشة أبي إسماعيل الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض مسائل التوبة: «ولا توجب هذه الزَلة من شيخ الإسلام إهدار محاسنه، وإساءة الظن به فَمَحله من العلم، والأمانة والمعرفة والتقدم في طريق السلوك، المحل الذي لا يُجهل، وكل أحد فمأخوذ من قوله ومتروك إلا المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، والكامل من عُد خطؤه»[٣].

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٢٠ .

(٢) موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ٢/ ٥٥٦ للشيخ الدكتور: إبراهيم بن عامر الرحيلي حفظه لله .

(٣) مدارج السالكين ١/ ١٩٨ .

٢- وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ :

ولو أنَّا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له، قمنا عليه وبدَّعناه وهجرناه، لما سَلِمَ معنا لا ابنُ نصر[١] لا ابنُ مندة[٢]ولا من هو أكبر منهما والله هو هادي الخلق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة[٣].

٣ - قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ - شارح الطحاوية -: «وهذا أمر متيقّن به من طوائف كثيرة، وأئمة في العلم والدين، وفيهم بعض مقالات الجهمية، أو المرجئة أو القدرية أو الشيعة أو الخوارج، ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة، بل بفرع من فروعها، ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السّلف المشاهير»[٤].

أقوال بعض من علماء السلف المعاصرين:

١- قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ[٥]:

شاع في هذا العصر أن كثيراً من المنتسبين إلى العلم، والدعوة إلى الخير، يقعون في أعراض كثير من إخوانهم الدعاة المشهورين، ويتكلمون في أعراض طلبة العلم والدعاة والمحاضرين.

يفعلون ذلك سِّراً في مجالسهم، ورُبَّما سجّلوه في أشرطة تُنشر على الناس، وقد يفعلونه علانية في محاضرات عامة في المساجد، وهذا المسلك مُخالف لما أمر الله

---

(١) هو الإمام الحافظ محمد بن نصر المروزي قال عنه الحاكم: إمام عصره بلا مدافعة في الحديث، سمع من يحيى التميمي، وإسحاق بن راهويه، وابن أبي شيبة وغيرهم، وقد غلط في مسالة اللفظ بالقرآن ومسألة الإيمان.

(٢) ابن منّدة :

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٠ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٤٣٩ .

(٥) نُشر في الصحف اليومية السعودية: الجزيرة والرياض والشرق الأوسط يوم السبت (٢٢/ ٦/ ١٤١٢) هـ .

به ورسوله من جهات عديدة منها:

أولًا: أنّه تَعدٍّ على حقوق الناس من المسلمين، بل من خاصّة الناس من طلبة العلم والدعاة الذين بذلوا وسعهم في توعية الناس وإرشادهم وتصحيح عقائدهم ومناهجهم، واجتهدوا في تنظيم الدروس والمحاضرات وتأليف الكتب النافعة.

ثانياً: أنّه تفريق لوحدة المسلمين وتمزيق لصفِّهم، وهم أحوج ما يكونون إلى الوحدة والبُعد عن الشتات والفُرقة، وكثرة القيل والقال فيما بينهم، خاصَّة وأن الدُعاة الذين نيل منهم من أهل السنة والجماعة، المعروفين بمحاربة البدع والخرافات والوقوف في وجه الداعية إليها، وكشف خططهم وألاعيبهم.

ولا نرى مصلحة في مثل هذا العمل إلا للأعداء المتربصين من أهل الكفر والنفاق أو من أهل البدع والضلال.

ثالثاً: أنّ هذا العمل فيه مظاهرة ومعاونة للمغرضين من العلمانيين والمستغربين وغيرهم من الملاحدة، الذين اشتُهر عنهم الوقيعة في الدعاة والكذب عليهم والتحريض ضدهم فيما كتبوه وسجّلوه، وليس من حق الأخوَّة الإسلامية أن يعُين هؤلاء المتعجلون أعداءهم على إخوانهم من طلبة العلم والدعاة وغيرهم.

رابعاً: إنَّ في ذلك إفساداً لقلوب العّامة والخاصَّة، ونشراً وترويجاً للأكاذيب والإشاعات الباطلة، وسبباً في كثرة الغيبة والنميمة، وفتح أبواب الشر على مصاريعها لضعاف النفوس، الذين يدأبون على بث الشُبه وإثارة الفتن ويحرصون على إيذاء المؤمنين بغير ما اكتسبوا.

خامساً: إن كثيراً من الكلام الذي قيل لا حقيقة له، وإنَّما هو من التَوهُمات، التي زيَّنها الشيطان لأصحابها وأغراهم بها، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات: ١٢].

والمؤمن ينبغي أن يحمل كلام أخيه المسلم على أحسن المحامل، وقد قال بعض السّلف: (لا تظنَّ بكلمة خرجت من أخيك سوءَ، وأنت تجدُ لها في الخير محملًا).

سادساً: وما وُجِدَ من اجتهاد لبعض العلماء وطلبة العلم فيما يسوغ فيه الاجتهاد فإنَّ صاحبه لا يؤاخذ به، ولا يُثرَّب عليه، إذا كان أهلًا للاجتهاد، فإذا خالفه غيره في ذلك كان الأجدر أن يجادله بالتي هي أحسن، حرصاً على الوصول إلى الحقِّ من أقرب طريق، ودفعاً لوساوس الشيطان وتحريشه بين المؤمنين، فإن لم يتيسر ذلك ورأى أحد أنّه لا بدَّ من بيان المخالفة، فيكون ذلك بأحسن عبارة وألطف إشارة دون تَهجُّم أو تجريح أو شطط في القول، قد يدعو إلى رد الحق أو الإعراض عنه ودون تعرُّض للأشخاص، أو اتهام للنيَّات، أو زيادة في الكلام لا مسوغ لها، وقد كان الرسول ﷺ يقول في مثل هذه الأمور: (ما بال أقوام قالوا كذا كذا)[1].

وقال شيخنا الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في شريط مُسجَّل ينصح فيه بعض الشباب»[2]:

إنَّما عليكم بالعلم، فالعلم هو الذي يكشف هل هذا الكلام في ذمِّ زيد من الناس لأنَّ له أخطاء كثيرة، وهل يحق لنا أن نُسمّيه صاحب بدعة أو هو مبتدع، ما لنا ولهذه التعمقات، أنا لا أنصح بأن تتعمقوا كل هذه التعمقات، لأنَّ الحقيقة نحن نشكو الآن هذه الفُرقة التي طرأت على المنتسبين لدعوة الكتاب والسنة أو كما نقول نحن (الدعوة السَّلفية)، هذه الفُرقة والله أعلم السبب الأكبر فيها هو حظ النفس الأمّارة بالسوء، وليس هو الخلاف في بعض الآراء الفكرية.

فنحن نجد في أئمة الحديث من يتقبلون حديثه، ويقال في روايته: أنّه خارجي، أو مرجئ... الخ، وهذه كلها ضلالات، لكن يوجد عند هؤلاء ميزان يتمسّكون به ولا يُرجحون لِخفّة سيئة على الحسنات، أو سيئتين أو ثلاثاً على جملة حسنات ومن أعظمها شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله.

---

(١) إشارة إلى الحديث الذي روته السيدة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا حيث قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل ما بال فلان يقول، ولكن يقول: (ما بال أقوام يقولون كذا كذا) صحيح أبي داود باب الإذن والاستئذان وفي السلسلة الصحيحة رقم: (٢٠٦٤)».

(٢) سلسلة الهدى والنور الصوتية رقم (٧٨٤) الوجه الأول.

وقال أيضاً[١]: «. . . إنني في بعض الأحيان قد يَبدُر منّي أثناء حديثي عبارات في أشخاص أو كلمات في أعيانٍ أو هيئاتٍ، ما قلتها إلا غيرةً على الدِّين، واهتماماً بأحكامه، لا تحريضاً على أحد ولا إثارة لأحقاد.

وليس هذا غريباً من أمثالنا نحن الخلف، المُحاطين بظلمات من الفتن، فقد صدر نحوها أو مثلها أو ما هو أقسى منها من الرسول ﷺ أو بعض الصحابة، مثل قول أحدهم للرسول ﷺ: «ما شاء الله وشئت يا رسول الله»، فقال له ﷺ: «أجعلتني لله ندا»[٢] وقوله ﷺ لذلك الخطيب الذي قال: «من يُطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى»، فقال له ﷺ: «بئس خطيبُ القوم أنت»[٣].

ولكِنّا قد ابتُلينا في العصر الحاضر، بأُناس يتتبعون العثرات والمتشابهات، ويُعرضون عن المُحكمات الواضحات المُؤكَّدات، لما قلنا بقصد إيقاع الفتنة بين الإخوة المؤمنين أو بينهم وبين بعض أولياء الأمور، ولذلك فقد رأينا أن نُعدِّل بعض الكلمات التي تبيَّن لنا بعد دراسة محتويات كثير من الأشرطة المنسوخة، أنَّه من ذاك القبيل، وأنّ الأولى عدم النطق بها، ثم ليمُت المفسدون في الأرض غيظاً، أولئك الذين قال الله في حق أمثالهم: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢].

وقال نبينا محمد ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبَه ! لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته ومن

---

(١) مقدمة مجموع فتاويه (١/ ٥) بإملائه نقلا من كتاب (أهل الإفك والبهتان الصادون عن السنة والقرآن) للشيخ المغراوي حفظه الله .

(٢) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الكفارات عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ : «إذا حلف أحدكم فلا يقل ما شاء الله وشئت، ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت).

(٣) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم (كتاب الجمعة)، عن عدي بن حاتم أن رجلًا خطب عند النبي ﷺ فقال : «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى».

تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته»[١].

وفي رواية: «ولو في جوف رحلِه».

*قال الشيخ محمد الصالح بن العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

إن بعض من انتهج السَّلفية في عصرنا هذا، صار يُضلِّل كل من خالفه، ولو كان الحق معه، واتَّخذها بعضهم منهجاً حزبياً، كمنهج الأحزاب الأخرى التي تنتسب إلى الإسلام.

وهذا هو الذي يُنكر ولا يُمكن إقراره، ويقال: انظروا إلى مذهب السَّلف الصالح ماذا كانوا يفعلون في طريقتهم، وفي سعة صدورهم في الخلاف الذي يسوغ فيه الاجتهاد، حتى إنهم كانوا يختلفون في مسائل كبيرة، في مسائل عقدية، وفي مسائل علميَّة، فتجد بعضهم - مثلًا- يُنكر أن الرسول ﷺ رأى ربَّه، وبعضهم يقول بذلك، وبعضهم يقول: «إن الذي يُوزن يوم القيامة هي الأعمال، وبعضهم يرى أنّ صحائف الأعمال هي التي توزن، وتراهم - أيضاً - في مسائل الفقه يختلفون: في النكاح، في الفرائض، في العِدَد، في البيوع، وفي غيرها، ومع ذلك لا يُضلِّل بعضهم بعضا».

فالسّلفية بمعنى: أن تكون حزباً خاصاً له مميزاته، ويُضلِّل أفراده سواهم: فهؤلاء ليسوا من السلّفية في شيء.

وأما السَّلفية: التي هي اتباع منهج السَّلف عقيدةً، وقولًا، وعملًا، واختلافاً واتفاقاً، وتراحماً، وتواداً، كما قال النبي ﷺ: «مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالحمَّى والسهر»[٢].
فهذه هي السّلفية الحقَّة.

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود كتاب الأدب. عن أبي برزة الأسلمي وصححه الألباني الجامع ٧٨٦١.
(٢) أخرجه الإمام مسلم كتاب البر والصلة والأدب.

*قال العلامة عبد المحسن بن حمد العباد البدر حفظه الله:

حصل في هذا الزمان انشغال بعض أهل السنة ببعض تجريحاً وتحذيراً، وترتب على ذلك التّفرُّق والاختلاف والتهاجر، وكان اللائق، بل المتعيّن التواد والتراحم بينهم، ووقوفهم صفاً واحداً في وجه أهل البدع والأهواء المخالفين لأهل السنة والجماعة، ويرجع ذلك إلى سببين:

أحدهما: أنَّ مِن أهل السنة في هذا العصر، من يكون ديدَنُه وشغلُه الشاغل تتبُّع الأخطاء والبحث عنها، سواء كانت في المؤلفات أو الأشرطة، ثم التحذير مِمَّن حصل منه شيءٌ من هذه الأخطاء، ومن هذه الأخطاء التي يُخرَّج بها الشخص ويُحذَّر منه بسببها: تعاونه مثلًا مع إحدى الجمعيات بإلقاء المحاضرات أو المشاركة في الندوات، وهذه الجمعية قد كان الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد بن عثيمين رحمهما الله يُلقيان عليها المحاضرات عن طريق الهاتف.

ويُعاب عليها (الجمعية) دخولها في أمر قد أفتاها به هذان العالمان الجليلان، واتِّهام المرء رأيه أولى من اتِّهامه رأي غيره، ولا سَّيما إذا كان رأياً أفتى به كبار العلماء وكان بعضُ أصحاب النبي ﷺ بعدما جرى في صلح الحُديبية يقول: «يا أيها الناس ! اتِّهموا الرأي في الدِّين».

ومِن المجروحين من يكون نفعه عظيماً، سواء عن طريق الدروس أو التأليف أو الخُطب، ويُحذَّر منه، لكونه لا يُعرف عنه الكلام في فلان أو الجماعة الفلانية مثلًا بل لقد وصل التجريح والتحذير إلى البقيَّة الباقية في بعض الدول العربية، مِمَّن نفعهم عميم وجهودهم عظيمة في إظهار السنَّة ونشرها.

والدعوة إليها، ولا شك أنَّ التَّحذير من مثل هؤلاء فيه قطع الطريق بين طلبة العلم ومن يُمكنهم الاستفادة منهم علماً وخلقاً.

والثاني: أنَّ مِن أهل السنَّة مَن إذا رأى أخطاء لأحد من أهل السنة كتب في الردِّ عليه، ثم إنَّ المردود عليه يُقابل الردَّ بردٍّ، ثم يشتغل كلٌّ منهما بقراءة ما للآخر من

كتابات قديمة أو حديثة والسّماع لِمَا كان له من أشراطة كذلك؛ لالتقاط الأخطاء وتصيُّد المثالب؛ وقد يكون بعضُها من قبيل سبق اللسان، ويتولَّى ذلك بنفسه، أو يقوم له غيرهُ به، ثم يسعى كلٌّ منهما إلى الاستكثار من المؤيِّدين له المُدينين للآخر ثم يجتهد المؤيِّدون لكلٍّ واحد منهما بالإشادة بقول من يؤيِّده، وذمّ غيره وإلزام من يلقاه بأن يكون له موقف مِمَّن لا يؤيده، فإن لم يفعل بدَّعه تبعاً لتبديع الطرف الآخر، وأتبع ذلك بهجره، وعملُ هؤلاء المؤيِّدين لأحد الطرفين الذامِّين للطرف الآخر من أعظم الأسباب في إظهار الفتنة ونشرها على نطاق واسع، ويزداد الأمر سوءً إذا قام كلّ من الطرفين والمؤيِّدين لهما بنشر ما يُذمُّ به الآخر في شبكة المعلومات (الإنترنت)، ثم ينشغل الشباب من أهل السنة في مختلف البلاد بل في القارات بمتابعة الاطلاع على ما يُنشر بالمواقع التي تنتشر لهؤلاء وهؤلاء من القيل والقال الذي لا يأتي بخير، وإنِّما يأتي بالضرر والتفرُّق، مِمَّا جعل هؤلاء وهؤلاء المؤيِّدين لكل من الطرفين يشبهون المتردِّدين على لوحات الإعلانات للوقوف على ما يجدُ نشره فيها، ويُشبهون أيضاً المفتونين بالأندية الرياضية الذين يُشجِّع كلٌّ منهم فريقاً، فيحصل بينهم الخصام والوحشة والتنازع نتيجة لذلك[(١)].

* **ويقول العلَّامة الشيخ بكر أبو زيد - حفظه الله -[(٢)]**

وهذا الانشقاق في صف أهل السنَّة لأول مرة - حسبما نعلم - يُوجدُ في المنتسبين إليهم من يشاقُّهم، ويُجنِّد نفسه لمُثافنتهم[(٣)]، ويتوسَّد ذراع الهمَّ لإطفاء جذوتهم والوقوف في طريق دعوتهم، وإطلاق العنان للسان يفري[(٤)] في أعراض الدعاة ويلقي في طريقهم العوائق في عصبية طائشة، فلو رأيتهم. ! مساكين يُرثى لحالهم وضياعهم وهم يتواثبون ويقفزون، والله أعلم بما يوعون، لأدركت فيهم الخفَّة

---

(١) رسالة: رفقاً أهل السنَّة بأهل السنَّة ٤٤ - ٤٧ .
(٢) كتاب (تصنيف الناس بين الظن واليقين) للشيخ بكر أبو زيد - حفظه الله وعافاه- (ص ٤٠، ٤١) الطبعة الأولى دار العاصمة عام ١٤١٤ هـ .
(٣) لمُثافنتهم: لملازمتهم حتى يعرف بواطن أمورهم. (الوسيط).
(٤) يفري: يدعي كذباً.

والطّيش في أحلام طير، وهذا شأن من يَخفُقُ على غير قاعدة، ولو حاججت الواحد منهم لما رأيت عنده إلا قطعةً من الحماس يتدثر بها على غير بصيرة، فيصل إلى عقول السُذَّج من باب هذه الظاهرة: الغيرة، نصرة السُنَّة، وحدة الأمَّة، وهم أوّل من يضع رأس المعول لهدمها، وتمزيق شملها.

***قال الشيخ العلَّامة صالح الفوزان - حفظه الله -**

وقد سُئل الشيخ: ما رأي فضيلتكم في ذلك التراشق المكتوب والمسموع الذي حدث بين بعض العلماء ؟ ألا ترون أن جلوسهم للحوار كان أجدى ؟

وأنَّ ذلك ربَّما أفسد مشاريعهم الإسلاميَّة؟[١]

فأجاب الشيخ: العلماء المعتبرون لم يحصل بينهم شيء مما ذُكر في السؤال، وإنَّما الذي يُمكن حدوثه من ذلك هو بين بعض المتعلمين والشباب المتحمس، ونسأل الله لهم الهداية والتوفيق، وندعوهم إلى ترك هذا العمل المشين، والتآخي فيما بينهم على البر والتقوى، والرجوع إلى أهل العلم فيما أشكل من الحق، ليستبين لهم طريق الصواب.

وفي سؤال آخر: فضيلة الشيخ ! هل من نصيحة للشباب الذي ترك تعلُّم العلم الشرعي والدعوة إلى الله وأخذ يخوض في الخلاف بين العلماء بلا علم ولا بصيرة ؟[٢]

فأجاب: أنا أوصي جميع إخواني وخاصَّةً الشباب وطلبة العلم، أن يشتغلوا بطلب العلم الصحيح، سواء كانوا في المساجد أو في المدارس أو في المعاهد أو في الكليَّات، أن يشتغلوا بدروسهم وبمصالحهم، ويتركوا الخوض في هذه الأمور، لأنها لا تأتي بخير وليس من المصلحة الدخول فيها وإضاعة الوقت فيها وتشويش الأفكار.

---

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة، للشيخ صالح الفوزان (٣/ ٥٧).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٣٣٢).

هذه من المعوِّقات عن العمل الصالح، ومن الوقوع في الأعراض والتحريش بين المسلمين.

فعلى المسلمين عموماً، وعلى الطُلاب خصوصاً أن يتركوا هذه الأمور، ويسعوا بالإصلاح مهما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

ومن رأيتم عليه خطأ فعليكم بمناصحته وبيان خطئه فيما بينكم وبينه، وطلب رجوعه إلى الصواب وهذا مقتضى النصيحة.

وقال حفظه الله في محاضرة [ظاهرة التّبديع والتّفسيق والتكفير وضوابطها]:

ولهذا يجب على شباب المسلمين، وطلّاب العلم أن يتعلموا العلم النافع من مصادره وعلى أهله المعروفين به، ثم بعد ذلك يعلمون كيف يتكلمون، وكيف يُنزلون الأمور منازلها، لأن أهل السنَّة والجماعة قديماً وحديثاً قد حفظوا ألسنتهم فلم يتكلموا إلا بعلم[١].

❋ ❋ ❋

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة للشيخ صالح الفوزان ٣/ ٣٩١.

المبحث السادس:
طلب العلم النافع

إن من أهم أصول الدعوة السَّلفية: العناية بطلب العلم الشرعي وتعليمه، لأن ذلك من الواجبات الشرعية والأُسس الدعوية، وقد جاء في ذلك أدلة كثيرة منها:

من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. قال ابن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعموم هذه الآية، فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه: العلم بكتاب الله المنزَّل»[(١)].

قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «العالِم بالرحمن من عباده، من لم يُشرك به شيئاً، وأحلّ حلاله وحرَّم حرامه، وحفِظ وصَّيته، وأيقن أنه ملاقيه، ومحاسب بعمله»[(٢)].

من السنة:

عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[(٣)].

وعن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين»[(٤)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤/٢٠٦ .
(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٥٣ .
(٣) رواه ابن ماجه ١/ ٤٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع .٣٨٠٨
(٤) متفق عليه البخاري رقم: ٦٩ ومسلم برقم: .١٧٢١

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقا يُطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورّثوا العِلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[١].

من أقوال السّلف:

١- عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «تفقّهوا قبل أن تسودوا»[٢].

أي تعلّموا العِلم ما دمتم صغاراً قبل أن تصيروا سادة.

٢- وقال عبد الله بن مسعود ﷺ : «أغدُ عالماً أو متعلماً ولا تغد إمّعة بين ذلك»[٣].

٣- وعن علي بن أبي طالب ﷺ ، قال: «إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها للخير والناس ثلاثة: فعالم ربّاني، ومتعلِّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق»[٤].

مراتب العلم

وللعلم ست مراتب:

أولها: حسن السؤال، الثانية: حسن الإنصات والاستماع، الثالثة: حسن الفهم

---

(١) رواه أصحاب السنن إلا النسائي رواه أحمد ٢/ ٢٥٢، ٣٢٥، ٤٠٧ وأبو داود كتاب العلم، و الترمذي كتاب القرآن ١٠ وعلم ١٩ وابن ماجه مقدم ١٧ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦١٧٣ .

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم ١/ ١٦٥ والدارمي وابن عبد البر وغيرهم .

(٣) جامع بيان العلم وفضله لأبن عبد البر ١/ ٢٩.

(٤) جامع بيان العلم وفضله لأبن عبد البر ١/ ٢٩ والاعتصام للشاطبي ٢/ ٣٥٨ .

الرابعة: الحفظ الخامسة: التعليم، السادسة: العمل به، ومراعاة حدوده، فمِن الناس من يُحرمه لعدم حسن سؤاله، إما لأنه لا يسأل بحال، أو يسأل عن شيء وغيره أهم إليه مِنه، كمن يسأل عن فضوله، التي لا يضر جهله بها، ويدع مالا غِنى له عن معرفته، وهذه حال كثير من الجهّال المتعلمين، ومن الناس من يُحرمه لسوء إنصاته فيكون الكلام والممارات آثر عنده وأحبّ إليه من الإنصات، وهذه آفة كامنة في أكثر النفوس الطالبة للعلم ،وهي تمنعهم علماً كثيراً ،ولو كان حسن الفهم.

ذكر عبد الله بن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب العِلل له، قال: كان عروة بن الزبير يحب مماراة ابن عباس، فكان يخزن عِلمه عنه، وكان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة يلطف له في السؤال فيعزّه بالعِلم عزاً.

وقال ابن جريج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم أستخرج العِلم الذي استخرجتُ من عطاء إلا بِرفقي به». وقال بعض السَّلف: إذا جالست العالِم، فكُن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]. فتأمل ما تحت هذه الألفاظ من كنوز العِلم وكيف تفتح مراعاتها للعبد أبواب العِلم والهدى، وكيف ينغلق باب العلم عنه من إهمالها وعدم مراعاتها[١].

*** انقسام العِلم إلى نافع وغير نافع:**

قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان، انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفعُ به، أو ولد صالح يدعو له»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «اللّهم انفعني بما علّمتني، وعلّمني ما ينفعني وزدني علماً»[٣]

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/ ٢٤- ٢٥ .

(٢) رواه مسلم ٣٠٨٤ وأحمد ٨٤٨٩ وغيرهما .

(٣) الترمذي ٣٥٢٣ صحيح سنن ابن ماجه وحسنه وابن ماجه ١/ ٤٧ وصححه الألباني (وصحيح سنن الترمذي ٣/ ١٨٥ رقم: ٢٨٤٥).

وقال ﷺ: «اللَّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يُستجاب لها»(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والعلم ما قام عليه الدّليل، والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ»(٢) وقال أيضاً: «والخير والسعادة والكمال والصلاح منحصر في نوعين: في العلم النافع، والعمل الصالح، وقد بعث الله محمداً بأفضل ذلك، وهو الهدى ودين الحق»(٣).

*** العلم النافع هو ما وافق الحق:**

والحق هو ما دلَّت عليه نصوص الكتاب والسّنة وإجماع السَّلف.

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧].

*** من ثمرات العلم:**

اليقين بالآخرة: أنه لو لم يكن من فوائد العلم إلا أنه يثمر اليقين، الذي هو أعظم حياة للقلب، وبه طمأنينته وقوته، ونشاطه وسائر لوازم الحياة(٤)، ولهذا مدح الله سبحانه أهله في كتابه وأثنى عليهم بقوله: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] وقوله تعالى في حق خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]. وذمّ من لا يقين عنده فقال: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢](٥).

---

(١) رواه مسلم ٢٧٢٢ وأحمد برقم: ١٣٥١٢ .
(٢) مجموع الفتاوى ١٣/ ١٣٦ .
(٣) المصدر السابق ١٩/ ١٦٩ .
(٤) لأصبح من الواجب علينا طلبه والسّعي إليه.
(٥) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/ ٤ .

وهو أن يتيقّن ويجزم جزما لا شك فيه، بأن له داراً غير هذه الدار ومعاداً له خُلق وإن هذه الدار طريق إلى ذلك المعاد، ومنزل من منازل السائرين إليه ويعلم مع ذلك أنها باقية ونعيمها أو عذابها لا يزول ،ولا نسبة لهذا النّعيم والعذاب العاجل إلا كما يدخل الرّجل إصبعه في اليمّ ثم ينزعها ،فالذي تعلّق بها منه هو كالدنيا بالنسبة إلى الآخرة، فيثمر له هذا العلم إيثار الآخرة وطلبها والاستعداد التام لها وأن يسعى لها سعيها وهذا يُسمّى: تفكراً وتذكراً، ونظراً وتأملًا واعتباراً وتدبراً واستبصاراً وهذه معان متقاربة، تجتمع في شيء وتتفرق في آخر، ويُسمّى تفكرا لأنه استعمال الفكرة في ذلك وإحضاره عنده ويُسمّى تذكرا، لأنه احضار للعلم الذي يجب مراعاته بعد ذهوله وغيبته عنه ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١](١).

طلب العلم أفضل من النوافل:

قال ابن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنت عند مالك بن أنس، فحانت صلاة الظهر أو العصر وأنا أقرأ عليه وأنظر في العِلم بين يديه، فجمعتُ كُتبي وقمت لأركع، فقال لي مالك: «ما هذا ؟» فقلت: «أقوم إلى الصلاة» فقال: «إن هذا لعجب ! ما الذي قمت إليه أفضل من الذي كنت فيه، إذا صحّت فيه النّية».

وقال الربيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سمعت الشافعي يقول: «طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة». وقال سفيان الثوري: «ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت فيه النّية».

وقال رجل للمعافي بن عمران: «أيّما أحبّ إليك الليل أقوم أُصلي كله، أو أكتب الحديث ؟ فقال: حديث تكتبه أحبّ إليّ من قيامك من أول الليل إلى آخره». وقال أيضا: «كتابة حديث واحد أحبّ إليّ من قيام ليلة».

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «تذاكر العلم بعض ليلة، أحبّ إليّ من إحيائها».

وفي مسائل إسحاق بن منصور قلت لأحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تذاكر العِلم

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/ ٤٣ .

بعض ليلة أحبّ إليّ من إحيائها، أي علم أراد ؟

قال: «هو العلم الذي ينتفع به الناس في أمر دينهم»، قلت: في الوضوء والصلاة والصوم، والحج، والطلاق ونحو هذا ؟ قال: نعم، قال إسحق[١]، وقال لي إسحق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو كما قال أحمد وقال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لأن أجلس ساعة فأتفقّه في ديني أحبّ إلي من إحياء ليلة إلى الصباح»[٢].

***انقسام طلب العِلم إلى فرض عين، وفرض كفاية**

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وطلب العلم الشرعي فرض على الكفاية، إلا فيما يتعيّن مثل طلب كل واحد علم ما أمره به ونهاه عنه، فإن هذا فرض على الأعيان»[٣]. والعمل الصالح هو ثمرة العلم النافع، وهو نتيجة لازمة له، ولا خير في عِلم لا يعمل صاحبه بمقتضاه، ولا يتأثر سلوكه بما دلّ عليه، وهذا نبي الله شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

*** فضل علم السَّلف على علم الخلف**

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعلم النافع من هذه العلوم كلها، ضبط لنصوص الكتاب والسنة، وفهم معانيها والتقيّد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وما ورد عنهم من كلام في مسائل الحلال والحرام والرقائق والمعارف، وغير ذلك. والاجتهاد والوقوف على معانيه وتفهّمه ثانياً، وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغُل لمن بالعلم النافع عني واشتغل، ومن وقف على هذا أو أخلص القصد فيه لوجه الله عزّ وجلّ واستعان عليه، أعانه وهداه ووفّقه وسدّده وفهّمه، وحينئذ يُثمر له هذا العلم ثمرته الخاصة به، وهو خشية الله»[٤].

---

(١) إسحاق بن منصور.
(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٣٧ .
(٣) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٨٠ .
(٤) فضل علم السلف على علم الخلف ص ٤٥ .

*** بعض الوسائل التي تُعين على الوصول إلى الحق**

١- تقوى الله عزّ وجلّ مع الإخلاص والتجرد إليه:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩].

قال ابن عباس رضي الله عنه والسدي ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان وغير واحد﴿فُرۡقَانٗا﴾ مخرجاً، زاد مجاهد: «في الدنيا والآخرة وفي رواية عن ابن عباس ﴿فُرۡقَانٗا﴾ أي: نجاة، وفي رواية عنه: نصراً وقال محمد بن إسحق ﴿فُرۡقَانٗا﴾ أي: فصلًا بين الحق والباطل، وهذا التفسير من ابن اسحق أعمّ مما تقدم وهو يستلزم ذلك كله، فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره، وُفق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا وسعادته يوم القيامة وتكفير ذنوبه وهو محوها وغفرها سترها، عن الناس وسبباً لنيل ثواب الله الجزيل كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحديد: ٢٨].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ومثلها هذه الآية:﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢][١].

٢- الدعاء واللِّجوء إلى الله عزّ وجلّ والافتقار إليه:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللّهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اخُتلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[٢].

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٢٢٧ . طبعة جمعية إحياء التراث الإسلامية.

(٢) رواه أحمد ٢٤٠٦٨ وأبو داود ٦٥٣ والحاكم وحسنه الألباني صحيح سنن أبي داود ص١٢٣ رقم ٧٦٧ .

٣- تدبّر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا افتقر العبد إلى الله ودعاه، وأدمن النظر في كلام الله وكلام رسوله ﷺ وكلام الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين انفتح له طريق الهدى»[١].

٤- اتّباع سبيل سلف الأمة:

وعن سلف هذه الأمة قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يُذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم، وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوماً، وإذا تنازعوا لا يخرج عنهم»[٢].

٥- الصحبة الطيبة الصالحة:

قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

وقال رسول الله ﷺ: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[٣].

وقال عبد الله بن شوذب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنّ من نعمة الله على الشاب إذا تنسّك، أن يؤاخي صاحب سنة، يحمله عليها»[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٤ .
(٢) مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٤ .
(٣) رواه أبو داود في الأدب ٤١٩٣ ورواه أحمد باقي مسند المكثرين ٧٦٨٥ والترمذي ٢٣٠٠ .
(٤) رواه ابن بطة في (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية - واللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة).

وعن عمر بن قيس الملائي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارجه، وإذا رأيته مع أهل البدع فايئس منه، فإن الشاب على أول ما يُنشّأ»[١].

ويُحمل هذا على الغالب، وإلا فقد ينشأ الشاب مع أهل البدع، ثم يتبين له الحق فيتوب ويرجع إلى الطريق الصحيح.

* * *

---

(١) رواه ابن بطة في (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية - واللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) .

المبحث السابع:
التّصفية والتربية

أولًا: المقصود بالتّصفية: هي تنقية الإسلام من كل ما دخله من شوائب.

والسّبيل إلى ذلك تصفية السنة مما دخلها من حديث موضوع وضعيف، ثم تفسير القرآن على ضوء هذه السنة الصحيحة، وما كان عليه السّلف الصالح من تصورات ومفهومات وتتناول التصفية ما وصل إلينا من العلوم الإسلامية، والأفكار الإسلامية فنستبعد منها كل ما يخالف المنهج السليم، وكذلك تتناول تصفية الفكر الإسلامي من الشوائب الدخيلة التي تسللت إلى أفكار المسلمين المعاصرين عن طريق الدراسات الغربية، وبصورة خاصة الفلسفة، وعلوم التربية والفنون مما يتسع المجال فيه لدس كثير من السموم المفسدة للفكر الإسلامي[١].

ثانياً: المقصود بالتربية: هي تنشئة الجيل الناشئ على هذا الإسلام، وخاصة العقيدة الإسلامية الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة.

ولقد قال ربُّنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]. «والربّاني: هو الذي يُربي الناس بمنهج الله، ويتدرّج بهم حتى يصل بهم إلى المستوى الرفيع الذي يريده الله»[٢].

ولقد فسَّر بعض أهل العلم الآية الكريمة بقولهم: «هم الذي يُربّون الناس بصغار العلم قبل كباره»[٣]، أي: تربية الناس على العلم الصحيح المُصفَّى - الذي ليس فيه غَبَشٌ أو دخنٌ - بدقيق المسائل قبل جليلها.

هكذا كان منهاج رسول الله ﷺ مع صحابته عند فجر الدعوة، إذ جاءهم في بيئة

---

(١) علماء ومفكرون معاصرون/ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني. تأليف إبراهيم العلي
(٢) معالم الشخصية الإسلامية (ص ٣٠) للشيخ عمر سليمان الأشقر.
(٣) صحيح البخاري (١/ ١٦٢).

كثرت فيها المفاسد والفتن والشوائب، فبوحيٍ من الله له بدأ بتصفيتها وتنقيتها حتى غدت كما قال ﷺ: «قد تركتم على البيضاء: ليّلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك...»[١].

إن تربية الإنسان، هي من أصعب الأمور، وأعقدها، إنها ليست كالصناعة المادية..

إن التربية الإنسانية الفعلية بطيئة، بطء النّمو الجسماني، فتربية الأفكار والعقائد وآداب السلوك تحتاج من الزمن ما يحتاجه النمو الجسماني.. أننا نحتاج لنُعيد الأمة إلى الجادة الحق، وصراط الله إلى عددٍ من السنين، يناسب الوقت الذي في مثله يتربى الجيل[٢].

مجالات التصفية:

ومجالات التصفية كثيرة فهي تتناول جميع العلوم ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أولًا: تصفية العقيدة

وهي التي وصلتنا من طريق الوحيين الشريفين نقية من الخرافة؛ خالصةً من الشوائب بعيدة عن أباطيل الشِّرك، سالمة من هُوَّة التأويل.

ولكن.. لمّا ابتعد الناس عن سلوك سبيل نهج أهل الحديث في فهم الكتاب والسنة وقعوا - دونما وعي - بالشرك وأوحاله، وتحريف الصفات الإلهية وتأويلها وصرفها عن حقيقتها اللغوية اللائقة بذات الله سبحانه وتعالى[٣].

وأصبحت منكرات الأفكار العقائدية - عند أهل الحديث والسنة - مسلَّمات بدَهيّات

---

(١) رواه ابن ماجة (٤٣) وأحمد (٤/ ١٢٦) والحاكم (١/ ٩٦) بسند صحيح عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٢) العقبات التي تعترض بناء الأمة الإسلامية ص ٣٩ للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق.

(٣) انظر (عقيدتنا قبل الخلاف وبعده في ضوء الكتاب والسنة) بقلم علي عبد الحميد الأثري مشاركة مع الأستاذ محمد إبراهيم شقرة.

عند متأخري الخلَفَ[1].

وذلك مثل التوسل بجاه النبي ﷺ حيث ينسبون إلى النبي ﷺ أنه قال:

١- (توسّلوا بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم)[2].

وقد نّص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في (القاعدة الجليلة): «ومما لا شك فيه أن جاهه ﷺ ومقامه عند الله عظيم، فقد وصف الله تعالى موسى بقوله: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، ومن المعلوم أن نبينا محمداً ﷺ أفضل من موسى، فهو بلا شك أوجه منه عند ربه سبحانه وتعالى، ولكن هذا شيء والتوسل بجاهه ﷺ شيء آخر؛ فلا يليق الخلط بينهما كما يفعل البعض، إذ إن التوسل بجاهه ﷺ يُقصد به من يفعله أنه أرجى لقبول دعائه، وهذا أمر لا يمكن معرفته بالعقل، إذ إنه من الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل في إدراكها، فلا بد من النقل الصحيح الذي تقوم به الحجة وهذا مما لا سبيل إليه البتّة، فإن الأحاديث الواردة في التوسل به ﷺ تنقسم إلى قسمين: صحيح وضعيف، أما الصحيح فلا دليل فيه البتّة على المدعى: مثل توسلهم به ﷺ في الاستسقاء، وتوسل الأعمى به ﷺ فإنه توسل بدعائه ﷺ لا بجاهه ولا بذاته ﷺ ولما كان التوسل بدعائه ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى غير ممكن كان بالتالي التوسل به ﷺ بعد وفاته غير ممكن وغير جائز.

٢- (لما اقترف آدم الخطيئة، قال: «يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي»، فقال الله: «يا آدم! وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه»؟ قال: «يا رب لمّا خلقتني بيدك، ونفخت فيَّ من روحك، رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك»، فقال الله: «صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي، ادعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك»[3].

---

(١) التصفية والتربية للشيخ علي حسن الحلبي حفظه الله (١٣).

(٢) قال الألباني: لا أصل له راجع السلسلة الضعيفة للألباني (١/ ٣٠/رقم الحديث ٢٢).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٦١٥) وابن عساكر(-٢/ ٣٢٣/ ٢) والبيهقي. انظر السلسلة الضعيفة للألباني (١/ ٣٨/رقم الحديث ٢٥). وقال الألباني: حديث موضوع.

وهذا مصادم لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ثانياً: تصفية السنة:

«وهي من أوسع المجالات التي تحتاج إلى تصفية، ولا يخفى ما لانتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة في أوساط الناس من أثر سيئ، وهذه هي بعض المجالات التي كان يخوضها عُلماءُ الحديث والأثر تأليفاً فيها ودراسة، وهو يدلُّ على هِمَم عاليةٍ وعقول متفتحة خصبة واسعة الآفاق، وإذا كان يحقُّ للأمة أن ترفع رأسها، وتعتزّ بأسلافها فبهؤلاء العباقرة، وبعلومهم الواسعة النافعة، وعقولهم النّيرة المتفتحة في الوقت الذي كان غيرهم - وما يزالون - يبذلون جهودهم، وستلاحظ من خلال هذا البحث الكم الهائل- من الأحاديث بين الضعيفة والموضوعة - في الحَجر على العقول ودفع الأمة إلى الجمود القاتل المؤدّي إلى الهلاك والضياع والفناء»[١].

ثالثاً: التصفية في التفسير

وهو علمٌ عظيمٌ ينبغي ألا يخوضَ فيه إلا العارف بمدارك الكتاب والسنة؛ الفاهم حقيقة لغة العرب، المطّلع على ناسخ القرآن ومنسوخه، وأحكامه وآدابه[٢].

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه الكتب التي يُسمّيها كثير من الناس كتبَ التفسير فيها كثير من التفسير منقولات عن السّلف مكذوبة عليهم، وقول على الله ورسوله بالرأي المجرّد، بل بمجرد شبهة قياسية أو شبهة أدبية، ومعلوم أن في كتب التفسير، من النقل عن ابن عباس من الكذب الشيء الكثير... فلا بد من تصحيح النقل لتقوم الحجّة...»[٣].

ومثال: عند قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ فبعض أهل التفسير يوردون فيه حديث الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب الأنصاري

(١) مكانة أهل الحديث (ص ١٨) الشيخ/ربيع بن هادي حفظه الله .
(٢) التصفية والتربية (ص ٢٧) للشيخ علي الحلبي حفظه الله .
(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨٩) وخاصة المنقول من الإسرائيليات.

رضي الله عنه وفيه:

٣- (أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ! ادع الله أن يرزقني مالًا، فقال رسول الله ﷺ: «ويحك يا ثعلبة ! قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، أما ترضى أن تكون مثل نبيِّ الله، فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسيل معي الجبال فضةً وذهباً لسالت»، فقال: «والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقني مالًا لأوتينَّ كلّ ذي حقٍّ حقه»، فقال رسول الله ﷺ: «اللّهم ارزق ثعلبة مالًا».

فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة، فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة، ويترك ما سواهما، ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلاة إلى الجمعة، وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فسأل رسول الله ﷺ، فقال: «ما فعل ثعلبة» ؟ فقالوا: «اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة»... فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة... وقال لهما: «مرا بثعلبة وبفلان (رجل من بني سليم) فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال: ما هذه إلا جزية ! ما هذه إلا أخت الجزية، ما أدري ما هذا ؟ إنطلقا حتى أرى رأيي» فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ، فلما رآهما قال: «يا ويح ثعلبة»!، قبل أن يكلمهما... فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥- ٧٧].

فخرج ثعلبة حتى أتى النبي عليه السلام، فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: إن الله منعني أن أقبل صدقتك «.. وقُبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئاً...»[١]

قال الشيخ الألباني: وهذا حديث منكر على شهرته[٢]. وفيه أنه أتى أبا بكر رضي الله عنه

(١) قال الحافظ في تخريج الكشاف (٤/ ٧٧/ ١٣٣) «إسناده ضعيف جداً». راجع السلسلة الضعيفة للألباني (٤/ ١١١/ ١٦٠٧).

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص ١٩١/ ١٩٢) راجع السلسلة الضعيفة للألباني ٤/ ١١١/ رقم ١٦٠٧

في خلافته فلم يقبلها منه وهكذا عمر رضي الله عنه في خلافته، وعثمان رضي الله عنه في خلافته.

ويدخل في التّصفية لكتب التفسير الردُّ على مخالفي الحقِّ من المفسرين ،كما فعل كثيرٌ[1] من دعاة أهل الحديث، وكما فعل أيضاً الأخ الفاضل الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي، في كتابة «المُفسِّرون بين التأويل والإثبات لآيات الصفات» إذ تكلّم عمّا يُقارب الثلاثين «تفسيراً» بَيّن من خلاله أن أكثر من ثلثي هؤلاء المفسرين مخالفون للحقّ، فكان من بينهم: الثَّعلبي، والرازي، والبيضاوي والنَّسَفي، وأبو السُّعود وسيد قطب، وفريد وجدي، والصابوني، والمَرَاغي وغيرهم.

فإذا كان هؤلاء كلُّهم ذوي تفاسير مخالفةٍ لمنهج السَّلف الصالح، فالواجب إذاً - تصفيتُها ممّا فيها من أغلاط، حتى يتجنّبَ القارئ الخطأ ويأخذ بالصواب والخطأُ في هذا الباب ليس بالسهل اليسير، ولكنّه خطأٌ في «صفات الله»[2] فضلًا عن غيرها من أحكام الشريعة المختلفة، وتقريراتها المتعددة[3].

رابعاً: تصفية الفقه

الفقه ذخيرة ضخمة من ذخائر علمائنا المسلمين، تدل على سعة أفقٍ، وشمول نظر. وإليك بعض هذه الأحاديث والتي يُستدل بها إما تعصباً لمذهب أو لبدعة.

١ - (ما زال رسول الله ﷺ يقنت في صلاة الغداة حتى فارق الدنيا)[4].

٢- (خمسُ ليالٍ لا تردُّ فيهن الدعوةُ: أول ليلةٍ من رجب، وليلةُ النصف من شعبان

---

(١) مثل الشيخ الألباني، والشيخ عبد العزيز بن باز، وغيرهما .

(٢) المفسرون في التأويل (١/ ٨) للمغراوي.

(٣) التصفية والتربية (ص ٣٠) للشيخ علي الحلبي حفظه الله .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف(٣/ ١١٠/ ٤٩٦٤) وابن أبي شيبة (٢/ ٣١٢) مختصراً - والطحاوي في شرح المعاني (١/ ١٤٣) والدارقطني (ص ١٧٨) والحاكم في «الأربعين» وعنه البيهقي (٢/ ٢٠١) وكذا البغوي في شرح السنة (٣/ ١٢٣/ ٦٣٩) وابن الجوزي في الواهية (١/ ٤٤٤ - ٤٤٥) وأحمد (٣/ ١٦٢). قال الشيخ الألباني : حديث منكر وصلاة الغداة: أي صلاة الفجر.

وليلةُ الجمعةِ، وليلةُ الفِطرِ، وليلةُ النحر)[١].

٣- (لا يدخل ولدُ الزِّنا الجنة، ولا شيء من نّسله، إلى سبعة آباءٍ)[٢]. مع مصادمته لقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧].

٥- (من تزوج قبل أن يحج، فقد بدأ بالمعصية)[٣].

٦- (من السّنة أن لا يصلي الرجل بالتيمم إلا صلاة واحدة ثم يتيمم للصلاة الأخرى)[٤].

٧- (من زار قبر والديه كل جمعة، فقرأ عندهما أو عنده [يس] غُفِر له بعدد كل آية أو حرف)[٥].

خامساً: تصفية السِّير والتاريخ

وهما يشكلان جزءً مما يُسمى في عصرنا الحاضر: بالعلوم الإنسانية[٦].

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٠/ ٢٧٥ - ٢٧٦ .قال الألباني : حديث موضوع، راجع السلسلة الضعيفة للألبان ٣/ ص ٦٤٩/ رقم ١٤٥٢ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (رقم - ١٤٥) قال الشيخ الألباني حديث باطل راجع السلسلة الضعيفة للألباني ٣/ ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩/ رقم ١٢٨٧ .

(٣) رواه ابن عدي (٢/ ٢٠) عن أحمد بن جمهور القرقساني. قال الألباني حديث: موضوع راجع السلسلة الضعيفة للألباني (١/ ٢٥٦/ رقم الحديث ٢٢٢).

(٤) أخرجه الطبراني (٣/ ١٠٧/ ٣) من طريق الحسن بن عمارة وأخرجه الدارقطني (ص ٦٨) ومن طريقه البيهقي (١/ ٣٣١ - ٣٣٢)، قال الألباني حديث: موضوع. راجع السلسلة الضعيفة للألباني (١/ ٤٢٣ - ٤٢٤/ رقم ٤٢٢).

(٥) رواه ابن عدي (٢٨٦/ ١) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٣٤٤- ٣٤٥) وعبد الغني المقدسي في السنن (٢/ ٩١). قال الألباني حديث: موضوع راجع السلسلة الضعيفة للألباني (١/ ٦٦/ رقم الحديث٥٠).

(٦) أخطاء يجب أن تصحح من التاريخ (ص ١) جمال عبد الهادي .والبزّار في مسنده (٢/ ٢٩٩/ ١٧٤)"كشف الأستار"والطبراني في الكبير (١٧/ ١٣/ ٣-٢) والعقيلي (٣٤٦). راجع السلسلة الضعيفة للألباني ٣/ ٢٥٩/ رقم ١١٢٨ .

لذا وَجَبَ له أصولٌ راسخة، وقواعد ثابتة حتى لا تدخله المفتريات، وتُخلَط به المنكرات، وهذا للأسف الشديد ليس بواقع، بل هو مفقود، وإليك بعض الحوادث التي اشتهرت عند الناس وهي لا تصح:

١- قصة غار ثور:

«ليلة الغار (ثور) أمر الله عزّ وجلّ شجرةً فخرجت في وجه النّبيِّ ﷺ تستره وإن الله عزّ وجلّ بعثَ العنكبوت فنسجت ما بينهما، فسترت وجه النبي ﷺ وأمر الله حمامتين وحشيَّتين فأقبلتا تدفّانِ (وفي نسخة: ترفّان) حتّى وقعا بين العنكبوت وبين الشجرة، فأقبل فتيانُ قريش من كل بطن رجلٌ، معهم عِصيُّهم وقِسيُّهم وهرواتهم حتى إذا كانوا من النبي ﷺ على قدر مائتي ذراعٍ، قال الدَّليلُ (سراقةُ بن مالك المدُلجي): «انظُروا هذا الحجر! ثم لا أدري أين وضع رجلَهُ رسول الله ﷺ» فقال الفتيان: «إنك لم تخطُر منذ اللَّيلة أثرهُ، حتى إذا أصبحنا قال: «انظروا إلى الغار!» فاستقدم القوم، حتى إذا كانوا على خمسين ذراعاً، نظر أوّلهم فإذا الحمامات فرجع قالوا: «ما ردّك أن تنظر في الغار»؟ قال: «رأيت حمامتين وحشيَّتين بفم الغار فعرفتُ أن ليس فيه أحدٌ»، فسمعها النبي ﷺ فعرف أن الله عز وجل قد درأ عنهما بهما، فسمَّت عليهما فأحرزهما الله تعالى بالحرم، فأفرجا كُلَّ ما ترون»[١].

٢- سماع النبي ﷺ قبل البعثة:

نُسب إلى النبي ﷺ قوله: «ما هممت بشيء مما كانوا في الجاهلية يعملونه غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممتُ به حتى أكرمني الله برسالة قلتُ ليلة لغلام يرعى معي بأعلى مكة»: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب، فقال: أفعل، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفاً، فقلت: «ما هذا؟» فقالوا: «عرس»، فجلست أسمع فضرب الله على أذني، فنمت

---

(١) رواه ابن سعد (١/ ٢٢٨ - ٢٢٩) والمخلص في (الفوائد المنتقاة) (١٧/ ١٣/ ١ - ٢) والبزّار في مسنده (٢/ ٢٩٩/ ١٧٤١ «كشف الأستار» والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٤٤٣/ ١٠٨٢) والعقيلي (٣٤٦). قال الألباني: حديث منكر وانظر السلسلة الضعيفة للألباني ٣/ ٢٥٩ حديث رقم ١١٢٨ .

فما أيقظني إلا حرّ الشمس. . . ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ودخلت مكة، مثل أول ليلة، ثم ما هممت بعده بسوء[١].

٣- عام الحزن:

أن النبي ﷺ أطلق على هذا العام (عام وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها، وعمّه أبي طالب) اسم: (عام الحزن) لشدة ما كابد فيه من الشدائد في سبيل الدعوة[٢].

٤- محاولة انتحار النبي ﷺ (وحاشاه):

(. . . حتى حَزَن النبي ﷺ - فيما بلغنا - حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه، تبدّى له جبريل فقال: «يا محمد! إنك رسول الله حقاً»؛ فيسكن ذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي، غدا لِمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل هذا[٣]. قال الشيخ الألباني: حديث ضعيف.

---

(١) رواه ابن الأثير، ورواه الحاكم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال عنه صحيح على شرط مسلم ورواه الطبراني من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه. وقال الألباني حديث ضعيف «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على جهالات البوطي» (ص١٣-١٤).

(٢) وقال الألباني رحمه الله: ومما يدل على ذلك، أن المصدر الوحيد الذي رأيته قد أورده إنما هو القسطلاني في «المواهب اللّدنية» فلم يزد على قوله: «فيما ذكره صاعد»! وصاعد هذا: هو ابن عبيدة البجلي، كما قال الزرقاني في شرحه عليه (١/ ٢٤٤)، فما حال صاعد هذا؟ إنه مجهول لا يُعرف، ولم يوثقه أحد، بل أشار الحافظ إلى أنه ليّن الحديث إذا لم يُتابع، كما هو حاله في هذا الخبر! على أن قول القسطلاني: «ذكره صاعد» يُشعر أنه ذكره معلقاً بدون إسناد فيكون معضلا. ويكون الخبر ضعيفاً لا يصح حتى ولو كان صاعد معروفاً بالثقة والحفظ، وهيهات هيهات!.

(٣) قال الزهري: فأخبرني عروة عن عائشة ... فساق الحديث إلى قوله: (وفتر الوحي) وزاده الزهري، أخرجه بهذه الزيادة أحمد (٦/ ٢٣٢ - ٢٣٣) وأبو نعيم «الدلائل» (ص ٦٨ - ٦٩) والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٣٩٣-٣٩٥) من طريق عبد الرزاق عن معمر به. وبذلك جزم الحافظ في الفتح (١٢/ ٣٠٢) راجع الدفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على جهالات البوطي ص ٤٠ -٤١.

سادساً: تصفية الأخلاق والسلوك والتزكية

وهي إحدى المهمات التي من أجلها بُعث الرسول ﷺ، بل هي غاية الرسالات وثمرتها، فقد قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢][(١)].

وقد دخل: منهاج إصلاح النفس الذي اندرج تحت اسم «التصوّف» فجمع في طيّاته بلاءً، لا حصر له ولا حدّ، وانظر إلى أمثلة ذلك:

- قيل لأبي يزيد البسطامي: حدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك؟

فقال: «نعم! دعوت نفسي إلى الله، فجمحت عليّ[(٢)]، فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة، ولا أ ذوق النوم! فوفّت لي!»[(٣)].

٢- وحُكي أن شاهداً عظيم القدر من أعيان أهل بسطّام، كان لا يفارق مجلس أبي يزيد، فقال له يوماً: «أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر ولا أفطر، وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئاً! وأنا أصدق به أحبُّه، فقال أبو يزيد: ولو صمتَ ثلاثمائة سنة، وقمتَ ليلها، ما وجدت من هذا ذرة! قال: ولِمَ؟ قال: «لأنك محجوب بنفسك»، قال: «فلهذا دواء؟» قال: «نعم» قال: «قل لي حتى أعمله». قال: «لا تقبله»! قال: «فاذكره ليّ حتى أعمل». قال: «اذهب الساعة إلى المزيِّن[(٤)]، فاحلق رأسك ولحيتك! وانزع هذا اللباس واتَّزر بعباءة، وعِلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزاً، واجمع الصبيان حولك وقل: «كل من صفعني صفعة، أعطيته جوزة»! وادخل السوق، وطف الأسواق كلها عند الشهود، وعند من يعرفك، وأنت على ذلك! فقال الرجل: «سبحان الله! تقول لي مثل هذا»؟ فقال أبو يزيد قولك:

---

(١) الأصول العلمية للدعوة السلفية. الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق.
(٢) جمحت عليَّ: أي صعبت ورفضت..
(٣) قوت القلوب ٢/ ٧٠، وإحياء علوم الدين ٤/ ٣٠٤.
(٤) المزيِّن: أي الحلّاق

«سبحان الله شرك» ! قال: «وكيف ؟» قال: «لأنك عظمت نفسك فسبَّحتها، وما سبحت ربك». فقال: «هذا لا أفعله ! ولكن دلّني على غيره ؟» فقال: «ابتدئ بهذا قبل كل شيء» فقال: «لا أُطيقه»، قال: «قد قلتُ لك إنك لا تقبل»[١]. . . .

٣- ومنهم الشيخ محمد السروري رَحِمَهُ اللَّهُ المشهور بأبي الحمائل، أحد الرجال المشهورين في الهمّة والعبادة، وكان يغلب عليه الحال، فيتكلّم بالألسن: العبرانية والسريانية والعجمية، وتارة يزغرت في الأفراح والأعراس، كما تزغرت النساء. . . وجاءه الشيخ علي الحديدي يطلب منه الطريق، فرآه ملتفتاً لنظافة ثيابه، فقال: «إن كنت تطلب الطريق، فاجعل ثيابك ممسحة لأيدي الفقراء»! فكان كل من أكل سمكاً أو زفراً يمسح في ثوبه يده، مدة سنة وسبعة شهور، حتى صارت ثيابه كثياب الزيَّاتين أو السّمّاكين. . . فلما رأى ثيابه، لقنه الذِكر، وجاء منه في الطريق. . . وكان يغلِب عليه الحال ليلًا ! فيتكلّم بألسنة غير عربية من عجم، وهند، ونُوبة وغيرها وربما يقول: (قاق، قاق) طول الليل، ويزعق، ويُخاطب قوماً لا يُرون وإذا قال شيئاً في غلبة الحال نُفِذ[٢]. . . .

وامتدّ الفسادُ من حقل الأخلاق والتعبّد إلى وضع الحديث: ومن أمثلة ذلك:

١- (من حسن ظنه بالناس كثرت ندامته)[٣].

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: ١٢].

---

(١) القوت: ٢/ ٧٤ - ٧٥، والاحياء: ٤/ ٣٠٦ .

(٢) طبقات الشعراني: ٢/ ١٢٦، وجامع النبهاني ١/ ٢٩٩. انظر الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ لمحمود عبد الرؤوف القاسم.

(٣) رواه تمام في «الفوائد» (١٤/ ١/ ٢) وابن عساكر (١٦/ ١٤٩/ ٢) عن أبي العباس محمود بن محمد بن الفضل الواقفي. راجع السلسلة الضعيفة للألباني ٣/ ٢٩٣/رقم ١١٥٢. قال الشيخ الألباني حديث باطل .

٢- (عليكم بلباس الصوف تجدوا حلاوة الإيمان في قلوبكم، وعليكم بلباس الصوف تجدوا قلة الأكل وعليكم بلباس الصوف تُعرفون به في الآخرة، وإن لباس الصوف يورث القلب التفكّر، ويورث الحِكمة والحِكمة تجري في الجوف مجرى الدّم، فمن كثر طعمه، وعظم بدنه، وقسا قلبه، والقلب القاسي بعيد من الجنة، قريب من النار)(١).

٣- (الهُوا العبُوا؛ فإني أكره أن يُرى في دينكم غِلظَةٌ)(٢).

٤- (إذا أقلَّ الرجل الطُّعم مُلئَ جوفه نوراً)(٣).

٥- (اخلعُوا نعالكم عند الطعام فإنها سنَّة جميلة)(٤).

* * *

(١) رواه أبو بكر ابن النقو في « الفوائد » (١/ ١٤٧ - ١٤٨) وابن بشران في « الأمالي » (ج ٢/ ٩/ ١) وابن الجوزي في « الموضوعات» قال الألباني موضوع، السلسلة الضعيفة برقم (٩٠).

(٢) رواه الديلمي (١/ ١/ ١٩) قال الألباني موضوع السلسلة الضعيفة ٢٢٥٨ .

(٣) رواه الديلمي ١/ ١/ ١٠٢ قال الألباني موضوع وفيه أبي العلأ أورده الذهبي في الضعفاء وقال الدارقطني: كذاب. وفيه كذلك إبراهيم بن مهدي قال الذهبي متهم بالوضع انظر السلسلة الضعيفة للألباني ٥/ ٣٦٧ .

(٤) قال الألاني موضوع رواه الحاكم ٣/ ٣٥١ رواه الحاكم وسكت عنه انظر ٥/ ١٧٩-١٨٠ . وتعقبه الذهبي بقوله : قلت: يحيى (أبي العلاء) وشيخه (موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث اليحيى) متروك. وقال: أحمد بن حنبل يحيى بن العلاء كذاب يضع الحديث .

المبحث الثامن:
الأخلاق والتزكية

والتزكية[1] من الزكاة وهي: النّمو الحاصل عن بركة الله تعالى.

وتزكية النفس: أي طهارتها بحيث يستحق الإنسان في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة.

وهو أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيره، وذلك يُنسب:

أ - تاره إلى العبد، لكونه مُكتسباً لذلك، نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩].

ب- وتارة إلى الله تعالى، لكونه فاعلا لذلك في الحقيقة نحو قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩].

ج- وتارة إلى النبي ﷺ لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم نحو قوله تعالى: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

والأخلاق: هي القوى، والسّجايا، وما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلُقُه.

*** أقسام الأخلاق**

وتنقسم الأخلاق إلى قسمين: ١- قسم جِبلِّي. ٢ - قسم كسبي.

الأول: القسم الجِبلِّي

أي الذي قد يُفطَر عليه بعض الناس، كقوله تعالى لمريم عن عيسى عليه السلام: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]: أي مُزكى بخُلقه، وذلك عن طريق الاجتباء والتوفيق الإلهي.

---

(١) المفردات ١٥٨، ٢١٣، ٢١٤ للراغب .

وكما قال رسول الله ﷺ لأشج وفد عبد القيس: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله تعالى: الحِلمُ والأناة»[١].

الثاني: القسم الكسبي

أي الذي يمكن للإنسان أن يكتسبه من بيئته فيتأثر بها ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إنما مثل الجليس الصالح، وجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة»[٢].

وقوله ﷺ: «إنما العِلمُ بالتَّعلُّم، وإنما الحِلمُ بالتَّحلُّم، ومن يتحَّر الخير يُعطه، ومن يتَّق الشر يُوقه»[٣].

وقول العالِم للرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً: «انطلق إلى أرض كذا وكذا! فإن بها أناساً يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء...»[٤].

ولو لم يكن هناك إمكانية لاكتساب الأخلاق وتغييرها، لما أمرنا الشرع بالأخلاق الحسنة، والابتعاد عن الأخلاق السيئة في القرآن والسنة.

*** أركان حسن الخلق:**

حسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يُتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعِفة والشجاعة، والعدل.

فالصبر: يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق، وعدم الطيش والعجلة.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه .
(٣) الدارقطني والخطيب البغدادي وحسّنه الألباني في صحيح الجامع ٢٣٢٨. والصحيحة ٣٤٢ .
(٤) رواه أحمد ومسلم .

والعِفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء.

والشجاعة: تحمله على عزّة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيّم، وعلى البذل والنَّدى الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته.

كما قال ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[(١)]. وهو حقيقة الشجاعة، وهي ملكة يقتدر بها على قهر خصمه.

والعدل: يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط فيحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الإمساك والإسراف والتبذير.

ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة[(٢)].

*** الأمر بالأخلاق الحسنة:**

من القرآن:

قال تعالى مادحاً نبيه ﷺ وممتناً على هذه الأمة بإرساله إليها: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

من السنة:

قال تعالى مادحاً رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وقال ﷺ: «إنما بُعثت لأُتمم مكارم الأخلاق»[(٣)]، وقال ﷺ: «أثقل شيء في الميزان الخُلق الحسن».

وقال ﷺ: «إن المؤمن ليُدرك بحسُن خُلقه، درجة القائم الصائم»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري في الأدب ح (٦١١٤) ورواه مسلم في البر والصلة، ح (٢٦٠٩).
(٢) مدارج السالكين ٢/٣١٢ - ٣١٣.
(٣) رواه ابن سعد والبخاري في الأدب المفرد والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٣٤٩ والصحيحة ٤٥.
(٤) صحيح ابن حبان وصححه الألباني في الجامع ١٣٤ والصحيحة ٨٧٦.

جوانب حسن الخلق

وحسُن الخلق له جوانب كثيرة منها:

الجانب الأول: الأخلاق مع الله عز وجل

وأعلاها التوحيد، الذي أمر الله به قائلًا: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وأدناها الشرك، والذي نهى الله عنه محذراً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨- ١١٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

ولقد ضرب الله مثلًا للمشرك بمثال لا يرضاه أحد لعبده، فقد قال ﷺ في الحديث: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات. . . وأولهن: أن تعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئاً فإن مثل من أشرك بالله: كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورِق»، ثم أسكنه داراً فقال: «اعمل وارفع إليَّ، فجعل العبد يعمل ويرفع إلى غير سيِّده، فأيكم يرضى أن يكون عبْدُه كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً. . .»[(١)].

ومنه أن يعلم أن كل ما يكون منك يوجب عذراً، وكل ما يأتي من الله يوجب شكراً، فلا تزال شاكراً له، معتذراً إليه، سائراً إليه بين مطالعة مِنّته وشهود عيب نفسك وأعمالك.

الجانب الثاني: الأخلاق مع الناس

وجماعه أمران: بذل المعروف قولًا وفعلًا، وكف الأذى قولًا وفعلًا.

كما قال عبد الله بن المبارك رضي الله عنه: «حُسن الخُلق: طلاقة الوجه، وبذل المعروف وكفّ الأذى».

---

(١) رواه أحمد والبخاري في تاريخه والترمذي وصححه الألباني الجامع ١٧٢٤ والترغيب ٥٣٣ .

*** الترغيب بالآداب والأخلاق الحسنة:**

قال رسول الله ﷺ: «إن الله يوصيكم بأمهاتكم - ثلاثاً - إن الله يوصيكم بآبائكم - مرتين - إن الله تعالى يوصيكم بالأقرب فالأقرب»(١).

قال رسول الله ﷺ: «ليس منّا من لم يُجِلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «إن رجلا لم يعمل خيرا قط، وكان يداين الناس فيقول لرسوله: خذ ما تيسر واترك ما عسر، وتجاوز، لعل الله أن يتجاوز عنّا، فلما هلك قال الله: هل عملت خيرا قط ؟ قال: لا إلا أنه كان لي غلام، وكنت أداين الناس فإذا بعثته يتقاضى قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله أن يتجاوز عنّا، قال الله: «قد تجاوزت عنك»»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يمشي بطريقٍ وجد غُصن شوكٍ على الطريق فأخّره فشكر الله له فغفر له»(٤).

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان ﷺ يَمُرَّ بالصبيان فيسلِّم عليهِم»(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ قِيلَ إِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ ؟ قَالَ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَيَنَّهَا أَحَدٌ فَلَا يَرَيَنَّهَا قِيلَ إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا ؟ قَالَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنْ النَّاسِ»(٦).

وقال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»(٧).

---

(١) البخاري في الأدب وابن ماجه والطبراني صححه الألباني الجامع ١٩٢٤ .
(٢) أحمد والحاكم وحسنه الألباني الجامع ٥٣١٩ وتخريج الترغيب ١/ ٦٦ .
(٣) النسائي وابن حبان والحاكم وصححه الألباني صحيح الجامع ٢٠٧٨ وصحيح الترغيب ٨٦٩ .
(٤) متفق عليه.
(٥) البخاري.
(٦) أحمد وأبي يعلى والحاكم وحسنه الألباني الجامع ٢٠٣ آداب الزفاف ٣٤ .
(٧) الترمذي وابن واجه وصححه الألباني في الجامع ٣٣١٤ .

وقال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم للنساء»[١].

الأخلاق مع العبيد والإماء:

قال رسول الله ﷺ: «إخوانُكم خولُكم[٢]، جعلهمُ الله قنية[٣] تحت أيديكم، فمَن كان أخوهُ تحت يدهِ، فليطعمه من طعامهِ، و ليلبسهُ من لباسهِ ولا يُكلِّفهُ ما يغلبُه فإن كلّفه ما يغلبه، فلُيعِنه»[٤].

والإسلام كما أنه أمر بالأخلاق الحسنة، فقد نهى عن الأخلاق السيئة:

*** النهي عن الأخلاق السيئة**

من القرآن:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وقول لقمان لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٨- ١٩].

من السنة:

قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعّان، ولا الفاحش ولا البذيء»[٥].

---

(١) الحاكم وصححه الألباني في الجامع ٣٣١٦ .
(٢) خولُكم: خدمكم.
(٣) قنية : مملوكين.
(٤) أحمد والبخاري ومسلم .
(٥) أحمد والبخاري في الأدب والحاكم وصححه الألباني .

وقال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالذي يشبع، وجارُه جائع إلى جنبه»[١].

عن جابر رضي الله عنه : أنّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، وَالْمُتَفَيْهِقُونَ»، قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ قَالَ الْمُتَكَبِّرُونَ»[٢].

*** الترهيب من الأخلاق السيئة:**

قال رسول الله ﷺ: «من حمل علينا السِّلاح فليس منّا ومن غشّنا فليس منّا»[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «لا تباغضوا ،ولا تقاطعوا ،ولا تدابروا ،ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله، ولا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام»[٤].

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم؛ ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجلٌ على فضل ماءٍ بالفلاةِ يمنعهُ من ابن السبيل ورجل بايع رجلا بسلعةٍ بعد العصر؛ فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفّى، وإن لم يعطه منها لم يف»[٥]. وقال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمّام»[٦].

وقال رسول الله ﷺ: «لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد، خير له من أن يمسّ امرأة لا تحل له»[٧].

---

(١) البخاري والطبراني والحاكم وصححه الألباني ٥٣٥٨.
(٢) رواه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، ح ١٨، ٢ وقال: حسن غريب. وحسنه الألباني الجامع ٢١٩٧ والصحيحة ٧٩١.
(٣) رواه مسلم.
(٤) أحمد والبخاري ومسلم.
(٥) متفق عليه.
(٦) متفق عليه
(٧) مخيط : الإبرة . الطبراني وصححه الألباني الجامع ٥٠٤٥.

وقال الرسول الله ﷺ: «ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة، وعصى إمامه ومات عاصيا، وأمة أو عبد أبق من سيده فمات، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا، فتبرجت بعده، فلا تسأل عنهم»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «لا تُسّبن أحدا، ولا تحقِّرن من المعروف شيئا، ولو أن تكلّم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك، إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار؛ فإنه من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، وإن امرؤ شتمك وعيّركَ بما يعلم فيك، فلا تعيّرهُ بما تعلم فيه فإنما وبالُ ذلك عليه»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا على ما قدَّموا»(٣).

عدم الغدر بالعدو:

قال رسول الله ﷺ «لكل غادر، لواءُ يُعرف به يوم القيامة»(٤).

وقال رسول الله ﷺ «إذا اطمأن الرجل إلى الرجل، ثم قتلهُ بعدما اطمأنَّ إليه نُصِبَ له يوم القيامة لواء غدر»(٥).

الأخلاق مع السفراء والهيئات الدبلوماسية:

قال رسول الله ﷺ «أما والله لولا أن الرُسل لا تقتل لضربت أعناقكما»(٦).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٤١١، قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٣٠٥٨ في صحيح الجامع .
(٢) رواه أبو داود وصححه الألباني في الجامع ٧١٨٦ والصحيحة ١١٠٩ - ١٣٢٥.
(٣) رواه أحمد والبخاري.
(٤) أحمد ومسلم البخاري .
(٥) الحاكم وصححه الألباني في الجامع ٣٥٧ والصحيحة ٤٤١.
(٦) أبو داود والحاكم وحسنه الألباني في الجامع ١٣٩٩. (قاله لرسولي كسرى) .

الأخلاق مع الحيوان:

قال رسول الله ﷺ: «دخلت امرأة النار في هِرَّةٍ، ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ ! فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنْ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا فَقَالَ نَعَمْ فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»(٢).

عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله محسن يحب الإحسان، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحّد أحدكم شفرته، ثم ليرح ذبيحته»(٣).

الأخلاق مع الجماد:

بل تتعدى هذه الأخلاق إلى الجمادِ:

فهذا رسول الله ﷺ يقول عن جبل أُحد: «أُحدٌ جبل يحبُّنا ونحبُّه»(٤).

---

(١) أحمد والبخاري ومسلم.
(٢) مالك وأحمد والبخاري ومسلم.
(٣) رواه الطبراني وصححه الألباني في الجامع ٨٠٥. والإرواء ٢٤٧٦.
(٤) البخاري والترمذي.

المبحث التاسع:
تحذير المسلمين من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمنكرة

تعريف الحديث الضعيف:

هو كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا صفات الحديث الحسن[١] وهو أنواع كثيرة[٢] يمكن حصرها في ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الموضوع وهو أشّر أنواع الضعيف، وهو ما قيل: في إسناده كذّاب، أو وضّاع.

النوع الثاني: «ما كان أخف منه: ولكنه شديد الضعف، وهو ما قيل: فيه مُتّهم، أو مجمع على تركه، أو هالك، أو ليس بشيء، أو ضعيف جداً».

النوع الثالث: ما لم يكن الضعف فيه شديداً: وينجبر بمثله، وهو ما كان في سنده سّيء الحفظ، أو له أوهام، أو مدلّس، أو مُعنعن، أو مختلط، أو ما قيل: فيه ضعيف فقط أو لم أر فيه توثيقاً. . . ونحو ذلك.

فالنوع الأول، والثاني: لا ينجبران بالمتابعة، ولا ينتفعان بالشواهد. وأما الثالث فهو بعكس ذلك؛ وهو الذي وقع الخلاف فيه بالعمل به في حال تفرده[٣].

الترهيب من الكذب على النبي ﷺ:

١- عن المغيرة بن شعبة ﵁ قال: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ»[٤].

---

(١) المقدمة لابن صلاح ٢٠، أو هو : «كل حديث لم تتوافر فيه صفات القَبول» (النُكت ٤٩٢)

(٢) أوصلها العراقي إلى اثنين وأربعين، وابن حبان إلى تسعة وأربعين، وبلغ بها غيرهما إلى ثلاثة وستين نوعاً (راجع تدريب الراوي ١٠٥).

(٣) تحقيق القول بالعمل بالحديث الضعيف د. عبد العزيز بن عبد الرحمن العثيم ص ١٨ .

(٤) البخاري ١٢٠٩ ومسلم ٥ .

وعن واثلة بن الأسفع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرَى أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ أَوْ يَقُولُ عَلَى ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَقُلْ»[١].

٢- وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِين»[٢]. ؛ قال السخاوي: وكفى بهذه الجملة وعيداً شديداً في حق من روى الحديث وهو يظن أنه كذب.

أضرار وأخطار رواية الأحاديث الضعيفة،[٣] والعمل بها:

١-الكذب على الرسول ﷺ.

٢-يؤدي العمل بمقتضاها إلى زيادة في الدِّين أي الابتداع فيه.

٣-تؤدي إلى الاختلاف والشقاق والتنازع في الدِّين، وقد أُمِرنا بالائتلاف وعدم التنازع.

٤- فتح ثغرات في الدِّين ينفذ منها أعداء الله تعالى، واستغلالها للنّيل منه.

وما لم يثبت عن النبي ﷺ متفاوت في الضعف، فمنه الشَّديد الضعف جداً، ومنه ما قرب ضعفه، والقسم الأخير اختَلَف فيه العلماء قديماً وحديثاً؛ فمن قائل: يجوز العمل به مطلقاً، ومنهم المانع مطلقاً، ومنهم من فصَّل القول فيه ووضع له شروطاً وضوابط.

***حكم رواية الحديث الضعيف والعمل به:**

القول الأول: لا يُعمل بالحديث الضعيف مطلقاً: لا في الأحكام ولا في الفضائل، وقد قال به جماعة من الأئمة: كابن معين والبخاري ومسلم وأبي بكر بن العربي الفقيه وغيرهم رحمهم الله[٤] ومنهم كذلك ابن حزم رحمه الله كما في المِلل والنِّحل[٥].

---

(١) رواه البخاري ٣٢٤٧ .
(٢) رواه مسلم وهو حديث متواتر ونقل النووي أنه جاء عن مائتين من الصحابة .
(٣) المقصود بها شديدة الضعف.
(٤) قواعد الحديث لجمال الدين القاسمي ١١٣ .
(٥) الفصل في الملل والنحل ٢/ ٨٣ .

وقال شيخنا العّلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا الذي أُدين الله به، وأدعو الناس إليه. أن الحديث الضعيف لا يُعمل به مطلقاً، لا في الفضائل ولا المستحبات، ولا في غيرهما ذلك لأن الحديث الضعيف، إنما يفيد الظّن المرجوح بلا خلاف أعرفه بين العلماء، وإذا كان كذلك فكيف يُقال: يجوز العمل به ؟! والله عزّ وجلّ ذّمه في غير ما آية في كتابه ؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾

وقال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيث»[١].

القول الثاني: يُعمل بالحديث الضعيف مطلقاً

روي ذلك عن أحمد وأبي داود رحمهما لله وغيرهما[٢] وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا يجوز أن يعتمد في الشريعة على الأحاديث الضعيفة التي ليست صحيحة ولا حسنة ولكن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من العلماء جوَّزوا أن يُروى في فضائل الأعمال ما لم يُعلم أنه ثابت، إذا لم يُعلم أنه كذب، وذلك أن العمل إذا عُلِم أنه مشروع بدليل شرعي، وروي في فضله، حديث لا يُعلم أنه كذب، جاز أن يكون الثواب حقاً، ولم يقُل أحد من الأئمة: أنه يجوز أن يُجعل الشيء واجباً أو مستحباً بحديث ضعيف، ومن قال هذا فقد خالف الإجماع[٣].

وقال أيضاً: «وما كان أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا أمثاله من الأئمة يعتمدون على مثل هذه الأحاديث في الشريعة، ومن نقل عن أحمد أنه كان يحتج بالحديث الضعيف الذي ليس بصحيح ولا حسن فقد غلط عليه»[٤].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس المراد بالضعيف عنده (الإمام أحمد) الباطل، ولا

---

(١) البخاري رقم: ٤٧٤٧ ومسلم برقم: ٤٦٤٦ .
(٢) انظر فتح المغيث ١ / ٢٦٧.
(٣) القاعدة الجليلة ٨٤ .
(٤) المصدر السابق ٨٥ .

المُنكر، ولا ما في روايته متهم. بحيث لا يسوغ الذهاب إليه والعمل به، بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح وقسم من أقسام الحسن».

ولم يكن يُقسِّم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف، بل إلى صحيح وضعيف وللضعيف عنده مراتب، فإذا لم يجد في الباب أثراً يدفعه ولا قول صاحب ولا إجماعاً على خلافه، كان العمل به عنده أولى من القياس[١].

ثم إنّ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره ممن نقل عنه القول بجواز العمل بالحديث الضعيف مطلقاً نُقِلت عنه روايات تدل على منع ذلك وإن ذلك، مخصوص في فضائل الأعمال.

قال أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ - في رواية الميموني عنه - أحاديث الرقائق يحتمل أن يتساهل فيها حتى يجيء شيء فيه حُكم[٢].

وقال: - في رواية عباس الدوري عنه - ابن إسحق رجل تُكتَب عنه هذه الأحاديث (يعني المغازي ونحوها)، وإذا جاء الحلال والحرام، أردنا قوماً هكذا - وقبض أصابع يده الأربعة[٣].

ثم الذي يحمل تساهلهم المذكور على روايتهم إياها مقرونة بأسانيدها -كما هي عادتهم - هذه الأسانيد التي بها يمكن معرفة ضعف أحاديثها، فيكون ذِكر السند مُغنياً عن التصريح بالضعف.

القول الثالث: يُعمل بالحديث الضعيف في الفضائل والمستحبات، وله أربعة شروط هي:

١- أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج ما اشتد ضعفه: كحديث الكذابين والمتهمين بالكذب، ومن فحش غلطه، وهذا الشرط متفق عليه[٤].

---

(١) إعلام الموقعين ١/ ٣١ .
(٢) الكفاية ٢١٣ وراجع فتح المغيث ١/ ٢٦٧ .
(٣) فتح المغيث ١/ ٢٦٧ .
(٤) نقله العلائي انظر القول البديع ٢٥٥ .

وهذا يدل على وجوب معرفة حال الحديث الذي يريد أحدهم أن يعمل به، لكي يتجنّب العمل به إذا كان شديد الضعف، وهذه المعرفة مما يصعب الوقوف عليها من جماهير الناس، ومن كل حديث ضعيف يريدون العمل به، لقِلة العلماء بالحديث لا سيِّما في العصر الحاضر.

٢- أن يكون الحديث في الفضائل وما في معناها. وممن قال بهذا لإمام النووي(١) وابن المبارك(٢)، وابن حجر الهيثمي(٣)رحمهم الله تعالى.

٣-أن يندرج الحديث الضعيف تحت أصل معمول به، فيكون العمل في الحقيقة ليس بالحديث الضعيف، وإنما بالأصل العام،فالعمل به وارد، سواء وجد الحديث الضعيف أو لم يوجد، ولا عكس، أي: العمل بالحديث الضعيف إذا لم يوجد الأصل العام، فثبت أن العمل بالحديث الضعيف بهذا الشرط شكلي، غير حقيقي(٤).

٤-أن لا يعتقد عند العمل به بثبوته، بل يعتقد الاحتياط، لئّلا يُنسب إلى النبي ﷺ ما لم يقله(٥).

وهذا الشرط يلتقي مع الشرط الأول في ضرورة معرفة الحديث، لكي لا يعتقد بثبوته علما بأن جماهير الذين يعملون في الفضائل بالأحاديث الضعيفة لا يعرفون ضعفها، وهذه الشروط دقيقه وهامة جداً، لو التزمها العاملون بالأحاديث الضعيفة لكانت النتيجة أن تضيق دائرة العمل بها، أو تُلقى من أصلها، ولاشك أنه فيما ثبت من أحاديث المصطفى ﷺ غُنية ومنجاة من الوقوع في الكذب على النبي ﷺ(٦).

---

(١) فتح المغيث ١/ ٢٦٧ .
(٢) الجرح والتعديل ٢/ ٣٠ وشرح علل الترمذي ١٠٢ .
(٣) قواعد في علوم الحديث ٩٢ -٩٣ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) انظر تدريب الراوي ١٩٦ وقواعد التحديث ١١٦ فتح المغيث١/ ٣٦٨ ومقدمة صحيح الجامع للألباني .
(٦) لقوله ﷺ : «كفى بالمرء كذِباً أن يحدِّث بكل ما سمع». رواه مسلم ٦ .

والخلاصة:

كما قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن أرجح هذه الأقوال عندي (والله أعلم) هو عدم رواية الحديث الضعيف إلا ببيان ضعفه.

أما العمل، فلا يُعمل به مطلقاً لا في الأحكام، ولا في المواعظ، ونغلق هذا الباب الذي جاء منه شر كبير.

وهذا الكلام موجه للحديث الذي يعتقد راويه أو الذي يستدل به أنه ضعيف، ولا ينسحب على الأحاديث التي يرويها البعض أو يعمل بها وهي صحيحة عنده. والله أعلم.

الأحاديث الموضوعة وأثرها على عقيدة المسلمين

تعريف الحديث الموضوع:

هو الحديث المُخْتَلَقُ المَصْنُوعُ وَهُوَ شَرُّ أَنواع الضَّعِيفِ وَتَحْرُمُ رِوَايَتُهُ مَعَ العِلْمِ بِهِ فِي أيِّ مَعْنًى كَانَ إلّا مُبَيَّنًا[1]. وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا تجوز روايته (الموضوع) لأحد من الناس، إلا على سبيل القدح فيه، ليحذره من يغتر به من الجهلة والعوام والرعاع»[2].

أسباب الوضع:

١- الأحزاب السياسية:

الرافضة وخصومهم وأثرهم في وضع الحديث:

وكان هذا بعد مقتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وظهور شيعة عليٍّ وحزب معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: «إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الرافضة، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلقة في صاحبهم، حملهم على

---

(١) انظر تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للحافظ السيوطي ص ٢٧٤ .

(٢) قال ابن الجوزي: «ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع». «ومعنى مناقضته للأصول أن يكون خارجاً عن دواوين الإسلام من المسانيد والكتب المشهورة». الباعث الحثيث ٧٨ .

وضعها عداوة خصومهم. فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث»[١].

وقال عامر الشعبي: «ما كُذِبَ على أحد في هذه الأمة ما كُذِبَ على عليّ رضي الله عنه»[٢].

وكان يهم الرافضة إثبات وصية الرسول ﷺ لعليّ بالخلافة من بعده، فوضعوا كثيراً من الأحاديث في هذا، منها: «وصيّي»، وموضع سّري، وخليفتي في أهلي، وخير من أخلف بعدي - عليّ[٣].

لقد رأى بعض الوضّاعين من الأحزاب الأخرى أن هذه الأحاديث تنتقص أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية، فوضعوا مقابلها أحاديث أخرى ترفع من شأن الشيخين ومعاوية، فمن ذلك الحديث الموضوع: «لما عُرِج بي إلى السماء، قلت: اللّهم اجعل الخليفة من بعدي عليّ بن أبي طالب، فارتّجت السموات، وهتف بي الملائكة من كل جانب، يا محمد أقرأ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠، التكوير: ٢٩]، وقد شاء الله أن يكون من بعدك أبو بكر الصديق رضي الله عنه»[٤].

ثم قد راى بعض ذوي النّيات الحسنة ما كان من هذه الأحزاب، وما دار بينهم من طعون مختلفة تناولت الصحابة، وانتقصتم وكادت تقضى على فضائلهم، فدفعهم حبّهم للصحابة جميعاً إلى وضع أحاديث تذكر فضلهم، وترفع من شأنهم، وتبيّن أنه لا فرق بين الخلفاء الأربعة.

ومن ذلك حديث: «إن الله أمرني أن أتخذ أبا بكر والدا، وعمر مشيراً، وعثمان سنداً، وأنت يا عليّ ظهيراً، أنتم أربعة، قد أخذ الله لكم الميثاق في أم الكتاب، لا يحبكم إلا مؤمن تقي، ولا يُبغضكم إلا منافق مسيء، أنتم خلفاء نبوتي، وعقد ذِمّتي»[٥].

---

(١) شرح نهج البلاغة ٣/ ٢٦ .
(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٧٧ .
(٣) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ١/ ٣٢٣ واللآلئ المصنوعة (١/ ٣٢٧) قال الجوزقاني: باطل لا أصل له فيه إسماعيل بن زياد وهو متروك.
(٤) تنزيه الشريعة المرفوعة ١/ ٣٤٥ واللآلئ المصنوعة (١/ ٢٧٥) قال السيوطي: موضوع.
(٥) الفوائد المجموعة ٣٨٤ .

٢- أعداء الإسلام (الزنادقة)

ولم يرق الوضع الجديد أولئك المتسلّطين، فأضمروا الحقد والكيد للإسلام والمسلمين ولم يستطيعوا أن يحققوا آمالهم بقوة السيف، لقوة الدولة الإسلامية، فراحوا يُنفِّرون المسلمين من العقيدة الجديدة، بدّس الأباطيل والأكاذيب السخيفة على رسول الله ﷺ قاصدين من وراء ذلك إبعاد الناس عن الإسلام.

كحديث عن النبي ﷺ: «المجرَّةُ التي في السماء عَرَق الأفعى التي تحت العرش»[١]. قال أبو القاسم: «وما يستجيز أن يروي مثل هذا عن رسول الله ﷺ إلا مَن لا يُبالي بدينه، ومتى قال المسلمون: إن تحت العرش أفعى ؟ وهل يجوز أن يكون هذا إلا من دسيس الزنادقة لُيقبّحوا الإسلام»[٢].

٣- التفرقة العنصرّية والتعصب للقبيلة والبلد والإمام:

اعتمد الأمويون في إدارة دولتهم وتسيّير أمورها على العرب خاصة، وتعصّب بعضهم للعرب والعربية، حتى إن طبقة الموالى «وهم المسلمون من غير العرب» شعرت بهذه العنصرية، فكانوا يحاولون المساواة بينهم وبين العرب وانتَّهزوا كثرة الاضطرابات والحركات الثورية فانضموا إليها في سبيل تحقيق ذلك[٣]، وإلى جانب هذا كانوا يبادلون العرب الاعتّزار والفخار، فحملهم هذا على وضع أحاديث ترفع من قدرهم، وتبيّن فضائلهم، ومن ذلك حديث: «إن كلام الذين حول العرش بالفارسية، وإن الله إذا أوحى أمراً فيه لين أوحاه بالفارسية، وإذا أوحى أمراً فيه شدة أوحاه بالعربية»[٤].

فوضع مقابلة حديث: «أبغض الكلام إلى الله الفارسية وكلام الشياطين الخوزية،

---

(١) قبول الأخبار ص ١٤ .
(٢) قبول الأخبار ص ١٤ .
(٣) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم ١/ ٣٤٢ .
(٤) تنزيه الشريعة المرفوعة ١/ ١٣٦ واللآلئ المصنوعة (١/ ١٧) قال السيوطي: موضوع.

وكلام أهل النار البخارية، وكلام أهل الجنّة العربية»[١].

٤- القصّاصون:

ظهرت حلقات القصّاصين والوعاظ في أواخر عهد الخلافة الراشدة[٢]، وكثرت هذه الحلقات فيما بعد في مختلف مساجد الأقطار الإسلامية ،[٣] وكان بعض القُصّاص لا يهمّه إلا أن يجتمع الناس عليه، فيضع لهم ما يرضيهم من الأحاديث التي تستثير نفوسهم، وتحرك عواطفهم، وقد كان معظم البلاء من هذا الصِّنف الذي يكذِّب على رسول الله ﷺ، ولا يرى في ذلك إثماً ولا بهتاناً.

ومما وضعه القُصّاص حديث: «إن في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل، ومن أسفلها خيل بلق من ذهب مُسرّجة ملجّمة بالدّر والياقوت، لا تروث ولا تبول ذوات أجنحة، فيجلس عليها أولياء الله فتطير بهم حيث شاءوا...»[٤].

٥- الرغبة في الخير مع الجهل بالدِّين

إنّ ظهور الفِرق والأحزاب السياسية والدينية، قد دفع هذه الأحزاب إلى وضع الأحاديث لتأييد مذاهبهم، ورفع شأن زعمائهم، والحط من قيمة خصومهم، وقد ظهر إثر هذا بعض الصالحين والزّهاد والعبّاد، الذين ساءهم هذا الإنشقاق وتفرقة الأمة، فوضعوا الأحاديث يقربون فيها بين المتخاصمين.

---

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة ١/ ١٣٧ واللآلئ المصنوعة (١/ ١٨) قال ابن حبان: موضوع.

(٢) استشار تميم الداري - صحابي مشهور - عمر رضي الله عنه ليقصّ على الناس، فأبى عليه ولم يسمح له انظر تميز المرفوع عن الموضوع ص ١٨ : ب. ا. فلم يقص على عهد النبي ﷺ، ولا على عهد أبي بكر ولا عمر ولا عثمان رضي الله عنهم وإنما قصّ حين وقعت الفتنة انظر كتاب العلم للمقدسي ص ٥٢، وانظر ذكر أخبار أصبهان ١/ ١٣٦، طبع ليدن سنة ١٩٣١. وانظر تميز المرفوع عن الموضوع ص ١٨ : ب

(٣) انظر الخطط للمقريزي ٢/ ٢٤٦ - ٢٥٦ حيث يذكر بعض القصّاص والمساجد التي كانوا يقصون فيها، وكذلك البيان والتبيين ١/ ٣٦٨.

(٤) تنزيه الشريعة المرفوعة ٢/ ٣٧٨.

وإذا ما ذُكِّروا بقوله ﷺ: «مَنْ كَذبَ عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعَده مِنَ النار" قالوا: نحن ما كذبنا عليه؛ وإنما كذبنا له»[١]. وهذا لا شك من التلفيق.

قال يحيى بن سعيد القطان رحمه الله: «ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد»[٢].

ومما وضعه الصالحون أحاديث في فضائل السّور، وفي هذا يروي الحاكم بسنده إلى أبي عمّار المروي أنه قيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم: «من أين لك، عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: " إني رأيتُ الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة، ومغازى ابن إسحاق، فوضعتُ هذا الحديث حسبة»[٣].

٦- الخلافات المذهبية والكلامية

وما روى أنه قيل لمحمد بن عكاشة الكرماني: «إن قوماً يرفعون أيديهم عند الركوع وفي الرفع منه»، فقال: حدثنا المسيب بن واضح... عن عبد الله بن عمر عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ: «من رفع يديه في الركوع، فلا صلاة له»[٤].

وكذلك ما رواه زهير بن معاوية قال أخبرنا محرز أبو رجاء - وكان يرى رأى القدر فتاب منه - فقال: «لا ترووا عن أحد من أهل القدر شيئاً، فو الله لقد كنّا نضع الأحاديث ندخل بها الناس».

قال زهير: «فقلت له: «كيف تصنع بمن أدخلّتهم» ؟ قال: «ها أنا ذا أُخرجهم الأول فالأول»[٥].

---

(١) انظر اختصار علوم الحديث ص ٨٦ .
(٢) اللآلئ المصنوعة ٢/ ٢٤٨ .
(٣) تدريب الراوي ص ١٨٤، واللآلئ المصنوعة ٢/ ٢٤٨ .
(٤) تدريب الراوي ١٨١، والباعث الحثيث ص ٨٢ وقال الحاكم: فهذا مع كونه كذباً من أنجس الكذب، فإن الرواية عن الزهري بهذا السند بالغة مبلغ القطع بإثبات الرفع عند الركوع وعند الاعتدال وعي في موطأ مالك وسائر كتب الحديث أ. هـ من لسان الميزان ٥/ ٢٨٨ - ٢٨٩ .
(٥) الجرح والتعديل ١/ ٢٢ وفيه (هوذا) بدل «ها أنا ذا» وما أُثبت أصوب.

٧- التقرب من الحكام وأسباب أخرى:

كما حدث في عهد العباسيين، فقد أسند الحاكم: «عن هارون بن أبي عبيد الله عن أبيه قال: «قال المهدي» ألا ترى ما يقول لي مقاتل ؟ قال: «إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس»، قلت: «لا حاجة لي فيها»[(١)].

وقد كذَّب غياث بن إبراهيم للمهدي في حديث: «لا سبق إلا في نصل، أو خُف أو حافر» فزاد فيه: «أو جناح». حين رآه يلعب بالحمام، فتركها المهدي بعد ذلك وأمر بذبحها، وقال فيه بعد أن ولىّ: «أشهد على قفاك أنه قفا كذب على رسول الله ﷺ»[(٢)].

جهود السّلف في محاربة الأحاديث الموضوعة

وإليك بعض ما بذله علماء الأمة في سبيل حفظ الحديث الشريف:

أولًا: التزام الإسناد

يخبرنا الإمام محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ عن ذلك فيقول: «ما يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمّوا لنا رجالكم»، «فينُظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينُظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[(٣)].

ثانياً: مضاعفة النشاط العلمي والتّثبت في الحديث

مِنْ نِعَم الله عزّ وجلّ على المسلمين أن انبث الصحابة في الأمصار والبلدان، وكُتِبَ لبعضهم طول العمر ليساهموا في حفظ السنة المحمدية إثر الفتنة.

وكان كثير من طلاب العلم يرحلون إلى الصحابة، ويقطعون الفيافي والقفار للتأكد من حديث سمعوه من تابعي عندهم، وهذا معنى قول أبي العالية: «كنّا نسمع الرواية

(١) تدريب الراوي ص ١٨٧ والباعث الحثيث ص ٩٤ وأبو عبيد الله هو وزير المهدي .
(٢) والباعث الحثيث ص ٩٤، وتدريب الراوي ص ١٨٧، وتوضيح الأفكار ٢/ ٧٦ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١/ .٨٤ وسنن الدارمي جابر ١/ ١١٢ومحمد بن سيرين: تابعي جليل ولد سنة ٣٣ هـ وتوفي سنة ١١٠هـ.

عن أصحاب رسول الله ﷺ بالبصرة، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم».

بل إن الصحابة رحل بعضهم إلى بعض في سبيل هذا، فقد ارتحل أبو أيوب إلى عقبة بن عامر في مصر ،[(١)] ورحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أُنيس في حديث[(٢)] وغيرهم كثير.

وقد كان مسروق كثير الرحلة في طلب الحديث ومذاكرته[(٣)]، وحدَّث الشعبي بحديث ثم قال لسامعه: «خُذها بغير شيء، قد كان الرجل يرحل فيما دونها إلى المدينة»[(٤)].

ثالثاً: تتبع الكذَبة

وإلى جانب احتياط العلماء وتثبّتهم في قبول الأخبار، كان بعضهم يحاربون الكذابين علانية ويمنعونهم من التحدّث، ويستعدون عليهم السلطان.

قال الشافعي: «ولولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق»، وكان يجيء إلى الرجل فيقول: «لا تحدث ! وإلا استعديت عليك السلطان»[(٥)].

كيف يُعرف الحديث الموضوع ؟

وكما وضع العلماء قواعد دقيقة لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من الحديث وضعوا قواعد لمعرفة الموضوع منه، وذكروا ما يدل على الوضع في سند الحديث وما يدل عليه في متنه، وسنوجز هذه العلامات فيما يلي:

---

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله ١/ ٩٣.
(٢) انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٦٨، وجامع بيان العلم ص ١/ ٩٣، وتهذيب التهذيب ٥/ ١٤٩-١٥٠ .
(٣) انظر جامع العلم وفضله ١/ ٩٤.
(٤) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ .
(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٤٩ : آ

١- علامات الوضع في السّند:

أ- أن يعترف راوي الحديث بكِذبه، ويقر باختلاقه ما يروي، كما أقر عبد الكريم الوضّاع، وأبو عصمة نوح بن أبي مريم، وكما اعترف أبو جزى وهو مريض فقال: «لولا أنه حضرني من الله ما ترون، كنت خليقاً ألا أقرّ ولا أعترف، ولكني أشهدكم أني وضعت من الحديث كذا كذا، وإني أستغفر الله منها وأتوب إليه»[(١)].

وهذا أقوى دليل على كون الحديث موضوعاً.

ب- وجود قرينة تقوم مقام الاعتراف بالوضع

كأن يروي عن شيخ لم يلقه، أو يروي عن شيخ في بلد لم يرحل إليه، أو يروى عن شيخ وُلِد بعد وفاته، أو تُوفِى هذا الشيخ والراوي صغير لا يدرك، قيل لشعبة: «لم لا تحدِّث عن عثمان بن أبي اليقظان»، وهو عثمان بن عمير ؟

فقال: «كيف أحدِّث عن رجل كنت جالساً معه فسألته عن سِنّه، فأخبرني بمولده ثم حدِّث عن رجل قد مات قبل أن يُولد»[(٢)].

ج- أن يتفرَّد راو معروف بالكذب برواية حديث، ولا يرويه ثقة غيره، فيُحكم على روايته بالوضع، وقد استقصى جهابذة الأمة الكذّابين، وبيّنوا ما كذبوا فيه حتى لم يخف منهم أحد.

د- ومن القرآئن التي يُدرك بها الوضع، ما يؤخذ من حال الراوي، كما وقع للمأمون ابن أحمد، أنه ذُكِر بحضرته الخلاف في كون الحسن سمع من أبي هريرة أو لا ؟ فساق في الحال إسناده إلى النبي ﷺ أنه قال: «سمع الحسن من أبي هريرة»[(٣)].

---

(١) قبول الأخبار ص ٦ .
(٢) قبول الأخبار ص ١٦ .
(٣) قواعد التحديث ص ١٣ وقيل لمآمون بن أحمد الهروي: ألا ترى إلى الشافعي ومن تبعه بخراسان؟ فقال: حدثنا أحمد بن عبد الله . . . عن أنس مرفوعاً «يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن ادريس أضر على أمتي من إبليس». انظر تدريب الراوي ص١٨١ .

٢- علامات الوضع في المتن

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وسُئِلت: هل يمكن معرفة الموضوع بضابط، من غير أن يُنظَر في سنده ؟ فهذا سؤال عظيم القدر، وإنما يعلم ذلك من تضلَّع في معرفة السنن الصحيحة، واختلطت بدمه ولحمه، وصار له فيها مَلَكَة، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار، ومعرفة رسول الله ﷺ وهديه، فيما يأمر به وينهى عنه، ويخبر عنه ويدعو إليه، ويحبه ويكرهه ويشرعه للأمة بحيث كأنه مخالط للرسول ﷺ كواحد من أصحابه ومثل هذا يعرف - من أحوال الرسول ﷺ وهديه وكلامه، وما يجوز أن يخبر عنه، وما لا يجوز - ما لا يعرفه غيره، وهذا شأن كل متَّبع مع متبوعه فلأخص به، الحريص على تتبع أقواله وأفعاله في العلم بها والتمييّز بين ما يصح أن يُنسب إليه وما لا يصح.

وهذا شأن المقِلّدين مع أئمتهم: يعرفون من أقوالهم ونصوصهم ومذاهبهم وأساليبهم ومشاربهم - ما لا يعرفه غيرهم)[١].

ومن القرآئن التي تدلّ على الوضع في المتن

أ- ركاكة اللّفظ في المروي:

بحيث يُدرك من له إلمام باللّغة أن هذا ليس من فصاحة النبي ﷺ وقد وضعت أحاديث ركيكة تشهد ألفاظها ومعانيها لوضعها. قال الخافظ ابن حجر: «المدار في الركّة على ركّة المعنى. فحيثما وُجدت دلّت على الوضع، وإن لم ينضم إليها ركّة اللّفظ لأن هذا الدِّين كله محاسن. والركّة ترجع إلى الرداءة. أما ركاكة اللّفظ فقط، فلا تدل على ذلك، لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى فغيّر ألفاظه بغير فصيح، نعم، إن صرّح بأنه من لفظ النبي ﷺ فكاذب»[٢].

---

(١) المنار لابن قيم الجوزية ص ١٥ وانظر قواعد التحديث ص ١٤٨ .
(٢) الباعث الحثيث ص ٩٠ .

قال الربيع بن خثيم: «إن للحديث ضوءاً كضوء النهار، تعرفه، وظلمة كظلمة الليل، تنكره».

ب- فساد المعنى:

كالأحاديث التي يكذِّبها الحسّ، نحو حديث: «الباذنجان لما أُكل له»[١] «والباذنجان شفاء من كل داء»[٢]. ومنها سماجة الحديث، وكونه مما يُسخر منه كحديث: «لو كان الأرز رجلًا لكان حليما، ما أكله جائع إلا أشبعه»[٣].

قال ابن قيم الجوزية: فهذا من السمج البارد الذي يصان عنه كلام العقلاء، فضلًا عن كلام سيد الأنبياء[٤].

وكذلك حديث: «من اتخذ ديكاً أبيض لم يقربه شيطان ولا سحر»[٥].

وكل ما يّدل على إباحة المفاسد والسّير وراء الشهوات، كحديث: ثلاثة تزيد في البَصَر: «النَّظر إلى الخضرة، والماء الجاري، والوجه الحسن»[٦].

وحديث: «النّظر إلى الوجه الجميل عبادة»[٧].

قال ابن قيم الجوزية: «وكل حديث فيه ذكر حسان الوجوه أو الثناء عليهم، أو الأمر بالنظر إليهم، أو التماس الحوائج منهم أو أن النار لا تمسهم - فَكذب مُختلق وإفك مُفترى»[٨].

---

(١) المنار لابن قيم الجوزية ص ١٩ .
(٢) المصدر السابق.
(٣) المنار لابن القيم الجوزية ص ٢٠ .
(٤) المنار لابن قيم الجوزية ص ٢٠
(٥) المرجع السابق ص ٢١ .
(٦) انظر المنار لابن قيم الجوزية ص ٢٤ .
(٧) المصدر السابق .
(٨) المصدر السابق .

ت- ما يناقض نصّ الكتاب أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي[١]، وما يناقض السنة مناقضة بيّنة:

قال ابن قيم الجوزية: «ومنها[٢] مخالفة الحديث صريح القرآن:

كحديث: «مقدار الدنيا وأنهار سبعة آلاف سنة. ويجيء في الألف السابعة»[٣].

وهذا من أبين الكذب، لأنه لو كان صحيحاً لكان كل أحد عالماً أنه قد بقى للقيامة من وقتنا هذا،[٤] مائتان وخمسون سنة.

والله تعالى يقول: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]. وقال النبي ﷺ: «لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»[٥].

وكذلك جميع الأحاديث التي تنصّ على وصاية علّي رضي الله عنه أو على خلافته غير صحيحة وهي موضوعة، لأنها تخالف ما أجمعت عليه الأمة من أنه ﷺ لم ينصّ على تولية أحد بعده[٦].

ث- كل حديث يدّعي تواطؤ الصحابة على كتمان أمر، وعدم نقله:

كما تزعم الرافضة: «أنه رضي الله عنه أخذ بيد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بمحضر من الصحابة كلهم، وهم راجعون من حجة الوداع، فأقامه بينهم حتى عرفه الجميع ثم قال: «هذا وصِّي وأخي، والخليفة من بعدي، فأسمعوا وأطيعوا له «ثم اتفق الكلّ

---

(١) انظر توضيح الأفكار ٢/٩٦ .
(٢) أي الأمور التي يعرف بها كون الحديث موضوعاً.
(٣) لعله يريد أنه يجيء نهاية عمر الدنيا في الألف السابعة.
(٤) عاش ابن قيم الجوزية من سنة (٦٩١ إلى سنة ٧٥٢ هـ)
(٥) المنار لابن قيم الجوزية ص ٣١ .
(٦) المنار ص ٢٢ .

على كتمان ذلك وتغييره، فلعنة الله على الكاذبين»[١].

ج- كل حديث يخالف الحقائق التاريخية التي جرت في عصر الرسول ﷺ:

أو اقترن بقرائن تثبت بطلانه. مثل حديث: «وضع الجزية عن أهل خيبر»، فهو كِذب من عدة وجوه:

أحدهما: أن فيه شهادة سعد بن معاذ رضي الله عنه، وسعد توفى قبل ذلك في غزاة الخندق.

الثاني: أن الجزية لم تكن نزلت حينئذٍ، ولا يعرفها الصحابة ولا العرب، وإنما أُنزِلَت بعد عام تبوك، حين وضعها النبي ﷺ على نصارى نجران، ويهود اليمن... وبين ابن قيم الجوزية كذب هذا في عشرة أدلة قوية[٢].

د- أن يكون خبراً عن أمر جسيم ولا ينقله إلا واحد:

كحصر العدو للحاج عن البيت ثم لا ينقله منهم إلا واحد، لأن العادة جارية بتظاهر الأخبار في مثل ذلك.

ويُمثّله الأصوليون بقتل الخطيب على المنبر، ولا ينقله إلا واحد من الحاضرين[٣].

هـ - موافقة الحديث لمذهب الراوي، وهو متعصّب مغال في تعصّبه:

كأن يروي رافضي حديثاً في فضائل أهل البيت، أو مرجئ حديثاً في الإرجاء، مثل ما رواه (حبة بن جوين) قال: «سمعت علياً رضي الله عنه قال: عبدت الله مع رسوله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين أو سبع سنين»، قال ابن حبان: كان (حبة) غالياً في التشيّع واهياً في الحديث»[٤].

---

(١) المنار ص ٢٢ .
(٢) انظر المنار ص ٣٧ - ٣٨ .
(٣) توضيح الأفكار ٢/٩٦ .
(٤) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ١١٨ .

و- اشتمال الحديث على مجازفات وإفراط في الثواب العظيم مقابل عمل صغير:

مثال ذلك: «من قال لا إله إلا الله، خلق الله من تلك الكلمة طائراً، له سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة، يستغفرون له «و» من فعل كذا وكذا أُعطي في الجنة سبعين ألف مدينة، في كل مدينة سبعون ألف قصر في كل عصر سبعون ألف حوراء».

وأمثال هذه المجازفات الباردة التي لا يخلو حال واضعها من أحد أمرين:

- إما أن يكون في غاية الجهل والحمق.

- وإما أن يكون زنديقاً قصد التنقيص بالرسول ﷺ.

ي - أن يكون مخالف للعقل:

مثل ما رواه ابن الجوزي من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده مرفوعاً: «أنّ سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً! وصلّت عند المقام ركعتين»! فهذا من سخافات عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقد ثبت عنه من طرق أخرى نقلها في التهذيب (ج٦ ص ١٧٩) عن الساحي عن الربيع عن الشافعي قال: قيل لعبد الرحمن بن زيد: «حدثك أبوك عن جدك أن رسول الله ﷺ قال إن سفينة نوح طافت بالبيت، وصلّت خلف المقام ركعتين!؟ قال نعم!».

«وقد عُرِف عبد الرحمن بمثل هذه الغرائب، حتى قال الشافعي فيما نقل في التهذيب - وذكر رجل لمالك حديثاً منقطعاً، فقال اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه نوح!».

أمثلة للأحاديث الموضوعة:

١- (لما اقترف آدم الخطيئة، قال: «يا رب ! أسألك بحق محمد لما غفرت لي» فقال الله: يا آدم ! وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال: يا رب ! لمَّا خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك، رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله: «صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليّ ادعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك»[1].

٢- (أفضل الأيام يوم عرفة إذا وافق يوم الجمعة، وهو أفضل من سبعين حجة في غير جمعة)[2].

٣-(لولاك (محمد ﷺ) لما خلقت الأفلاك)[3].

٤- (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)[4]

٥- (طاعة المرأة ندامة)[5].

٦- (اختلاف أمتي رحمة)[6].

٧- (أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم)[7].

٨- (إذا مات الرجل منكم، فدفنتموه، فليقم أحدكم عند رأسه، فليقل: «يا فلان ابن

---

(١) (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ٣٨ . أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٥ وصحح إسناده وتعقبه الذهبي بقوله: بل وموضوع .
(٢) (باطل لا أصل له) السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ٢٤٥ .
(٣) (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ٢٩٩ . كما قاله الصغاني في الأحاديث الموضوعة وابن الجوزي والسيوطي في اللالئ ٢٧٢ .
(٤) (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ٣١٦ .
(٥) (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ٤٣٢ . رواه ابن عدي ١/٣٠٨ .
(٦) (لا أصل له) السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ٧٦ .
(٧) (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ٧٨ .

فلانة ! فإنه سيسمع»، فليقل: «يا فلان ابن فلانة» ! فإنه سيستوي قاعداً فليقل: «يا فلان ابن فلانة فإنه سيقول: أرشدني، أرشدني، رحمك الله، فليقل: اذكر ما خرجت عليه من دار الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فإن منكراً ونكيراً، يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه، ويقول له: «ما نصنع عند رجل قد لقِّن حجته» ؟ فيكون الله حجيجهما دونه)[١].

٩- (من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدا)[٢].

١٠- (خلق الورد الأبيض من عرقي، وخلق الورد الأصفر من عرق البُراق)[٣].

١١- (من حدث حديثاً فعطس عنده، فهو حق)[٤].

* * *

---

(١) (منكر) السلسلة الضعيفة للألباني ٢/ ٦٤ .

(٢) موضوع السلسلة الضعيفة للألباني ٢/ ٨٩ .

(٣) (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني ٢/ ١٨٧

(٤) (باطل) السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ١٦٧ .

المبحث العاشر:
نبذ التّحزّب والتّعصّب

تعريف التحزّب: هو التّجمّع، من الحزب وهم الجماعة، والجمع أحزاب: وهم كلّ قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم، أو كلّ طائفة هواهم واحد.

وحزب الرّجل: أصحابه وجنده الذين على رأيه؛ والتّحزّب قد يمدح وقد يذم.

مدح الحزب المنسوب لله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥- ٥٦].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فحزب الله هم أولياؤه الذين أحبّوا فيه، وأبغضوا فيه ولأجله، وناصروا أولياءه وعادوا أعداءه فكان اجتماعهم وتحزّبهم لله وفي الله، حيث ربط الله المؤمنين بأخوة الإيمان فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. وشرع بينهم الموالاة والنصرة والتّراحم والتّعاطف، كما قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى»(١).

ودعاهم إلى الائتلاف والتعاون والاجتماع، ونهاهم عن التفرّق والتّشتّت والاختلاف فقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

---

(١) متفق عليه البخاري رقم: ٥٥٥٢ ومسلم: ٤٦٨٥ .

ذم الحزب المنسوب لغير الله تعالى:

قال الله تعالى في ذم الحزب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥- ٥٣].

وقال تعالى﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١- ٣٢].

ومنه التّحزّب غير المشروع ،كما في حديث الإفك «وطفقت حمنة[١] تحازب لها»[٢] أي تتعصَّب وتسعى سعي جماعتها الذين يتحزبون لها[٣].

لقد جاء الإسلام ليأمر الناس بالاعتصام والاتحاد، وينهي عن كل ما من شأنه أن يضعف هذه الوحدة، ومنها التّحزّب والتّعصب والذي جاء بالشرع بمعنى الغُلو: أي مجاوزة الحد والقدر سواء كان هذا التعصب لبلد أو قبيلة أو جنس أو لون أو جماعة أو شيخ. . .ومن هذه الأدلة:

١- نهيه ﷺ أن يُخيَّر على الأنبياء إذا كان على وجه العصبية - مع أنه ﷺ هو سيد البشر وخيرهم وأفضلهم -: فهذا رجل من الأنصار يسمع يهودياً يقول: «لا والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر» فيلطم وجهه، ويقول: «تقول: والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر ورسوله ﷺ بين أظهرنا» ؟ فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فلما أخبره غضب رسول الله ﷺ حتى عُرف الغضب في وجهه ثم قال: (لا تفضلِوا بين أنبياء الله)[٤].

طبعاً إذا كان هذا التفضيل على وجه العصبية وإرادة التّنقّص من الغير، مع أن الله

---

(١) حمنة بنت جحش رضي الله عنها .
(٢) أي أختها زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ (رضي الله عنها) .
(٣) النهاية لابن الأثير ١/ ٣٧٧ .
(٤) البخاري الرقائق ص٤٣ توحيد ٣١ خصومات ١ أنبياء ٣١/ فضائل ١٦٠ أبو داود ١٨ .

تعالى يقول: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كنّا في غزوة فَكَسَع[1] رجل من المهاجرين»، رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: «ياللأنصار»، ! وقال المهاجري: «ياللمهاجرين». فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ما بال دعوى الجاهلية ؟» قالوا: يا رسول الله ! كسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار فقال: «دعوها فإنها منتنة..»[2].

فسمّاها الرسول ﷺ بأنها جاهلية، هذا إن كان على قصد ما كانوا عليه في الجاهلية من التعاضد بين بالقبائل في أمر من أمور الدنيا ومتعلقاتها والتي تأخذ حقوقها بالعصبات والقبائل، مع أن الله قد أثنى على المهاجرين والأنصار.

قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٧٧]. :

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

٣- وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قاتل تحت راية عُميَّة، يغضب لعصبية أو يدعو إلى عصبية، أو ينصر عصبية فقُتِل فقتلته جاهلية»[3].

---

(١) فَكَسَع ضرب ظهره بيده، أو رجله.
(٢) رواه أحمد ٣/ ٣٣٨ والبخاري ٦٣/ ٥، ٧ ومسلم ٦٣ والترمذي سورة ٦٣/ ٤ قاله النووي وابن حجر.
(٣) رواه مسلم ٣/ ١٤٧٨ كتاب الإمارة.

أنواع التّعصُّب

أولًا: التّعصُّب المذهبي:

لقد وصل التعصب المذهبي إلى أشده (خاصة في الأئمة) في القرن الثالث الهجري ولم تبد هذه الظاهرة إلا من الأتباع الجاهلين، فقد منع بعض الفقهاء الأحناف تزوج الحنفي من شافعية[١] ثم صدرت فتوى من فقيه آخر ملقب بمفتي الثّقلين فأجاز تزوج الحنفي بالشافعية، وعلّل ذلك بقوله: «تنزيلًا لهما منزلة أهل الكتاب»[٢] ومفهوم ذلك: أنه لا يجوز تزوج الشافعي بالحنفية، كما لا يجوز تزوج الكتابي بالمسلمة ![٣].

- وقال محمد بن موسى البلاساغوني: «لو كان لي لأخذت الجزية من الشافعية!»[٤].

- نرى أبا الحسن الكَرخي يقول: «كل آية تُخالف ما عليه أصحابنا، فهي مؤوَّلة أو منسوخة ! والحديث كذلك، فهو مُؤَوّل أو منسوخ»[٥].

وهذا كلامٌ باطلٌ إذ: «الحقّ يستحيل أن يكون وقفاً على فئةٍ معيَّنةٍ دون غيرها، والمنصِف مَن دقّقَ في المدارك غاية التدقيق»[٦].

ومن ذلك ما قاله صاحب كتاب مراقي الفلاح الحنفي[٧] عن ماء البئر النجس الذي

---

(١) وسبب ذلك اختلاف المذهبين في مسألة الاستثناء في الإيمان، فبينما يقول الحنفي: «أنا مؤمن حقاً» يقول الشافعي: أنا مؤمن إن شاء الله وذلك بناء على اختلافهما في تعريف الإيمان، وهذا يبيِّن أن الاختلاف لم يقتصر على الفروع، بل تعداه إلى الأصول أيضاً.

(٢) كتاب البحر الرائق لابن نجيم .

(٣) صفة صلاة النبي للعلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥/ ٤٤ - ٥٢).

(٤) ميزان الاعتدال (٤/ ٥١) للذهبي .

(٥) «تاريخ التشريع الإسلامي» (ص ٣٣٢) للخضري .

(٦) الجرح والتعديل (٣٢) القاسمي.

(٧) (ص ٢١ - ٢٢) .

وقع فيه حيوان ومات وانتفخ، قال: «فإن عُجن بمائها يُلقى للكلاب، أو يُعلف به المواشي». وقال بعضهم: «يباع لشافعي»، فقد سوّى هذا الفقيه بين الكلاب والشافعية - والعياذ بالله، فتأمل.

ثم إن كثيراً من فقهاء الأحناف قد أفتوا ببطلان صلاة الحنفي وراء إمام شافعي. قال ابن الهمّام: قال أبو اليسر: «اقتداء الحنفي بشافعي غير جائر، لما روى مكحول النفسي في كتاب له، سماه (الشعاع) وأن رفع اليدين في الصلاة عند الركوع، والرفع منه مفسد، بناء على أنه عمل كثير.. ومنهم من قيّد جواز الاقتداء بهم كقاضيخان بأن لا يكون متعصباً، ولا شاكاً في إيمانه، ويحتاط في موضوع الخلاف»[1].

ومثل ذلك قال البابري في كتابه (شرح العناية على الهداية)[2].

ومن ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أن عزيز مصر - وهو الملك الأفضل ابن صلاح الدين - كان قد عزم في السنة التي توفي فيها، وهي سنة ٥٩٥ هـ، على إخراج الحنابلة من بلده، وأن يكتب إلى بقية إخوانه بإخراجهم من البلاد»[3].

كما روى أيضاً فتنة أخرى وقعت في دمشق: بسبب عبد الغني المقدسي الذي كان يُدرِّس في مقصورة الحنابلة بالجامع الأموي، فتعرض إلى مسألة صفات الله، فغضب أتباع المذاهب الأخرى، وعقد له الأمير (صارم الدين برغش) مجلساً وناظر الفقهاء، فلم يتفقوا، فأمر الأمير بنفيه من البلد، وأرسل الأسارى من القلعة، فكسروا منبر الحنابلة، وتعطلت يومئذٍ صلاة الظهر في محراب الحنابلة وأُخرجت الخزائن والصناديق التي كانت هناك، وجرت خبطة شديدة[4].

كما أنه كان يحدث خلاف شديد بين الحنفية والشافعية، حتى كان يؤول الأمر في

(١) فتح القدير (١/ ٣١١ - ٣١٢).
(٢) على هامش فتح القدير ١/ ٣١٠).
(٣) البداية والنهاية (١٣/ ٨١)
(٤) البداية والنهاية (١٣/ ٩١ - ٢١)

بعض الأحيان إلى خراب البلاد؛ قال ياقوت الحموي عند الكلام عن مدينة (أصفهان) بعد أن ذكر مجدها القديم: "وقد فشا فيها الخراب في نواحيها، لكثرة الفتن والتّعصُّب بين الشافعية والحنفية، والحروب المتصلة بين الحزبين، فكلما ظهرت طائفة نهبت محلة الأخرى، وأحرقتها وخرّبتها لا يأخذهم في ذلك إلّ ولا ذِمة"[١].

حتى وصل بهم الأمر لوضع الأحاديث في الأئمة والمذاهب ومنها:

١- «يكون من أمتي رجل يُقال له: «محمد بن إدريس» أضر على أمتي من إبليس ويكون في أمتي رجل يُقال له: «أبو حنيفة»هو سراج أمتي، وسيأتي من بعدي رجل يقال له: «النّعمان بن ثابت، ويكنى أبا حنيفة، ليحميّن دين الله وسنتي على يديه»».

٢- «كل من في السموات والأرض وما بينهما فهو مخلوق، غير الله والقرآن وذلك أنه كلامه، منه بدأ وإليه يعود، وسيجيء أقوام من أمتي، يقولون القرآن مخلوق فمن قاله منهم فقد كفر بالله العظيم وطُلِّقت امرأته من ساعته، لأنه لا ينبغي لمؤمنة أن تكون تحت كافر، إلا أن تكون سبقته بالقول»[٢].

وعلائم الوضع ظاهرة جليّة في تعليلاته، وركاكة لفظه.

٣- وعن زهير بن معاوية، قال أخبرنا محرز أبو رجاء - وكان يرى رأي القدر فتاب منه - فقال: «لا ترووا عن أحد من أهل القَدَر شيئاً، فوالله لقد كنا نضع الأحاديث، ندخل بها الناس في القدر، نحتسب بها، ولقد أدخلتُ أربعة آلاف من الناس.

قال زهير: فقلت له: كيف تصنع بمن أدخلتهم ؟ قال: هأنذا أخرجهم الأول فالأول»[٣].

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي (١/ ٢٧٣). انظر بدعة التعصب المذهبي للشيخ محمد عيد عباسي (حفظه الله) ٢١٢ - ٢١٤ .
(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة (١/ ١٣٤).
(٣) الجرح والتعديل (١/ ٣٢ وفيه (هو ذا) بدل: هأنذا وما أثبته أصوب.

ثانياً: التّعصُّب القومي:

لا يشك مُسلم له أدنى بصيرة بالتاريخ الإسلامي في فضل العرب المسلمين، وما قاموا به من حمل رسالة الإسلام في القرون المُفضّلة، وتبليغه لكافة الشعوب والصدق في الدعوة إلى الله، والجهاد لنشره والدفاع عنه، وتحمل المشاق العظيمة في ذلك، حتى أظهره الله على أيديهم، وخفقت رايته في أغلب المعمورة.

كما لا يشك مُسلم أيضا ما للمسلمين غير العرب من الفضل والجهاد المشكور في مساعدة إخوانهم من العرب المسلمين في نشر هذا الدين، والجهاد في إعلاء كلمته وتبليغه سكان المعمورة شكر الله للجميع مساعيهم الجليلة، وجعلنا من أتباعهم بإحسان، إنه على كل شيء قدير.

وقد اختلف الدعاة إليها (القومية) في عناصرها، فمن قائل: «إنها الوطن والنَّسب واللغة العربية»، ومن قائل: «إنها اللغة فقط»، ومن قائل: «إنها اللغة، مع المشاركة في الآلام والآمال، إلى غير ذلك».

أمّا الدِّين فليس من عناصرها عند أساطينهم[1] والصرحاء منهم، وقد صرَّح كثير بأن الدِّيـــن لا دخل له في القومية، وصرَّح بعضهم أنها تحترم الأديان كلها من الإسلام وغيره!.

---

(١) مثل: (انطون سعادة) مؤسس الحزب القومي السوري، وواضع معظم كتبه، وهي نشوء الأمم - المحاضرات العشر . . . . وقد أُعدِم رمياً بالرصاص عام ١٩٤٩ حيث يقول: (إن أعظم عقبة في سبيل تحقيق وحدتنا القومية وفلاحنا القومي : " هي تعلق المؤسسات الدينية بالسلطة الزمنية، وتشبث المراجع الدينية بوجوب كونها مراجع السيادة في الدولة وقبضها على زمام سلطاتها أو بعض سلطاتها على الأقل، والحقيقة أن معارك التحرر البشري الكبرى كانت تلك التي قامت بين مصالح الأمم ومصالح المؤسسات الدينية المتشبثة بمبدأ الحق الإلهي، والشرع في حُكم الشعوب والقضاء فيها . . وهو مبدأ خطر استعبد الشعوب للمؤسسات الدينية استعباداً أرهقها، هذه هي الوجهة الدنيا من الدين . . هي الوجهة التي كان الدين ولا يزال يصلح لها حين كان الإنسان لا يزال في طور بربريته أو قريباً منها، أما في عصرنا الثقافي فإنه لم يعد يصلح. (المحاضرات العشر لسعادة صفحة (١٠٠ - ١٠٣) .

ومن المعلوم من دين الإسلام بالضرورة، أن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات، دعوة باطلة، وخطأ عظيم، ومنكر ظاهر، وجاهلية نكراء وكيد سافر للإسلام وأهله، وذلك لوجوه:

١- أن الدعوة إلى القومية العربيةُ تفرّق بين المسلمين، وتفصل المُسلم العَجَمي عن أخيه العربي، وتُفرّق بين العرب أنفسهم، لأنهم ليسوا يرتضونها، وإنما يرضاها منهم قوم دون قوم، وكل فكرة تُقسِّم المسلمين - وتجعلهم أحزاباً - فكرة باطلة، تخالف مقاصد الإسلام وما يرمي إليه.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢- ٦٣].

٢- أن الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية، وحذّر منها، وأبدى في ذلك وأعاد في نصوص كثيرة، بل قد جاءت النصوص تنهى عن جميع أخلاق الجاهلية وأعمالهم إلا ما أقره الإسلام من ذلك، ولا ريب أن الدعوة إلى القومية العربية من أمر الجاهلية لأنها دعوة إلى غير الإسلام ومناصرة الجاهلية، وكم جرَّت دعوى الجاهلية على أهلها من ويلات وحروب طاحنة، وقودها النفوس والأموال والأعراض، وعاقبتها تمزيق الشَّمل وغرس العداوة والشحناء في القلوب، والتفريق بين القبائل والشعوب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كل ما خرج من دعوى الإسلام والقرآن من نسب، أو بلد، أو جِنس، أو مذهب أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله أوحى إليّ: أن تواضعوا، حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد»[1].

ولا ريب أن دعاة القومية يدعون إلى عصبية ويغضبون لعصبية، ويقاتلون على عصبية، ولا ريب أيضاً أن الدعوة إلى القومية تدعو إلى البغي والفخر لأن القومية

(١) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه عن عياض بن حمار .

ليست ديناً سماوياً يمنع أهله من البغي والفخر، وإنما هي فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر، بها والتعصب لها على من نالها بشيء.

ومن النصوص الواردة في ذلك ما رواه الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الله قد أذهبَ عنكم عُبِّيَّة الجاهليّةِ وفخرَها بالآباءِ، إنما هو مؤمن تقيٌّ أو فاجِر شقيٌّ الناس بنو آدمَ، وآدمُ خُلِقَ من ترابٍ، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»[1]. وهذا الحديث يوافق قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٣]. أوضح سبحانه بهذه الآية الكريمة أنه جعل الناس شعوباً وقبائل للتعارف لا للتفاخر والتعاظم».

ومن ذلك ما ثبت في الحديث الصحيح عن الحارث الأشعري في حديث طويل أن النبي ﷺ قال: «إنّ الله أمر يحيى بن زكريا بخمس أن يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن»... إلى قوله: «ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جُثاءِ جهنم» قيل: يا رسول الله ﷺ! وإن صلى، وصام؟ قال: «وإن صلى وإن صام وزعم أنه مسلم، فادعوا الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله»[2].

٣- من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية:

أنها سِلّم إلى موالاة كفار العرب، وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين، واتخاذهم بطانة، والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم.

ومعلوم ما في هذا من الفساد الكبير والمخالفة لنصوص القرآن والسنة، الدالة على وجوب بغض الكافرين من العرب وغيرهم، ومعاداتهم، وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة والنصوص في هذا المعنى كثيرة منها قوله تعالى: ﴿۞ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟

---

(١) رواه أحمد وأبو داود أيضاً وحسنه الألباني الجامع ١٧٨٣ تخريج الحلال ٣١٢.

(٢) رواه أحمد والبخاري في تاريخه والترمذي وغيرهم، وصححه الألباني الجامع برقم: ١٧٢٠ والترغيب ١/ ٨٩، ١/ ٩٧.

ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١، ٥٢][١].

ثالثاً: التّعصّب القَبلي:

تعريف العصبية:

العصبية في اللغة[٢]: مشتقة من «العَصْبِ»، وهو: الطَّيُّ والشَّدُّ. والتَّعَصُّب: المحاماة والمدافعة.

والعَصَبَة: الأقاربُ من جهة الأب، وعَصَبَةُ الرَّجُلِ: أولياؤه الذكورُ من وَرَثَتِه سُمُّوا عَصَبَةً لأنهم عَصَبُوا بنسبه، أي أحاطوا به.

والعُصْبَة والعِصَابة: الجماعة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ٨]، ومنه حديث: «اللّهمّ إن تُهلِك هَذه العِصابة من أهل الإسلام، لا تُعبَد في الأرض»[٣].

العصبية في الاصطلاح:

العصبية أن يدعو الرجل إلى نصرة عَصَبته والتألبِ معهم، على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين[٤].

وقيل هي النُّعَرَةُ[٥]: «على ذوي القربى، وأهلِ الأرحام أن ينالهم ضَيْم، أو تصيبَهم

---

(١) انظر نقد القومية العربية لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) انظر: مادة (ع ص ب) في «تهذيب اللغة» للأزهري (٤٥ - ٥١)، «والصحاح» للجوهري (١/ ١٨٢ - ١٨٣) «ولسان العرب» لابن منظور (٤/ ٢٩٦٤ - ٢٩٦٦) «والقاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص ١٤٨) وموسعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (٩٤٦).

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٧٦٣)، من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (٢٤٥٣ ع ص ب).

(٥) النُّعَرَةُ: يضم النون، وفتح العين "هُمَزَة" والعامّة تقول: النَّعْرَة على وزن التَّمْرَة. انظر: تاج العروس للزبيدي (٧/ ٥٤٣ ن ع ر).

هَلَكة... ومن هذا الباب الولاء والحِلْف، إذ نُعَرَةُ كل أحدٍ على أهل ولائه وحِلْفه»[١].

مفهوم القبلية:

هي نسبة إلى القَبيلة، ويُنسب إليها فيقال: قَبيليَّة، والقبيلة من الناس: «بنو أب واحد. ومعنى القبيلة من ولد إسماعيل: معنى الجماعة؛ يقال لكل جماعة من أب واحد: قبيلة»[٢].

الترهيب من العصبية القبلية:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات].

قال رسول الله ﷺ: «أربع في أمَّتي من أمر الجاهليَّة، لا يَتركُونَهنَّ: الفَخرُ في الأحسَابِ، والطَّعنُ في الأنْسَابِ، والإستِسقَاءُ بِالنُّجُوم، والنِّيَاحَةُ»[٣].

وليس من المعيب أن يحفظ الإنسان نسبه وحسبه، لكن الزلل يكمن في أن يعتقد أن ذلك هو معيار التفاضل بين البشر، أو أن يتخذ ذلك سبباً للتعالي والتكبر على الآخرين، أو التفريق بين عباد الله المسلمين، وتصنيفهم.

وإن من أعظم البغي تطاول عباد الله بعضهم على بعض، والنبي ﷺ يقول: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»[٤]. ويقول عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٢٣٥).
(٢) لسان العرب لابن منظور (٥/٣٥١٩ ق ب ل).
(٣) أخرجه مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.
(٤) أخرجه أحمد (٢٠٦٦٩)، وأبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١١)، وابن ماجه (٤٢١١) من حديث بكرة نُفَيْع بن الحارث رضي الله عنه وحسنه الألباني صحيح الترغيب والترهيب ٣/٧٩ برقم ٢٩٦٥.

عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ ،أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنْ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتِنَ»[١] .

قال ابن إسحاق: «مر شاس بن قيس - وكان شيخاً قد عسا[٢]، عظيم الكفر شديد الضّغْن[٣] على المسلمين، شديد الحسد لهم - على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج، في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من أُلْفتهم، وجماعتهم، وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية. فقال: قد اجتمع ملأ بني قَيْلَة بهذه البلاد، لا والله لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتىٔ شاباً من يهود كان معهم فقال: «أعمد إليهم فجلس معهم ثم اذكر يوم بُعَاث[٤] وما كان قبله، وأنشِدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل. فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا، وتفاخروا حتى توثب رجلان من الحيَّين على الرُّكَب، فتقاولا، ثم قال أحدهما إلى صاحبه: إن شئتم رددناها الآن جَذَعة، فغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة والظاهرة: الحرَّة - السّلاح السّلاح. فخرجوا إليها، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ: «فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين، حتى جاءهم فقال: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ اللّهَ اللّهَ أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ أَنْ هَدَاكُمْ اللّهُ لِلْإِسْلَامِ وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيّةِ وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنْ الْكُفْرِ وَأَلّفَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنّهَا نَزْغَةٌ مِنْ الشّيْطَانِ وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوّهِمْ فَبَكَوْا وَعَانَقَ الرّجَالُ مِنْ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمّ انْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ»[٥] .

---

(١) رواه أحمد (٨٣٨١) والترمذي (٤٤٥٢) وحسنه الألباني في الجامع (١٧٨٣) .

(٢) عسا : أسَنَّ .

(٣) الضِّغْن : الحقد .

(٤) بُعَاث : موضع بالمدينة، ويوم بُعَاث : يوم اقتتلت فيه الأوس والخزرج في الجاهلية، وكان النصر فيه للأوس .

(٥) أخرجه بن هشام في السيرة (٢/ ١٣٦-١٣٧) والطبري في التفسير (٧٥٢٤)

ولقد جاء في الحديث قوله ﷺ: «إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِمَسَبَّةٍ عَلَى أَحَدٍ كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَئُوهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِدِينٍ أَوْ تَقْوَى وَكَفَى بِالرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ بَذِيًّا بَخِيلاً فَاحِشًا»(١).

ولو أن النسب ينفع صاحبه دون العمل، لانتفع أبو لهب بنسبه، ولكن هيهات وقد قال الله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وقال لنبيه ﷺ: «أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي (يَعْنِي فُلَانًا) لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»(٢).

وقال أيضاً: «وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»(٣)، كما يؤكد هذا المعنى قوله ﷺ - حين أنزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا»(٤).

لَعَمْرُكَ ما الإِنْسَانُ إلا بِدِينِهِ ... فَلا تَتْرُكِ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبْ
فَقَدْ رَفَعَ الإِسْلَام سَلْمَانَ فَارِسٍ ... وقَدْ وَضَعَ الشِّرْكُ الشَّقِيَّ أبا لَهَبْ(٥)

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٥٨٣)، والطبراني في الكبير (٧١/رقم ٨١٤)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٧٨ برقم ٢٩٦٢ قال الألباني: صحيح لغيره.
(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٠) ومسلم (٢١٥)، واللفظ لمسلم.
(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٤). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) تنسب هذه الأبيات إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

حكم الإسلام في العصبية الجاهلية:

ويمكن تلخيص حكم الإسلام في العصبية الجاهلية في الأمور الآتية:

١- إلغاء العصبية الجاهلية، والتحذير منها:

كقوله ﷺ: «ومَن قاتل تحت راية عِمِّيَّةٍ[1]؛ يَغضبُ لعصبة، أو يدعو إلى عصبة أو يَنصُر عَصبة فقُتِل، فقِتلَةٌ جاهليَّة»[2].

٢- تقرير المساواة بين الناس، وعدم الاعتراف بالامتيازات الطبقية، أو النفوذ الموروث؛ فأساس التفاضل: التقوى والعمل الصالح؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] وعن أبي نَضرة قال: حدثني من سمع خُطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق؛ فقال: «يا أيها النّاس، ألا إنَّ ربكم واحد، وإن أباكم واحد ألا لا فضل لِعَرَبِّي على أعجميٍّ، ولا لِعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى»[3]. وعن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمَّهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلّم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة، حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلّمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «أتشفعُ في حَدٍّ من حدود الله ؟»، ثم قام فاختطب، فقال: «أيها النَّاس، إنَّما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحَدَّ وايْمُ الله، لو أنَّ فاطمة بِنْتَ مُحَمَّدٍ سرقت لقطعت يَدَها»[4].

٣ - إلغاء كل مظاهر العبودية لغير الله؛ من نحو تقديس الأعراف القبيلة والإنسياق معها باطلًا دون تبصُّر، إلا لمجرد الهوى واجتماع النّاس عليها، ومِن ثَمَّ إثبات العبودية

---

(١) عِمِّيَّة، أي: في الأمر الأعمى للعصبية، فلا يستبين المقابل ما وجه الأمر الذي عليه يقاتل. انظر لسان العرب (٤/ ٣١١٥ ع م ي).

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٨٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن المبارك في مسنده. (٢٣٩) وأحمد (٢٣٨٨٥). وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٠٠) والترغيب والترهيب (٢٩٦٣).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٧٥) وأخرجه مسلم (١٦٨٨).

لله وحده؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٤-النهي عن الطعن في الأنساب، وعن التفاخر؛ والتعاظم بالآباء، والأجداد والمآثر، والأمجاد؛ قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله أوْحَى إليَّ أن تَواضَعُوا حتى لا يَفْخَرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يَبْغِيَ أحدٌ على أحدٍ»[1].

مظاهر العصبية القبلية:

لم يكن العرب في الجاهلية أمة واحدة، ولا شعباً واحداً، بل كانوا قبائل وعصائب متفرقة، تحكمها أعراف قبلية متنوعة، وقد كانت العصبية القبلية هي أساس النظام الاجتماعي الجاهلي، الذي شعاره: «انصر أخالك ظالماً أو مظلوماً)[2]، الداعي إلى نصرة المنتسب إلى القبيلة دون اعتبار لكونه مُحقاً أو غير محق. ف «جنسيته» هي جنسية القبيلة المنحدر منها، و «هويَّته» التي يحملها في حِلّة وتَرحاله اسمُ قبيلته ذلك الاسم الذي يميزه عن أفراد القبائل الأخرى.

وقال ناطقهم:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويتُ، وإن ترشد غزية أرشدِ

من أبرز مظاهر العصبية:

أ- الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب:

إن اعتزاز الإنسان العربي بنسبه جعله يغلو فيه أحياناً، فلا يرى نسباً يضاهي نسب قبيلته نُبْلًا وشرفاً، ولا يرضى أن يتطاول أحداً من القبائل الأخرى فيدعي لنفسه نسباً أشرف من نسبه، أو حَسَباً أشرف أرومة منه، وما الأمثلة الآتية إلا صورة واضحة لذلك الغلو.

---

(١) أخرجه مسلم (٦١٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) وقد قيل: إن أول من قال: «انصر أخالك ظالماً أو مظلوماً» هو جُندب بن العنبر، وقد عنى بها ظاهرها، وهو: ما اعتيد من حمية الجاهلية. كما في: «فيض القدير» للمناوي (٣/ ٥٩).

وقول أبي ذر: «إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»[١].

وقد ورد أن بدر بن مَعْشَر - من بني مُدرِكة - وقف في الجاهلية بسوق عكاظ يفخر بنسبه، ويقول:

نحنُ بَنُو مُدْرِكَةَ بنِ خِنْدِفِ ... من يَطْعَنُوا في عَيْنِهِ لِمَ يَطْرِفِ[٢]

وَمَنْ يَكُونُوا قَوْمَهُ يُغَطْرِفِ[٣] ... كَأَنَّهُ لُجَّةُ بَحْرٍ مُسْدِفِ[٤]

ثم مد رجله، وقال: أنا أعز العرب، فمن زعم أنه أعز مني فليضربها. فلم يطق الأحمر بن مازن الهوازاني عنجهيته، وادعاءه رفع نسب قبيلته فوق أنساب القبائل الأخرى، فاستلّ سيفه وضرب رِجْله فأنْذَرها[٥] من الركَبة، غير مبالٍ بحرمة الشهر الحرام، وقد كاد الشر أن يستفحل بين قبيلتي الرجلين، لولا أنهم جنحوا إلى الصلح فيما بينهم[٦].

تلك - لا شك - صورة للغلو الشديد في التعصب القبلي، وهي - إنصافاً - الصورة السائدة في العصر الجاهلي. وكانت تلك الحادثة دافعاً حدا بالأحمر الهوازني إلى المزيد من الفخر بنفسه وقبيلته حين صورها في قوله[٧]:

إنِّي وَسيفي حليفا كلِّ داهِيَةٍ ... مِنَ الدَّواهي التي بالعَمدِ أَجنِيها

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩) .

(٢) لم يطرف : أي مات، وهو كقولهم : « ما بقيت منهم عين تَطْرِف». انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص١٥١-١٥٢).

(٣) يُغطرف : يمشي مختالًا فخوراً . انظر : القاموس المحيط (ص ١٠٨٨ غ ط ر ف) .

(٤) مسدف مظلم . انظر : القاموس المحيط (ص ١٠٥٨ س د ف) .

(٥) فأنْذَرَها : ندر الشيءُ، سقط وشذّ . والمقصود : فقطعها برُكْبتها . انظر : مختار الصحاح للرّازي(٥٦١ ن د ر)

(٦) العقد الفريد لابن عبد ربه (٦/ ٨٧ - ٨٨) .

(٧) المؤتلف والمختلف للآمدي، (ص ٤٢) .

إنِّي نَقَمْتُ عليه الفخرَ حينَ دَعَا ... جَهراً وأبرزَ عَنْ رِجل يُعَرِّيها
ضربتُها آنِفاً إذ مدَّها بَطَراً ... وقُلْتُ: دُونَكَهَا، خُذْها بِما فيها
لمّا رأى رِجلَهُ بانَتْ بِرُكبتِهَا ... أومَا إلى رِجلِه الأُخْرى يُفَدِّيها[١]

ب- الأخذ بالثأر:

لا شك أن معاقبة الجاني والثأر منه أمر جائز، فقتل القاتل مثلًا شيء لا ينكره شرع ولا عقل ولا عرف، إنما المذموم هو قتل غير القاتل بحجة أنه من آل فلان، أو ترك القاتل لأنه ليس كُفْئاً للمقتول، ثم السعي في قتل من هو كفء للمقتول وإن كان بريئاً.

ت - النُّعَرَة:

إن «النُّعَرَة» هي الصياح، مناداة القوم بشعارهم؛ من أجل الاستغاثة بهم، وحثهم على الحرب - هي مظهر أساس من مظاهر العصبية، وحين ينادي أحد قومه؛ فلا بد من إجابته، دون النظر إلى طبيعة موقفه، أو فعله، هل هو ظالم أو مظلوم[٢].
ومن ذلك قول قُرَيط بن أُنَيْف أحد بني العنَبَر:

قومٌ إذا الشَّرُ أبدى ناجِذَيهِ لهم ... طَارُوا إليه زَرَافَاتٍ ووحدَانا
لا يسألونَ أخَاهُم حينَ يَنْدُبُهم ... في النَّائباتِ على ما قال بُرهَانَا[٣]

وقال ناطقهم:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويتُ، وإن ترشد غزية أرشدِ

رابعاً: التّعصّب الحزّبي لدى بعض الجماعات الدعوية:

لما تبيّن أن الجماعة الخاصة ليست إلا وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله عزّ وجلّ

(١) انظر : مجلة الخفجي الشاعر والقبيلة، (ص ٢٠ - ٢١).
(٢) انظر : الإسلام والعروبة لمجدي رياض (ص ٩٤) .
(٣) البيان في خزانة الأدب للبغدادي (٧/ ٤١٣ - ٤١٤) . والعقد لابن عبد ربه (١/ ٢٩٦) .
انظر كتاب العصبية القبلية من المنظور الإسلامي د. خالد بن عبد الرحمن الرجيسي.

فإنه لا يجوز للمسلم أن يكون طريقه لقبول الحق ما جاءت به الطائفة التي ينتمي إليها فإن مما ابتُلِي به كثير من المنتسبين إلى طائفة معينة في العلم، أو الدين أو الدعوة، من المتفقهة أو المتصوفة، أو الدعاة أو المنتمين إلى مُعظّم عندهم في الدين - غير النبي ﷺ - أنهم لا يقبلون من الدين إلا ما جاءت به طائفتهم(١).

ومن لم يقبل الحق إلا إذا جاءه من الطائفة التي ينتمي إليها، فقد شابه اليهود الذين ذكر الله واقعهم بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]. وذلك بعد أن قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

والملاحظ أن المتبع لطائفته التي ينتمي إليها اتباعاً مطلقاً، تجده في الغالب يحب ويبغض لأجل الأهواء، إذ قبول الحق عنده منُوط بوصوله إليه عن طريق طائفته فهو مبني على الهوى، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «تجد قوماً كثيرين يحبون قوماً ويبغضون قوماً لأجل أهواء لا يعرفون معناها، ولا دليلها، بل يوالون على إطلاقها أو يعادون من غير أن تكون منقولة نقلًا صحيحاً عن النبي ﷺ وسلف الأمة، ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها، ولا يعرفون لازمها، ومقتضاها»(٢).

إن عندما تحزّبت كل جماعة وحركة، وانغلقت على نفسها، انقلبت الوسيلة (التنظيم) إلى غاية في ذاتها، وأصبح تبرير كل شيء من الكسب والخطأ في سبيل حمايتها، «وهذا ما جعلها أجساماً منفصِلة عن الأمة، وجعل لها أهدافاً خاصة بها وأدى إلى الانغلاق، والتّحزّب، والإعجاب بالرأي، وإشاعة الإرهاب الفكري بحيث لم يبق مكان للحوار، والمناقشة، والشورى، إلى درجة لم تسمح معها بعض هذه التنظيمات، بأي فكر معارض، أو ناقد أو مقوِّم، الأمر الذي أدى إلى نزف

---

(١) ينظر شيخ الإسلام ابن تيمية الاقتضاء ج ١ص ٧٣-٧٤ .
(٢) الفتاوى ج٢ ص ١٦٣ ، وينظر درء تعارض العقل والنقل ج ١ ص ٢٧٢ .

العقول المستمر وابتعاد الكثير من الإمكانات العلمية عن التنظيمات الإسلامية»[١].

كما يجب أن لا يقع بسبب ذلك (الاسم) مدح ولا ذم، ولا موالاة ولا معاداة، فإنه إنما يقع ذلك على الأسماء المذكورة في القرآن الكريم: كالمسلم والكافر والمؤمن والمنافق، والبرّ والفاجر، والصادق والكاذب، والمصلح والفاسد، وأمثال ذلك[٢].

وأما امتحان الناس بأسماء طوائف معيَّنة، والتفريق بين الأمة بما لم يأمر به الله ورسوله ﷺ والموالاة والمعاداة على أساس هذه الأسماء بالظّن والهوى، فهو مما برئ الله عزّ وجلّ منه ورسوله ﷺ»[٣].

ولقد جعل السَّلف معيار اتباع السنة عدم الغضب للأهواء، وسمّوا أتباع المذاهب المخالفة لأهل السنة والجماعة أهل الأهواء[٤].

قيل لأبي بكر بن عياش رَحِمَهُ اللَّهُ يا أبا بكر !: من السُنّي ؟ قال: «الذي إذا ذُكِرَت عنده الأهواء، لم يغضب لشيء منها»[٥].

وفي الحياة المعاصرة مظاهر من هذا التّعصّب والتّحزّب فكل يدّعي: أن طائفته هم الذين على حق، وأن من سواهم على الباطل، ومن مظاهر هذا الغُلو والتّعصّب الحزّبي المذموم ما يلي:

الغُلو والتّعصّب للجماعة وجعلها مصدر الحق:

١ - يقول أحد قياديي[٦] جماعة شكري[٧]: «نحن جماعة الحق ! ومن عدانا فليس

---

(١) مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، عمر عبيد حسنة، ص١١٢-١١٣ .
(٢) ينظر شيخ الإسلام، درء التعارض ج١ ص٢٧٣ .
(٣) ينظر شيخ الإسلام، الفتاوى ج٣ ص٤١٤ .
(٤) راجع أهل الأهواء الموسوعة الفقهية ج٧ ص١٠٠ .
(٥) نقلًا عن شيخ الإسلام، الاستقامة ج١ص٢٥٥ .
(٦) هو المكنى بأبي مصعب، ينظر: عبد الرحمن أبو الخير، ذكرياتي مع جماعة المسلمين ص٧٤ .
(٧) وأطلق عليهم جماعة التكفير والهجرة .

بمسلم» ! لقد كان الشاب يُستدعى بأوامر عسكرية، فلا يعلم طبيعة المهمة المقُبل عليها، ولا مدى اقتناعه بها، وكان أغلب الشباب لا يعرفون شيئاً عن طبيعة تركيب عقل قيادة الجماعة، وكان الكل يخضع تماماً لأمر أبي سعد(١) دون مناقشة بل إن عملية ضرب المرتدين (يعني الخارجين عن الجماعة) والإعلان الواسع عنها قد بعث الرّعب في قلوب الجميع، الغرباء وأبناء الجماعة أنفسهم(٢).

لقد قام بناء هذه الجماعة على الطاعة المطلقة، بل والعمياء، فأي شخص كان يُشَمّ منه رائحة لقياس الأوامر الصادرة إليه بمقياس شرعي، أو حتى استفسار عن مغزاها، كان يواجه بتهمة الردّة، ويعامل معاملة المرتدين(٣).

٢- ويقول محمد أحمد الراشد(٤)- بعد أن ساق قول أهل العلم بموقفهم من أهل البدع، ومنها هجرهم وعدم السّلام عليهم، ومنها قصة كعب بن مالك رضي الله عنه - قال: «وليس ترك الجماعة والنزاع معها، وعصيان أوامرها بأقل من هذه الذنوب التي ذكرها جمهور الفقهاء ! والتحلّل من الوفاء ببيعة واجبة من أكبر خوارم المروءة فوق كونه حراما ! فانظر لنفسك أيها المخالف. إن كنت تتأول لنفسك، وتأبى التغافر والالتفات إلى عيب النفس، وتلزم النجوى والجدل، ولا تقيس حالك على التعرُّب بعد الهجرة، ولا تريد الاتعاظ بالتاريخ، ولا تتقي طبائع آخر الزمان، فهلّا ترفق بحالك إزاء مؤمنين سوف لا يُسلِّمون عليك، ولا يستغفرون على جنازتك يوم موتك ؟!(٥) فاحفظ مصلحتك ! وتواضع وامشّ مع القافلة ! نحفظ لك حقك ما دمت حيا، ونوصلك إلى قبرك باستغفار، ولا ندع النائحة المستأجرة تنفرد بنعيك!»(٦).

---

(١) كنية شكري مصطفى .
(٢) ذكرياتي مع جماعة المسلمين ص ٧٢-٧٣ .
(٣) ذكرياتي مع جماعة المسلمين ص ١٣٤-١٣٥ .
(٤) الأستاذ محمد أحمد الراشد أحد قيادي ومفكري جماعة الأخوان المسلمين.
(٥) وهذا لا يكون إلا للكافر أو المنافق الذي عُلِم نفاقه - والله المستعان .
(٦) العوائق لمحمد أحمد الراشد ص ٢٧٨ .

٣- ويقول سعيد حوى رَحِمَهُ اللهُ[١]: «إن جماعة الإخوان- لا غيرها- هي التي ينبغي أن يضع المسلم يده في يدها»[٢].

وقال أيضا: «وبهذا لا يسع مسلماً أن يتخلّف عن هذه الدعوة»[٣].

ويقول أيضا: «وإذا كانت هذه الجماعة، هذا شأنها، فلا يجوز لمسلم الخروج منها قال رَحِمَهُ اللهُ: «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه...» وعلى كل مسلم ألا ينتّسب لتنظيم أو جهة ليست من الجماعة، لأن الطاعة لا تجوز إلا لأولي الأمر من المسلمين، وتحرم على غيرهم اختياراً؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]»[٤].

يقول: «والبيت المسلم الكامل: هو الملتزم بمبادئ الإخوان المسلمين، لأن ذلك هو الكمال الإسلامي المعاصر، ولذلك جعل الأستاذ البنا واجبات الأخ العامل إلزام المنزل بمبادئ الإخوان المسلمين»[٥].

الغُلو في قيادة الجماعة ورموزها:

إنّ الدعوة السلفية تمتاز بين سائر الدعوات، بأنها دعوة لا تتمحور حول شخص من الأشخاص، ولا رمز من الرموز، بل تتمحور حول المنهج المُستقى من الكتاب والسنة الصحيحة وآثار السّلف الصالح، فهي وإن كانت تحترم المشايخ والعلماء والكبار ولكن لا تُعصِّمهم أو تُقدِّسهم.

أمثلة من هذا الغلو:

قال أ. محمد أحمد الراشد بعد أن ذكر أن الطاعة يعتبرها الدعاة (من الإخوان

---

(١) سعيد حوى أحد قيادي ومفكري جماعة الأخوان المسلمين .
(٢) المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين ص ٢٩-٣٠ .
(٣) في آفاق التعاليم ١٦ .
(٤) من أجل خطوة إلى الأمام ص ٤٠ .
(٥) في آفاق التعاليم ص ٢٩ .

المسلمين) ركنا من إيمانهم: «قوم يرون الحق نصر أميرهم ويرون طاعة أمره إيماناً»[١].

ويقول أيضاً: (والشعار في هذه المرحلة: «دائماً: «أمر وطاعة»، من غير تردّد ولا مراجعة، ولا شك، ولا حرج»)[٢].

وقال سعيد حوى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجاءت الحركة الإسلامية المعاصرة وكان مؤسسها إماماً قد وصل إلى مرتبة الاجتهاد وهو حسن البّنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[٣].

ويقول سعيد حوى رَحِمَهُ ٱللَّهُ«: عن الشيخ محمد الحامد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي كان يعتبر حسن البّنا مجدد القرون السبعة الماضية، وليس مجدداً لقرن واحد، ويعتبر حسن البّنا قد وصل إلى رتبة الاجتهاد، وهو الذي لا يُسلِّم أن الأمة قد وُجِد فيها مجتهد منذ عشرة قرون وكل ذلك عن تجربة شخصية مع حسن البّنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان يعتبر حسن البّنا هو الوحيد الذي أعطته النفس مقاليد القيادة الكاملة»[٤].

فهلّا احترمتم[٥] شعور الملايين من المسلمين على مّر عشرة قرون، وأنتم تزعمون أنها خالية خاوية لم تحظ بمجتهد واحد، حتى جاء القرن الرابع عشر الهجري؛ وجاء الأستاذ حسن البنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ؟!.

إن الرسول ﷺ أخبر بوجود مجدد على رأس كل مائة عام ! وأنتم تزعمون وجود مجدد على رأس كل ألف عام... أنسيتم هازم التتار: شيخ الإسلام ابن تيمية؟ ! أنسيتم بائع الملوك العز بن عبد السلام ؟ وأين يقع ابن القيم وابن كثير، وابن حجر والنووي، والذهبي، ومحمد بن عبد الوهاب، والشوكاني رحمهم الله في قاموسكم؟ أم أنكم تعتقدون أنكم جزء مبتور من تاريخ الأمة الإسلامية الحافل

---

(١) العوائق لمحمد أحمد الراشد ص ٨ لا شك أن هذه النصرة لا تجوز على الإطلاق(بالحق والباطل)، بل هي مقيدة بما وافق الحق .
(٢) المجموعة رسالة التعاليم / ١٦ لحسن البنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ .
(٣) تربيتنا الروحية ص ٧٥ .
(٤) المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين ص١٨٣ .
(٥) الكلام موجه إلى الإخوان المسلمين.

بالمجتهدين والمجددين ؟![١]

القائد مصدر التّلقّي:

ويقول الإخوان: «إن المسلمين ليس أمامهم إلا فكر الأستاذ البنّا إذا ما أرادوا الانطلاق الصحيح»[٢].

ويقول أيضا: «إننا لا نرضى لأنفسنا أن ننطلق بعيدا عن سير الأستاذ البنّا لأن التفّريط في ذلك تفريط في السير الصحيح لنصرة الإسلام في هذا العصر!»[٣].

ويقول أيضاً: «ثم إنه نبتت هنا وهناك أفكار مريضة، تريد أن تتخلّص من دعوة حسن البنّا ومن أفكاره فكان لا بد أن يعرف هؤلاء وغيرهم أن الانطلاقة على غير فكر الأستاذ البنّا في عصرنا، قاصرة أو مستحيلة أو عمياء ! إذا ما أردنا عملا كاملا متكاملا في خدمة الإسلام والمسلمين»[٤].

فأين هذا من قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من نّصّب شخصاً كائناً من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]»[٥].

وقال أيضاً: «وليس لأحد أن يُنصِّب للأمّة شخصاً يدعو إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليها، غير النّبي ﷺ، ولا يُنصّب لهم كلاماً يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمّة، بل هذا من فعل أهل البدع، الذين يُنصِّبون لهم شخصاً، أو كلاماً يُفرِّقون به بين الأمّة»[٦].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس للمعلّمين أن يُحزِّبوا النّاس، ويفعلوا ما يُلقي بينهم

(١) مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويم للشيخ السليم الهلالي ص ١٢٥ (بتصرف يسير) .
(٢) في آفاق التعاليم ص ٥ .
(٣) في آفاق التعاليم ص١٢ .
(٤) في آفاق التعاليم ص ٥ .
(٥) مجموع الفتاوى: ٨/٢٠ .
(٦) المرجع السابق : ١٦٤/٢٠ .

العداوة والبغضاء، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢][١].

(فصل) منهج السَّلف أصحاب الحديث في الدعوة إلى الله تعالى:

- **توطئة** - إن الغُلو والتَّعصّب والتَّحزّب بالباطل سواء للجماعة أو لقادتها ورموزها، بالإضافة لبعض الممارسات الخاطئة، نشأ عنه ردة فعل عكسية عند كثير من الناس، وخاصة لبعض الدعاة وطلبة العلم، حتى أصبح هذا الغلو وكأنه هو الأصل في العمل الجماعي عِلماً بأن كثيراً من الأمور التي تكون مشروعة في الأصل قد تتزامن معها بعض الأمور السلبية، لكن هذه السلبيات لا تجعلنا نرفض الأصل المشروع: فالإسلام الآن قد شُوّه من بعض أهله وأبنائه، فهل سنرُفض الإسلام بسبب هذه الممارسات الخاطئة والشاذة ؟ ونعطِّل فريضة الجهاد لأن البعض قد استغل هذا الاسم استغلالًا سيئاً ؟ ونرفض الانتساب للقبيلة والوطن لأن البعض أخذ يوالي ويعادي على هذه النسبة..؟

ولهذا أحببت أن أنقل أقوال العلماء حول حكم العمل الجماعي والتنظيمي للدعوة:

حكم العمل الجماعي:

نقصد بالدعوة الجماعية أو بالعمل الجماعي: أن يكون أسلوب الدعوة إلى الله قائماً على جهود جماعية لا فردية، جهود جماعية قائمة على أساس من التنظيم والتخطيط حتى تُؤتي الدعوة أكلها وتحقق أهدافها، وإليك كلام بعض علماء العصر:

إجابة العلامَّة محدِّث الشّام / الشيخ محمد بن ناصر الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

السؤال: هل ترون أن أصل فكرة العمل الجماعي اليوم بدعة وحرام، أو أن نقدكم يتناول أخطاء التطبيق ؟

---

(١) مجموع الفتاوى: ٢٨/ ١٥-١٦.

فأجاب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا؛ العمل الجماعي ليس هناك مجال لإنكاره، إذا لم يقترن بالتَّحزّب».

والعمل الجماعي، يشمله عديد من الآيات الكريمة: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٨]، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

فمثل هذا التعاون الجماعي ليس هناك مجال لإنكاره إطلاقاً، لأن الإسلام قائم على هذا، التعاون، ولكن الظاهرة التي تبدو في العصر الحاضر قد انحرفت عن هذه الغاية من التعاون على البر والتقوى، هي التي خالطها من التّحزّب والتّعصّب إلى درجة أنه صار أمراً مهضوماً مقبولًا عند كثير من الدعاة؛ كالتكتل باسم الحزّب.

ونحن نعلم أن الله عزّ وجلّ قد نهى في كثير من الآيات القرآنية عن التّحزّب والتّعصّب لطائفة أو لجماعة لها نظامها الخاص، ولها منهجها الخاص، ولو لم يكن هذا النظام وهذا المنهج مطابقاً للسنة من كل جانب.

أصبح التّحزّب اليوم فِرقة تمثلّ ما حذَّر عنه النبي ﷺ في بعض أحاديثه التي تعتبر تبياناً وتفصيلًا لمثل قوله تبارك وتعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].

خلاصة الأمر: التكتّل والتّجمع في سبيل العمل بالإسلام الذي كان عليه الرسول ﷺ أمر واجب، لا يختلف فيه اثنان، ولا ينتطح فيه عنزان كما يقال، بل لن تقوم قائمة المسلمين، ولن يتحقق المجتمع الإسلامي، ولن تقوم الدولة الإسلامية إلا بمثل هذا التجمع، لكن شروطه أن لا يكون عصبية لشخص، أو لطائفة دون أخرى، وإنما التّعصّب لله فيما جاء عن الله ورسوله ﷺ وعلى منهج السَّلف الصالح[1].

---

(١) مجلة الأصالة العدد ١٨ محرم ١٤١٨هـ وانظر حكم العمل الجماعي في الإسلام للشيخ عبد الله السبت حفظه الله مراجعة العلامة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان ص٤٩-٥١ .

أهمية النظام:

إن النظام من الوسائل الجيدة، والتي لا بد منها لحسن استخدام الجهود وتنسيقها، ثم توجيهها إلى الهدف على نحو مثمر، خاصة في مجال الدعوة إلى الله، وبالتالي زيادة فرص النجاح للداعي لبلوغ أهدافه. وبدون النظام تتبعثر الجهود[١].

التنظيم في العمل الجماعي:

إن اجتماع طائفة من المسلمين تتعاون وتتآزر في الدعوة إلى الله عزّ وجلّ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يُعد أكبر عون لتحقيق الأهداف، من دلالة الناس إلى الخير، وتبيّن طريق الرشد لهم... إلى غير ذلك، كما يساعد هذا الاجتماع على تحقيق القوة والمنعة للطائفة الداعية إلى الله عزّ وجلّ.

ولكن هذا الاجتماع ليس إلا وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله، فيُنظر في حال الطائفة المجتمعة: «فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله، من غير زيادة ولا نقصان، فهم مؤمنون، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا، مثل التّعصّب لمن دخل حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمّن لم يدخل في حزبهم - سواء كان على الحق أو الباطل - فهذا من التفرق الذي ذّمه الله تعالى ورسوله»[٢].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن كل اجتماع في العالَم لابد فيه من التحالف وهو الاتفاق والتعاقد على ذلك، من اثنين فصاعداً، فإن بني آدم لا يمكن عيّشهم إلا بما يشتركون فيه من جلب منفعتهم، ودفع مضرتهم، فاتفاقهم على ذلك هو التعاقد والتحالف»[٣].

وتبدو الحاجة إلى التعاقد والتحالف أكثر في قوم لا تجمعهم طاعة مطاع؛ «وكل قوم

(١) انظر أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان رحمه الله ٤٦٣ - ٤٦٩ .
(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية الفتاوى ج ١١ ص ٩٢-٩٣ .
(٣) جامع الرسائل ج٢ ص٣٠٦-٣٠٧ .

لا تجمعهم طاعة مطاع في جميع أمورهم، فلا بد لهم من التعاقد والتحالف فيما لم يأمرهم المطاع»[١].

وقال أيضاً: «وما وقع بالتحالف وجب الوفاء به إذا كان أمراً شرعياً، لأن الشريعة المنزّلة من الأفعال التي فيها: تجب لله، وتجب لبعض الناس على بعض: تارة تجب بإيجاب الله، وتارة تجب بالعقد، كالنذر وكعقود المفاوضات والمشاركات، فلا واجب في الشريعة إلا بشرع أو عقد»[٢].

وقال أيضاً: «ليس لأحد منهم أن يأخذ عهداً بموافقته على كل ما يريده، وموالاة من يواليه، ومعاداة من يعاديه، بل من فعل ذلك كان من جنس (جنكزخان)[٣] وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقاً موالياً، ومن خالفهم عدواً باغياً، بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله، بأن يطيعوا الله ورسوله، ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله ويحرموا ما حرم الله ورسوله ويرعوا حقوق المعلمين كما أمر الله ورسوله»[٤].

قول الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول التنظيم لجماعة الدعوة

إجابة سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رده على سؤال من جماعة أنصار السنة المحمدية في السودان:

السؤال: هل يُعتبر التنظيم لجماعة الدعوة أمراً بدعياً كما يقول البعض ؟

الإجابة: التنظيم ليس بدعياً، ومما يعين على أداء الواجب تنظيمهم، ويكون لهم رئيس يرجعون إليه، ومجلس شورى يتشاورون فيه، هذا من المهمات العظيمة ومن أسباب النجاح.

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، جامع الرسائل ج ٢ ص ٣٠٩ .
(٢) ينظر شيخ الإسلام، جامع الرسائل ج ٢ ص ٣٠٩ .
(٣) جنكزخان قائد مغولي، من نسله قادة التتار الذين اجتاحوا ديار المسلمين ولد سنة ١١٦٧م وتوفي سنة ١٢٢٧م، ينظر الموسوعة العربية الميسرة ص ٦٥٠ .
(٤) الفتاوى ج ٢٨ ص ١٦ .

والعمل المنظّم أقرب إلى النجاح من العمل غير المنظم، وكون الجماعة تنظم أعمالها في الدعوة إلى الله، وبتعليم الناس الخير، وفي تعمير المساجد، وفي الحرص على الأئمة المعروفين بالسنة والاستقامة، كل هذا أمر مطلوب، وفيه خير عظيم.

وليس هذا من البدع، بل هذا من الشرع، كون أهل السنة يعتنون بتنظيم أمورهم وتولية الأخيار عليهم، والتشاور فيما بينهم، فيما يفعلون ويدعون، كل هذا مما جاءت به الشريعة، والله عزّ وجلّ يقول في وصفهم: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

ويقول للنبي ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ويقول عزّ وجلّ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ فالاجتماع والتعاون والتشاور كله مما يحبه الله ويرضاه فيما يتعلق بمصلحة المسلمين(١).

* * *

(١) حكم العمل الجماعي في الإسلام للشيخ عبد الله السبت ص ٤٣ . قرأه وأجازه العلامة/ الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله.

المبحث الحادي عشر:
السعي نحو استئناف الحياة الإسلامية وتطبيق حكم الله في الأرض

إن السّعي نحو استئناف الحياة الإسلامية، وتطبيق حكم الله في الأرض: واجب على الحاكم والمحكوم، عملًا بقول النبي ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. . . .) الحديث.

وبقوله ﷺ كما جاء في الصحيح: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة»، قالوا: «لمن يا سول الله ؟ قال: «لله ولكتابه، ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[١].

فهذان الحديثان دعامة كبرى في القيام بالواجبات والحقوق، فهما يقرران المسؤولية الفردية والجماعية في النفوس والأعمال، من أن الإسلام لا بد له من أُمّة تحمله، وسلطة تحميه، وهما عنصر واحد في كفة واحدة، يتكاملان ويتآلفان في غاية واحدة ويعملان لهدف واحد.

إن هذا السّعي من معاني انتمائنا للإسلام، وما يقتضيه هذا الانتماء من التزام وسلوك إذ الإسلام ليس مجرد دعوى تُدَّعى، ولا شعاراً يُرفع، ولا مجرد نص في الدستور على أن دين الدولة هو الإسلام، ثم تسير سفينة الحياة بعدها في خط يجافي الإسلام.

كما أن على كل مسلم أن يكون انتماؤه للإسلام ليس انتماءً بالوراثة، أو انتماء بالهوية، كما أنه ليس انتماء شكلياً يستغرق حياة المسلم في أوضاع من التعبدات إنما الانتماء للإسلام يعني أن يطبِق المسلم الإسلام في بيته وأسرته، ومجتمعه وأمته ودولته وفي كل الأصعدة، وعلى جميع المستويات وما دام قد رضي بالإسلام ديناً وعقيدة فلا بد أن يرضى به حكماً وتشريعاً ومنهاجاً في كل جوانب الحياة، ولا يرضى به بديلًا أو عنه تحويلًا.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٧٤) .

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «. . . فالإسلام مبني على أصلين أن لا يُعبد إلَّا الله؛ وعبادته إنما هي بطاعته فيما شرع لا بالأهواء والبدع»[١].

إنّ الإسلام لن ينتصر إلَّا إذا عرف كل واحد منّا واجبه فأداه كاملًا دون وكْس أو شطط.

ولن ينتصر الإسلام إلَّا إذا فهم المسلمون رسالتهم، وعرفوها حق المعرفة كما فهمها وعرفها المسلمون الأوائل.

إن التشريع الإسلامي تشريع مُحكم وعام وخالد، لا يختص بقوم دون قوم، أو جيل دون جيل، فهو موجّه إلى الناس كافة، ومع عمومية التشريع الإسلامي فإنه شامل كذلك لكل جوانب الحياة ومناحي الاجتماع، لم يترك شاردة ولا واردة إلَّا ذكر فيها خبراً، أو شملها حكماً، أو أدرجها تحت أصل أو قاعدة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام:

أن رسالة محمد بن عبد الله ﷺ لجميع الناس؛ عربهم وعجمهم، وملوكهم وزهادهم وعلمائهم وعامتهم، وأنها باقية دائمة إلى يوم القيامة، بل عامة للثّقلين الجنّ والإنس وأنه ليس لأحد من الخلائق الخروج عن متابعته وطاعته، وملازمة ما يشرعه لأمته من الدين، وما سنَّه لهم من فعل المأمورات وترك المحظورات، بل لو كان الأنبياء المتقدمون قبله لوجب عليهم متابعته ومطاوعته»[٢].

إن أحكام الشريعة نظامٌ متكامل متّسق، لا يعتريه التخليط أو التناقض، بل يشتمل على مصالح كلية في الجملة.

وعلى مصلحة جزئية في كل مسألة على وجه الخصوص ولا مكان لعنصر ناشز غريب فيه من ابتداع أهواء البشر، بل خطة ثابتة أبداً يعتنقها المرء على وجه القطع لا التجريب، ويتّخِذها منهاجاً دائماً، لا تدبيراً مؤقتاً لبعض مراحل حياته أو ظروفها.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ٨٠).
(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٢٢، ٤٢٣).

وقد توافرت نصوص كثيرة من القرآن والسنة لتدل على وحدة الشريعة، ووحدة العقيدة، وأنها السبيل القاصد إلى الله رب العالمين، وكل سبيل غيره جائر؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

قواعد تطبيق الشريعة الإسلامية وأسسها: -

أولًا: نقطة البدء تكون بتصحيح العقيدة(١)(٢)، وجلاء مفهومها الحقيقي وارتباطها الوثيق بتحكيم شريعة الله، كما بيّن الله ذلك في كتابه، وكما عِلمه الرسول ﷺ وأصحابه، وكما وعتها الجماهير المسلمة خلال أربعة عشر قرناً من الزمان: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وتصحيح العقيدة بالبيان الهادي الهادف: كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ثانياً: الإيمان بعموم الشريعة الإسلامية، وشمولها، وصلاحيتها لكل زمان ومكان:

الإيمان بأن تطبيق الشريعة الإسلامية يحتاج إلى تغيير الوضع القائم، والتغيير يبدأ من ذوات أنفسنا من الداخل، ولا يُستورد من الخارج.

ثالثاً: الإيمان بكمال الشريعة ومرونتها وصلاحيتها للخلود إلى يوم القيامة:

الإيمان بأنه لا طريق لعزِّنا، ولا سبيل لتقدمنا وسعادتنا إلَّا بالإسلام، وأن مقياس السعادة في التصور الإسلامي نابع من عبادة الله وحده، وتحكيم شرعه، والإخلاص له سبحانه، وأن مصدر الشقاوة والمهانة نابع من عبادة الطاغوت والهوى والشهوة وتلك هي دركات الشقاء التي يعيش فيها كل من أعرض عن هدي الله ودينه.

---

(١) انظر: خطوط رئيسة لبعث الأمة الإسلامية، تأليف الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق.
(٢) انظر الولاء والبراء في الإسلام ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

رابعاً: الإيمان بأن الشريعة الإسلامية ناسخة لجميع الشرائع السابقة:

وذلك بالرجوع إلى الإسلام في أصوله الأولى، وفي تطبيق تلك الأصول وفق ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ وسيرته، وسيرة الخلفاء الراشدين والسَّلف الصالح رضوان الله عليهم.

خامساً: الإيمان بيسر الشريعة وسماحتها، ووفائها بحاجة البشر في كل زمان ومكان:

وهو اتجاه عملي تطبيقي(١) يوجب إزالة التناقض الكبير الذي يحكم سائر مجالات الحياة الإسلامية؛ من مصالح ودوائر ومؤسسات وهيئات وتعليم وصحافة وإعلام وجميع مجالات الحياة الإسلامية، وسائر المرافق والأجهزة الرسمية والشعبية.

سادساً: التّدرّج في الأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية:

إن الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، يجب أن تكون جامعة بين تحريك الإيمان في النفوس وإثارة الشعور الديني، وبين إكمال الوعي وتنميته وتربيته(٢).

ومعنى هذا: أن الكثير من متطلبات التغيير الذي يستلزمه الإصلاح، يحتاج إلى استعداد نفسي كبير، فإذا فُرض من غير طريق الاستعداد النفسي العميق، لم يثمر الثمرة المرجوة.

ونذكر على سبيل المثال: «قصة الخمر» وتحريمها في الإسلام، فقد كانت شائعة في المجتمع الجاهلي شيوعاً كبيراً، وكانت الظاهرة البارزة المتداخلة في تقاليد هذا المجتمع فبماذا قاومها التشريع الإسلامي؟

لقد عالجها التشريع الإلهي ببضع آيات من القرآن الكريم، وعلى مراحل، وفي رفق وتؤدة، دون حرب، ودون إراقة دماء !!.

---

(١) الإسلام كما ينبغي أن نؤمن به ص ٩٩. عبد الحليم عويس.
(٢) الدعوة الإسلامية، الوسائل، الخطط المداخل ص ٣٩٩، ٤٠٠ .

وهنا مثال من سيرة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ «فقد أراد عمر أن يعود بالحياة إلى هدي الخلفاء الأربعة، وذلك بعد أن يتمكّن ويُمسك الخيوط في يديه ولكن كان ابنه الشاب الغيور، عبد الملك من الأتقياء المتحمّسين، وها هو يُنكر على أبيه، بعدم إسراعه في إزالة بقايا الانحراف، والمظالم والتعفية على آثارها، وَرَدِّ الناس إلى سنن الراشدين فقال عبد الملك لأبيه يوماً»: «مالك يا أبت! لا تنفذ الأمور؟ فو الله ما أُبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق»!! فكان جواب الأب الفقيه المؤمن: «لا تعجل يا بُنّي! فإن الله ذمّ الخمر في القرآن مرتين، وحّرمها في الثالثة وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جُملة فيدعوه جُملة، فيكون من ذا فتنة»[(١)].

ومن هنا كان لزاماً على الذين يدعون إلى استئناف الحياة الإسلامية، وإقامة دولة الإسلام في الأرض، أن يرعوا سنَّة التدّرج في تحقيق ما يريدون من أهداف، آخذين في الاعتبار سمّو الهدف، ومبلغ الإمكانات وكثرة المعوقات[(٢)]، ولابد أن يأخذوا أسوة العهد النبوي الزاهر، ويسيروا بطريق متّزن، ويدركوا طبيعة هذا الدين ومنهجه في الحركة على النحو الذي بيّناه.

فيجب أن تخلُص القلوب أولًا لله، وتُعلن عبوديتها له وحده بقبول شرعه وحده ورفض كل ما سواه، ثم بعد أن تتقرر «عقيدة التوحيد» على مهل، وفي عمق وتثبت وبعد أن تتمثلها نفوس حيّة وضمائر حية متكيفة بها ومتفاعلة معها ومستجيبة لها... ثم يأتي بعد ذلك التدرج في الخطوات، وإعطاء كل خطوة ما تستحقها من العناية والدراسة.

سابعاً: الثّبات والصّبر والتّأني وعدم اليأس والقنوط:

إن الدعوة إلى استئناف الحياة الإسلامية، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، تحتاج إلى الصبر والتأني وعدم التّسّرع وتعجل الثمار، والثبات والتوكل وعدم اليأس والقنوط،

---

(١) الموافقات في أصول الأحكام للشاطبي ٢/٦٦ مطابع المدني بالقاهرة.
(٢) الصحوة الإسلامية د. يوسف القرضاوي ص ١٠٥.

ولنذكّر بما فعله النبي ﷺ يوم صاح بعقيدة التوحيد:

كانت مئات الأصنام صفوفاً داخل الكعبة وحولها، وقد مكث ثلاثاً وعشرين سنة يدعو إلى التوحيد وإخلاص العمل لله تعالى.

وفي السّنة الحادية والعشرين من بدء الدعوة، أي مُضي ثمان سنوات على الهجرة: هَدَمَ الأصنام، حتى أنه عليه الصلاة والسلام في عمرة القضاء لم يمسّ منها وثناً. وكانت قبل فتح مكة بسنة[(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغيُّرَ كثيرٍ من أحوال الإسلام جزع وَكَلَّ وناح كما ينوح أهل المصائب، وهو منهي عن هذا، بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام، وأن يؤمن بأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأن يؤمن بأن العاقبة للتقوى، كما قال ربّ العزة جلّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]»[(٢)].

إن النفوس جُبلت على حبّ من أحسن إليها... وقد تدفعها القسوة والشدة أحياناً إلى المكابرة والإصرار والنفور، فتأخذها العِزَّة بالإثم والتمادي في الذنب، فيجب بذل النصح، وإسداء المعروف بأسلوب مؤثّر يفتح القلوب، ويشرح الصدور والدعوة إلى إدراك حقيقة الإسلام بالتفقه والتعلم، ومعرفة أصول الإسلام وأحكامه وحلاله، وحرامه وفهم خصائصه واستيعاب مراميه:

روى البخاري في صحيحه عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «... إنما نزل أول ما نزل منه[(٣)] من المُفصَّل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر»، لقالوا: «لا ندع الخمر

---

(١) أما اليوم فيريد بعضاً منّا: الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في النهار، والقيام على من لم يحكم بها في المساء! والنتيجة التي لا محيص عنها صِدامات متتابعة، ومتاعب متلاحقة، يحمل الإسلام مغارمه دون فائدة أو ثمرة.

(٢) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٨/٢٩٧.

(٣) أي من القرآن الكريم.

أبداً»، ولو نزل: لا تزنوا ! لقالوا: «لا ندع الزِّنا أبداً. . .»[١]. فيجب مراعاة سنن الله الكونية والشرعية في التدّرج والصبر على الأشياء حتى تنضج وتبلغ مداها.

وكذلك بدأ ديننا - أول ما بدأ - عقيدة سهلة، ثم أنزل الله التكاليف شيئاً فشيئاً وفرض الفرائض، وحرّم المحرمات، وفصَّل الشرائع بالتدرج، حتى كمل البناء وتمت النّعمة، ونزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣][٢].

ولئن كان التيسير والرفق واللّين مطلوباً في كل زمان، فإنه في زماننا ألزم وأكثر تطلباً، نظراً لما نراه ونلمسه من رقة الدِّين وضعف اليقين، وغلبة الحياة المادية على الناس، قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

كيفية تطبيق الأحكام الشرعية وتنفيذها عملياً ؟

مما لا يشك فيه عاقل بأن أحكام الشريعة الإسلامية لا يمكن أن تُطَّبق بين عشيَّة وضحاها في البلاد الإسلامية، ولا يُعقل أن يكون ذلك موكولًا إلى الصدفة، أو أن يتم ذلك بالحديد والنار! أو أن نتطلّع بشوق إلى تغيير الواقع، دون أن يخطر في بالنا أن ذلك لن يتم إلا إذا سرنا في طريق متَّزن، وخطوات عملية مدروسة، ووفق خطة مرسومة، تُعتبر من أكبر مهمات الفكر الواقعي، وعمل متواصل في سبيل الوصول إلى الغاية، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلّا الصادقون[٣].

* * *

(١) انظر: صحيح البخاري ٦-١٠١-باب ٦ من كتاب فضائل القرآن .

(٢) انظر الصحوة الإسلامية للشيخ القرضاوي ص ١٠٤ ، ١٠٥ بتصرف.

(٣) انظر: تطبيق الشريعة الإسلامية في كل عصر، تأليف د. الشيخ صالح بن غانم السدلان حفظه الله.

الفصل السابع:
نتائج الالتزام بمنهج السَّلف وثمراته

المبحث الأول: تحقيق كمال الدين وإتمام النعمة وقيام الحجة

المبحث الثاني: ثبوت العصّمة للشارع.

المبحث الثالث: التصديق بجميع نصوص الكتاب والسنة.

المبحث الرابع: تعظيم نصوص الكتاب والسنة.

المبحث الخامس: ربط المسلم بسلفه الصالح وبالعلماء الربَّانيِّين.

المبحث السادس: السكوت عما سكت عنه السّلف والفوز في الآخرة

المبحث السابع: الثبات على الحق وعدم التقلّب

المبحث الثامن: توحّد صفوف المسلمين وتجمع كلمتهم

المبحث التاسع: الهداية والنصر والتمكين في الدنيا والنجاة والفوز في الآخرة.

المبحث الأول:

تحقيق كمال الدين وتمام النعمة وقيام الحجة:

الالتزام بهذا المنهج فيه اعتراف حقيقي بأن الله تعالى أكمل الدِّين، وأتم النِّعمة، وأن الرسول ﷺ بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، وكشف الغُمّة، وأقام الحُجّة، وأوضح المحجّة، وأن الصحابة (رضوان الله عليهم) أقاموا الدِّين علماً وعملًا، وبلغوه لفظاً ومعنى.

المبحث الثاني:

ثبوت العصّمة للشارع:

أن الالتزام بهذا المنهج يفيد العصمة للشارع الحكيم، بحيث لا يجوز الاستدراك عليه كما هو لسان حال أهل البدع والعلمنة.

المبحث الثالث:

التصديق بجميع نصوص الكتاب والسنة:

الالتزام بهذا المنهج يفيد التصديق بجميع نصوص الكتاب والسنة، والاستدلال بها مجتمعة - ما لم يكن بين بعضها تناسخ - لأنها خرجت من مشكاة واحدة، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٢- ٣٣].

المبحث الرابع:
تعظيم نصوص الكتاب والسنة:

الالتزام بهذا المنهج يجعل المسلم في موقف المعظِّم لنصوص الكتاب والسنة، لأنه يعتقد أن كل ما تضمنته هو الحق والصواب. ومن أدلة ذلك:

١- ما رواه عبد الله بن مغفل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه رأى رجلًا يخذف، فقال له: «لا تخذف فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف»، وقال: «أنه لا يُصادُ به صيدٌ، ولا ينكأُ به عدوّ، ولكنها قد تكسِّر السِنّ وتفقأ العين».

ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له: «أحدِّثُك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف وأنت تخذف ! لا أُكلمك أبداً»[1].

٢- ما رواه سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللهُ: «أنه رأى رجلًا يُصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيها الركوع والسجود، فنهاه سعيد عن ذلك؛ فقال: يا أبا محمد، يُعذِّبني الله على الصلاة» ؟! قال: «لا، ولكن يُعذِّبُكَ على خلاف السنة»[2].

٣- وعن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، رحمهم الله ورضي عنهم قال: قال عمر: «إذا رميتم الجمرة وذبحتم وحلَّقتم فقد حَلَّ لكم كل شيء حَرُمَ عليكم - إلا النساء والطيب».

قال سالم: وقالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «طَيَّبتُ رسولَ الله ﷺ لحرمه قبل أن يُحرمَ ولحِلِّه بعد ما رمى الجمرة وقبل أن يزور».

قال سالم: «وسّنةُ رسول الله ﷺ أحقُ أن تُتَّبَع»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٤١، ٥٤٧٩، ٦٢٢٠) ومسلم (١٩٥٤) وأحمد (٤/ ٨٦) و(٥/ ٥٤، ٥٥، ٥٦).
(٢) أخرجه الدارمي ١/ ٤٠٤ - ٤٥٠. والبيهقي ٢/ ٤٦٦، وعبد الرزاق في مصنفه (٤٧٥٥).
(٣) أخرجه الحميدي في مسنده ١/ ١٠٥ - ٢١٢) والشافعي (٢/ ٢٩٨ - ٢٩٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٣٥) والهروي في «ذم الكلام» (٢/ ٢٢٨ - ٢٩٩/ ٢٩٥).

المبحث الخامس:
ربط المسلم بسلفه الصالح، وبالعلماء الربانيين

ويكون ذلك بالتزام منهجهم بالعلم والعمل، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]. واعتقاده بأن طريقة السّلف الصالح هي الأسلم والأعلم والأحكم، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لقد كذّبوا على طريقة السَّلف، وضلّوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السَّلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف»[١].

المبحث السادس:
السّكوت عما سكت عنه السّلف

كل مسألة سكت عنها الصحابة والسَّلف الصالح وتكلم فيها الخلف - ولا سيّما فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد والإيمان - إلا كان السكوت عنها أولى وأليق.

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصيته إلى عدي بن أرطأة: «فإن السّنة إنما سنّها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزّلل، والحمق والتّعمّق، فارضِ لنفسك بما يرضى به القوم لأنفسهم، فإنهم عن عِلم وقفوا، وببصر قد كَفُّوا، وهم كانوا على كشف الأمور أقوى - بفضل - لو كان فيه أجر، فلئن قلتم: «أمر حدث بعدهم ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سنّتهم، ورغب بنفسه عنهم، إنهم لهم السابقون فقد تكلّموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مُقصر، وما فوقهم مُحسر لقد قصر عنهم آخرون فضلّوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٩ .
(٢) الشريعة للآجري ٢٣٣ .

المبحث السابع:
الثبات على الحق والطمأنينة به، وعدم التقلب

ومن أهم نتائج وثمرات الالتزام بمنهج السَّلف: هو الثبات إلى الحق على الممات وعدم التّقلّب.

والثبات: هو الاستقرار، فقولهم: ثَبَتَ - ثَباتاً، وثُبوتا أي: استقر[١].

كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال العّلامة بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يخبر الله تعالى: أنه يُثبّت عباده المؤمنين أي: الذين قاموا بما عليهم من الإيمان القلبي التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويستثمرها فيثبتهم الله في الحياة الدنيا، عند ورود الشُبهات، بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات، بالإدارة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومرادها. وفي الآخرة عند الموت بالثبات على دين الإسلامي والخاتمة الحسنة»[٢].

كما أمر الله تعالى نبيه صلوات الله وسلامه عليه بالثبات على الحق، والاستقامة عليه حتى الموت، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]، فأمره بالاستقامة ومن معه من المؤمنين كما أُمروا أن يسلكوا ما شرعه الله من الشرائع ويعتقدوا ما أخبر الله من العقائد الصحيحة، ولا يزيغوا عن ذلك يمنة ولا يسرة ويداوموا على ذلك[٣].

كما قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

---

(١) المعجم الوجيز (٨١).
(٢) تيسير الكريم الرحمن ٥٨٤ لابن سعدي رحمه الله.
(٣) المصدر السابقيين ٥٣.

والثبات مِنّة من الله تعالى، كما ذكر منته على رسوله محمد ﷺ وحفظه من أعدائه الحريصين على فتنته بكل طريق فقال: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٣]، ثم ذكر تثبيته فقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ [الإسراء: ٧٤]، على الحق وامتننا عليك بعدم الإجابة لداعيهم: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤].

وقد ذكر الله في كتابه أن من أهم أسباب الثبات على الحق بعد تثبيت الله: هي قصص القدوات من الأنبياء وغيرهم، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]. أي: ثبتنا قلبك ليطمئن ويثبت وتصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن التقوى تأنس بالإقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأثر الحق بذكر شواهده.

فإن التقلب عادة أهل الأهواء والبدع، قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «إن الضلالة - حق الضلالة- أن تعرف ما كنت تُنكر، وتُنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في الدين فإن دين الله واحد».

وعن عيسى بن مَعِن قال: انصرف مالك بن أنس يوماً من المسجد وهو متكئ على يدي، فَلَحقه رجل يقال له أبو الجويرية، كان يُتَّهم بالإرجاء، فقال: «يا أبا عبدالله! اسمع مني شيئاً أُكلمك به، وأُحاجّك وأخبرك برأيي»، قال: «فإن غَلَبتني»؟ قال: «إنْ غلبتك اتبعني»، قال: «فإن جاء رجل آخر فكلّمنا فغلبنا؟ قال: نتبعه قال مالك رحمه الله: «بعث الله عزّ وجلّ محمداً ﷺ بدين واحد، وأراك تنتقل من دين إلى دين».

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «من جعل دينه غرضاً للخصومات، أكثر التنقُّل»[1].

---

(١) صحيح أخرجه الدارمي (١/ ٣٤٢/ ٣١٢) والآجري في الشريعة (١/ ١٨٩/ ١٢٢) وابن سعد في الطبقات (٥/ ٢٧٣) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢١٦) وابن بطة في الإبانة (٥٦٦) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٩٣١) رقم ١٧٧٠ والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٦١٢) وصححه أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي ١/ ١٠٥ مراجعة الشيخ عبد الله بن صالح العبيلان حفظه الله .

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة».

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهر ستاني، إنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلِّمين إلا الحيرة والندم، حيث قال:

لعمري لقد طفتُ المعاهد كلها وسيّرت طرفي بين تلك المعالمِ

فلم أرَ إلا واضعاً كفَّ حائرٍ على ذَقَنٍ أو قارعاً سنَّ نادمِ

قال أبو المعالي الجويني: «يا أصحابنا ! لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به». ويقول أيضاً: «لقد جِلت أهل الإسلام جولة وعلومهم، ورِكبت البحر العظيم وغصت في الذي نهوا عنه، كل ذلك في طلب الحق، وهرباً من التقليد والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطف أمره، فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص»[(١)].

وكذلك قال شمس الدين الخسرو شاهي - وكان من أجلّ تلامذه فخر الدين الرازي- لبعض الفضلاء وقد دخل عليه يوما قال: «ما تعتقده ؟ قال: «ما يعتقده المسلمون»، فقال: «أنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به ؟» - أو كما قال- فقال: نعم، فقال: «أشكر الله على هذه النِّعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقد والله ما أدري ما أعتقد! والله ما أدري ما أعتقد ! وبكى حتى أخضلت لحيته !».

ولابن أبي الحديد[(٢)]- الفاضل المشهور بالعراق قال -:

فيكَ يا أُغلوطة الفكَر حار أمري وانقضى عُمُري

سَافَرَتْ فيكَ العُقُولُ فما رَبِحَتْ إلّا أذى السَّفَر

---

(١) تلبيس إبليس ٨٤-٨٥ .

(٢) هو عزّ الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الكاتب الشاعر، «صاحب شرح نهج البلاغة» توفي سنة ٦٥٥ هـ انظر الوجبات ٢/ ٢٥٩ والبداية والنهاية ١٣/ ١٩٩ .

فَلَحَى الله الأُولَى زَعَمُوا   أَنَّك المَعْرُوفُ بِالنَّظَر
كَذَبُوا إنَّ الَّذي ذَكَروا   خَارِجٌ عن قُوَّةِ البَشَر

وقال الخونجي[١] عند موته: «ما عرفتُ مما حصَّلتُهُ شيئاً سوى»: أن الممكن يفتقرُ إلى المرجِّح، ثم قال: «الافتقارُ وصف سلبي، أموت وما عرفتُ شيئاً».

وقال آخر[٢]: «أضطجعُ على فراشي، وأضع الملحفة على وجهي، وأقابل بين حُجج هؤلاء، وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجّح عندي منها شيء».

ومن يصل إلى مثل هذه الحال، إن لم يتداركه الله برحمته، وإلا تزندق، كما قال أبو يوسف: «من طلب الدين بالكلام تزنّدق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب».

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «حُكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال، ويُطاف بهم في القبائل والعشائر»، ويُقال: «هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام».

وقال: «لقد اطلّعت من أهل الكلام على شيء، ما ظننتُ مسلماً يقوله، ولأن يُبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه - ما خلا الشرك بالله - خيرٌ له من أن يبتلى بالكلام»[٣]. انتهى.

---

(١) الخونَجي: هو محمد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي، فارسي الأصل انتقل إلى مصر تولى القضاء بها، وتوفي سنة ٦٤٦ هـ، وله كتاب «كشف الأسرار عن غوامض الأفكار» في المنطق. انظر سير أعلام النبلاء ٢٣/١ ورقم الترجمة ١٤٦، انظر «درئ تعارض العقل مع النقل» ١/ ١٦٢، ٣/ ٢٦٢ .

(٢) هو محمد سالم بن واصل الحموي المتوفى سنة ٦٩٧ هـ انظر «درئ تعارض العقل والنقل» ١/ ١٦٥ و٣/ ٢٦٣ .

(٣) ذكره البيهقي في «مناقب الشافعي» ١/ ٤٥٣ - ٤٥٤ - وعلّق عليه بقوله إنما أراد الشافعي رَحِمَهُ اللهُ بهذا الكلام حفصاً (حفص القرد) وأمثاله من أهل البدع. وكان حفص يقول بخلق القرآن. وانظر «آداب الشافعي ومناقبه» ص ١٨٢، و«تبين كذب المفترى» ص ٣٤١ .

وتجد أحد هؤلاء عند موته يرجع إلى مذهب العجائز؛ فُيقرُّ بما اقروا به ويُعرضُ عن تلك الحقائق المخالفة لذلك، التي كان يقطع بها، ثم تبين له فسادها، أو لم يتبين له صحتها، فيكونون في نهاياتهم - إذا سلموا من العذاب - بمنزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب.

والدواء النافع لمثل هذا المرض، ما كان طبيب القلوب صلوات الله وسلامه عليه يقوله - إذا قام من الليل يفتتح الصلاة -: «اللَّهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض، عالِم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم»(١).

فتوجّه ﷺ إلى ربه بربوبية جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، أن يهديه لما اخُتلف فيه من الحق بإذنه، إذ حياة القلب بالهداية.

وقد وكَّلَ الله سبحانه هؤلاء الثلاثة بالحياة:

فجبرائيل: موكَّل بالوحي، الذي هو سبب حياة القلوب.

وميكائيل: بالقَطر الذي هو سبب حياة الأبدان وسائر الحيوان.

وإسرافيل: بالنفخ في الصور الذي هو سبب حياة العالم وعودِ الأرواحِ إلى أجسادها فالتوسل إلى الله سبحانه بربوبية هذه الأرواح العظيمة الموكَّلة بالحياة، له تأثير عظيم في حصول المطلوب والله المستعان(٢).

---

(١) اخرجه مسلم ١٧٧ رواه ابو عوانة أيضاً في «صحيحه».
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٢٠٩ - ص: ٢١٠ لأبي العز الحنفي.

المبحث الثامن:
توحّد صفوف المسلمين

وهذه من أعلى ثمرات الالتزام بمنهج السَّلف، وذلك على تنوع اهتماماتهم العلمية والعملية، وتفاضل مقاديرهم في العلم والإيمان ولا يعني هذا الاتفاق في جميع تفاصيل المسائل ودقائقها، فأصحاب رسول الله ﷺ: اختلفوا في بعض أحكام الدين، ولم يفترقوا ولم يصيروا شيعا لأنهم لم يفارقوا الدين فكانوا مع الاختلاف أهل مودة ونصح وبقيت بينهم أخوة الإسلام.

فالاختلاف مع التوالي والتصويب، عادة السَّلف وأصحاب الحديث[١].

المبحث التاسع:
الهداية والنصر والتمكين في الدنيا والنجاة والفوز في الآخرة

وهذا موقوف على مذهب متابعة السَّلف.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لن يصلح آخر الزمان إلا بما صلح به أولّه».

---

(١) إيثار الحق ١٦٠ - ١٦١، مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢٤/ ١٧٢ .

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث أحمد الله حمداً كثيراً على ما أنعم به عليَّ وتفضل، من إنهاء هذا البحث، وجمع ما تيّسر من شتات مسائله.

كما يطيب لي أن أقيّد باختصار أهم تلك النتائج المتحصِّلة من هذا البحث وهي:

١- مصدر التلقي في الاعتقاد محصور بالكتاب والسنة الصحيحة.

٢- إن اتباع هذا المنهج لا خيار للإنسان فيه، إن كان يريد العزة في الدنيا والنجاة من النار في الآخرة.

٣- اتفاق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على أن خير قرون هذه الأمة - في الأعمال والأقوال والاعتقاد - هم القرن الأول، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

٤- النَّص أصل والعقل تابع؛ فمنهج السّلف يُسلِّم لنصوص الوحي، مع إعطاء العقل دوره الحقيقي وعدم الخوض في الأمور الغيبية، التي لا مجال للعقل فيها، وأنه لا تعارض بين أدلة الشريعة لأنها إنما أُنزلت لرفع الخلاف بين الناس، فلو كان فيها ما يقتضي الاختلاف - بتعارض أدلتها - لم يكن في إنزالها إلا فتنة، وهذا لا يقول به عاقل، يعرف حكمة الرب تعالى ورحمته بالناس.

٥- الدعوة إلى التوحيد أولًا - مع حسن المتابعة وإخلاص العمل لله وحده - ونبذ الشرك والبدع، واستفراغ الوسع فيهما، مع عدم إغفال شيء من مقتضياتهما ولوازمهما، والتي يُبدأ فيها بالأهم فالمهم؛ على ضوء المشكلات التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية.

٦- منهج السَّلف سهل وواضح وهو الكفيل بالتثبيت على الجادة، بعد تثبيت الله تعالى، ويمنع من التردد والانحراف الذي يتسبب به منهج أهل الكلام.

٧- إن هذا المنهج يمنحك الوسطية ويعصمك من الانحراف في باب الاعتقاد والقول والعمل.

٨- إن من الأمور التي تحتاجها الأمة في الوقت الحاضر: الإنصاف من النفس ومن الغير سواء كان عدواً أو صديقاً، بعيداً عن التّحزّب والتّعصّب بكافة أشكاله.

٩- المنهج السّلفي أوسع من الأشخاص والجماعات؛ إنه الإسلام الصحيح الذي طُبِّق على أرض الواقع، وقد اتفق عليه سلف هذه الأمة.

١٠- إن منهج السَّلف يملك رؤية واضحة وواقعية تجمع كلمة الإسلام والمسلمين عن طريق طلب العلم الشرعي، والتصفية والتربية، وربط المسلم بسلفه الصالح من العلماء الربانيين.

هذا ما تيسر جمعه وإعداده في هذا البحث الذي أسال الله تعالى أن يكون خالصاً لوجهه الكريم والحمد لله رب العالمين.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي وَخَطَئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير.

الفهرس

تم الصف والإخراج
بشركة غراس للطباعة
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ - فاكس: ٤٨٣٨٤٩٥